

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لَمَّا خَرَجْتَ أَطْلُبِ الْأَصْلَاحَ فِي أُمَّتِكَ

الْأَصْلَاحُ الْحُسَيْنِي

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالتَّهَضُّبِ الْحُسَيْنِيِّ وَأَفَقِهَا الْفِكْرِيَّةِ

تَصَدَّرَ عَنْ

مُؤَسَّسَتِهِ وَأَرْشَادَاتِهَا لِلدُّنْيَا التَّحْصِيصِ التَّهَضُّبِ الْحُسَيْنِيِّ

الْعَجَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

العدد الثلاثون

السنة الثامنة (١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م)

الإصلاح الحسني

مجلة فضلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وافتها الفكرية



الهيئة الاستشارية

آية الله السيد عادل العلوي
آية الله السيد منير الخباز
العلامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقلسي

آية الله الشيخ محمد السنند
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني
آية الله السيد رياض الحكيم

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي



الإصلاح الحسيني

*.....الإشراف العام:

سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

*.....التنسيق العام:

السيد صالح التنكابني

السيد مالك البطاط

أ.م.د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

د.مريم هادي الياسري

*.....إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قمر المقدسة)

*.....معاونة المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قمر المقدسة)

*.....رئيس التحرير:

الشيخ صباح عباس الساعدي

*.....مدير التحرير:

الشيخ عدنان الطائي

*.....هيئة التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د.الشيخ ميشم الربيعي

د.الشيخ أسعد السلطان

د.الشيخ رغدان المنصوري

*.....تقويم النص:

الشيخ عصام السعدي

*.....الإخراج الفني:

الشيخ حسين المالكي

*.....التصميم والگرافيك:

عبد الزهرة الطائي

السيد صادق الحيدري

*.....معمد الترجمة الإنجليزية:

الشيخ حيدر علي البهادلي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978-ISSN

هوية المجلة

مجلة فصلية علمية تخصصية تُعنى بالبحوث المتخصصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلة

تهتمّ المجلة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمة والحساسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحدّثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلة

- ١- إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.
- ٢- نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.
- ٣- إحياء التراث الديني والحسيني.
- ٤- فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.
- ٥- الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكرين.
- ٦- استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.
- ٧- فسح المجال أمام الباحثين والمفكرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.
- ٨- التصدي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

تدعو (مجلة الإصلاح الحسيني) الأساتذة والباحثين والمحققين الفضلاء، وكلّ مَنْ لديه اهتمام في مجال الكتابة والبحث العلمي، إلى رفدها بنتائجهم القيّمة فيما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل ملاحظة الأمور التالية:

- أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلة وأركانها.
- ألا يكون منشوراً أو بصدد النشر في كتاب أو مجلة أو موقع إلكتروني.
- أن يحتوي على المنهجية العلمية المتبعة (مقدمة، محتوى، خاتمة، خلاصة، قائمة المصادر).
- أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي والتأليف.
- اعتماد اللغة العلمية الرصينة.
- أن يكون بحثاً مبتكراً فيه نوع من التجديد والإبداع.
- أن يحتوي البحث على نتائج وتطبيقات مهمّة ومثمرة.
- الاعتماد على المصادر الرئيسة في البحث قدر الإمكان.
- ترتيب المصادر المثبتة في هوامش البحث بالطريقة التالية: (اللقب، الاسم، عنوان الكتاب: الجزء، الصفحة).
- المجلة غير ملزمة بنشر ما يقلّ عن (١٥) صفحة ويزيد على (٣٠) صفحة.
- كل (٢٥٠) كلمة تُحتسب صفحة واحدة.

تنويه

- يُسَلَّم البحث على قرص ليزري حضورياً أو يُرسل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة مع السيرة الذاتية.
- يخضع البحث للتقويم العلمي من قبل لجنة مختصة.
- للمجلة حق إعادة نشر البحث في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصّه الأصلي.
- لا يُعاد البحث إلى صاحبه نُشر أم لم يُنشر.
- من صلاحيات المجلة إجراء التعديلات اللازمة على المقال.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنية.
- المجلة تتبّع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

مراكز النشر

- * النجف الأشرف: سوق الحويش - المكتبة العلمية.
- * النجف الأشرف: الجديدة الثانية - مكتبة دار الهلال.
- * النجف الأشرف: سوق الحويش - دار الغدير.
- * كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
- * بغداد: شارع المتنبّي - مكتبة العين.
- * البصرة: العشار - مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
- * إيران/ قم المقدّسة: شارع معلم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
- * إيران/ قم المقدّسة: صفائية - سوق الإمام المهدي عليه السلام - مكتبة فذك.
- * إيران/ قم المقدّسة: سوق كذرخان - مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التحرير

الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٢) .. آية الخوف والترقب أنموذجاً

الشيخ صباح عباس الساعدي ١٣

ملف العصر

الأبحاث القرآنية في نهضة الإمام الحسين عليه السلام (٢)

ندوة: النفس مطمئنة الحسينية .. كيف نفهمها؟ وكيف نتقدي بها؟

العلامة السيد منذر الحكيم ٤٥

(الحسين عليه السلام سبط من الأسباط) .. دراسة موضوعية في ضوء الروايات والآيات القرآنية

الشيخ حميد البغدادي ٦١

الأنس القرآني في الخطاب الحسيني .. دراسة تحليلية

الشيخ حيدر الأسدي ٧٧

التناسق القرآني في خطاب المسيرة الحسينية .. مرحلة الأسر أنموذجاً .. القسم الأول

أ.م. د. زهراء البرقعاعي ٩٧

النهضة الحسينية ودورها في تفسير بعض الآيات القرآنية .. سورة العاديات أنموذجاً

عادل حاتم جبر ١٢٩

توظيفُ آيةِ التطهيرِ بلسانِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام .. دراسة تفسيرية تحليلية

الشيخ وسيم راقم الوائلي ١٥٩

الاقتباس القرآني في زيارات الإمام الحسين عليه السلام

م. م. حسن جميل الربيعي ١٨٩

النصح في القرآن الكريم دراسة في المفهوم والأساليب .. الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً

نسرین شاکر الحکیم ٢١٣

در أسأت حسینیة

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام .. الدوافع والمسوغات

الشيخ كاظم القره غولي ٢٣٧

سمات قادة الثورات الحسينية في العهد الأموي

الشيخ حيدر العريضي ٢٧٧

إطلالة على آثار الثورة الحسينية

محمد رضا الإمارة ٣٠٩

خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ٣٤٥

مَقَالُ التَّحْرِيرِ

الحضور القرآني

في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٢)
آية الخوف والترقب أنموذجاً

الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٢) آية الخوف والترقب أنموذجاً

الشيخ صباح عباس الساعدي*

تمهيد

ذكرنا في مقالنا في العدد السابق أنّ البحوث التي يتحتم علينا تناولها في سلسلة مترتبة هو ما يخصّ الآيات المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام أولاً، ثمّ الآيات التي خاطب الإمام عليه السلام أصحابه وأهل بيته بها، ثمّ الآيات التي خاطب بها الأعداء، وقد حاولنا جاهدين أن نلمم أطراف الموضوع في الآيات التي طبّقها الإمام الحسين عليه السلام على نفسه في بحث موحد؛ ليتسنى لنا نشر بقية البحوث المرتبطة بأصحابه وأهل بيته، وكذلك البحث المخصص للآيات التي خاطب بها أعداءه، ولكن نظراً لكثرة الآيات التي طبّقها الإمام الحسين عليه السلام على نفسه في بياناته المباركة، وعدم إمكان احتوائها في بحث موحد بصفحات تتناسب مع مقررات المجلّة وضوابطها؛ وقع اختيارنا على أنموذج من الآيات المرتبطة بالأنبياء والرسل عليهم السلام دون غيرها من الآيات، وهي الآية المرتبطة بالنبي موسى عليه السلام؛ كي نكون قد أعطينا فكرة واضحة عن كلّ جانب من الجوانب التي ذكرناها في البحث السابق.

* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

مقدمة

اتفقت كلمات علماء التفسير على أنّ النبي ﷺ لم يقتصر في مهمته الإلهية على تبليغ الآيات القرآنية وتلاوتها للأمة، بل تصدّى لتفسيرها وبيان معانيها أيضاً وإن اختلفوا في كون المقدار الذي تم تفسيره من قبله ﷺ، هل هو جميع الآيات القرآنية أو بعضها^(١)؟ وذلك لوضوح المعنى المقصود في بعض الآيات. كما أنّهم أسموا التفسير المستند إلى الروايات التفسيرية الواردة عنه ﷺ بـ: (التفسير بالمأثور)، باعتباره يعتمد في بيان المعاني المرادة من الآيات القرآنية على الروايات المأثورة عن النبي الأكرم ﷺ، فضلاً عن اعتماده على بعض الجوانب المهمة في معرفة المعنى، التي تُعدّ أعمدة أساسية في تفسير الآيات، كما في شأن نزول الآية، وأسباب نزولها وغيرها من المسائل المأثورة عن تراثنا الذي تبلور في صدر الإسلام.

وفي ضوء هذه الأهمية؛ فقد احتلّ الحديث عن شأن النزول والأسباب المباشرة في نزول الآيات القرآنية مكانة مهمة في كتب التفسير؛ إذ نجد أنّ الأعم الأغلب من المفسرين لم يكتفِ بذكر ما هو متفق عليه فقط - أو ما يؤمن بصحته - من الروايات المتعلقة بشأن النزول أو سببه، وإنّما سعى لاستقصاء الأقوال التي حصل عليها مشافهة بواسطة الرواة أو وجدها مدونة في كتب القدماء من علماء الإسلام، وإن لم تكن متماشية مع ما يتبنّاه ويعتقده؛ وفي ضوء ذلك وجدنا إرثاً ضخماً في المجال التفسيري لكتاب الله ﷻ.

وقد اتفقت كلمات علماء المسلمين على أنّ المورد لا يخصّص الوارد^(٢)، بمعنى أنّ الشخص أو الحادثة التي صدر النصّ - الأعم من الآيات القرآنية والنصوص الروائية - لأجلها، أو جاء لكي يخصّها بالخطاب لا تجعله جامداً عليها وغير قابل

(١) أنظر: معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ج ١، ص ١٥٩.

(٢) أنظر: مُغْنِيَّة، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج ١، ص ٢٧٤.

للتطبيق على غير ذلك من الموارد أو الأشخاص المشابهين لموردها، بل يمكن انطباقه على أشخاص آخرين في أزمنة وأماكن مختلفة، وقد سبق أن ذكرنا ذلك في البحث السابق ضمن حديثنا عن نظرية الجري والانطباق.

وحيثما يقوم الباحث بعملية مسح ميداني حول الآيات التي تليت في واقعة الطف على لسان الإمام الحسين عليه السلام - التي استشهد بها على حقانية نهضته وسلامته موقفه من خلال التشابه الكبير بينه عليه السلام وبين الشخص الذي يُعتبر شأنًا من شؤون النزول في الآية الكريمة أو ما أثبتته انطباقها الأولى - تواجهه حقيقتان مهمتان لا يمكنه التغاضي عنهما، وهاتان الحقيقتان هما:

١- ورود هذه الآيات القرآنية في المصادر المعتبرة التي نقلت تفاصيل حادثة كربلاء، وتصريحهم بأن الإمام الحسين عليه السلام قد وظّفها في خطباته ورسائله واحتجاجاته التي تُعتبر مؤشرات بيانية مهمّة في نهضته المباركة، وقد تقدّم ذكر بعض المصادر التي نقلت لنا هذه الآيات في البحث السابق^(١).

٢- ضرورة القول: بأن المتكلم - وهو الإمام الحسين عليه السلام - حينما تلا هذه الآيات لا بدّ أن يكون مراعيًا للضوابط والشروط التي جرى عليها العقلاء في المخاطبات العرفية فيما بينهم، فضلاً عن كونه عليه السلام إماماً معصوماً.. ومن أهم ركائز المخاطبات العرفية أن يكون المتكلم مراعيًا للعلاقة بين الموقف الذي هو فيه وما يصدره من كلام حوله، وقد اشتهر - بين عامّة الناس فضلاً عن خاصّتهم - الحديث المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لكلّ مقام مقال»^(٢)، أو قولهم: لكلّ حادثٍ حديث؛ ولذا يُعاب على مَنْ يتكلّم بكلام لا علاقة له بالمسألة التي هو في معرض الحديث عنها - أو غير منطبق على ذلك - وإنّما جاء به نتيجة الانفعالات النفسية دون مناسبة بين كلامه وما هو فيه.

(١) أنظر: الساعدي، صباح، مدخل إلى الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام، مجلة الإصلاح

الحسيني: العدد ٢٩، ص ١٥-٤٢.

(٢) اللبثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٠٢.

ومن هنا؛ يجد الباحث ضرورة مُلحّة إلى استبيان العلاقة بين أولئك الأفراد الذين ذُكروا في الآيات الكريمة التي تلاها الإمام الحسين عليه السلام وبين شخص الإمام عليه السلام وموقفه في واقعة الطف، وهذا ما نعتقد أنّ له ارتباطاً وثيقاً بنظرية الجري والانطباق التي تحدّثنا عنها سابقاً^(١).

وبما أنّ تناول جميع الآيات التي تُليت على لسان الإمام الحسين عليه السلام والتي طُبقت على شخصه سيخرجنا عن الحدود المقررة في المجلّة؛ لذا فإنّنا سنقتصر على ذكر أنموذج من الشخصيات التي قارن عليه السلام بينها وبين نفسه، ونختار منها شخصية النبي موسى عليه السلام، على أنّنا سنقتصر في هذا القسم من البحث - مراعاة لما تقدّم - على آية من الآيات المرتبطة بالنبي موسى عليه السلام، تاركين البحث في بقية الآيات إلى ما نروم جمعه في كتاب مستقل حول الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام.

وبنظرة متأنية إلى الآيات التي رُصدت في بيانات الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ معظمها لا يمكن معرفة العلاقة والارتباط بين موردها وبين الإمام الحسين عليه السلام - التي كانت سبباً لاستذكار الإمام عليه السلام لها في موافقه - إلا عن طريق إجراء الخطوات الآتية: الخطوة الأولى: المعنى التفسيري للآية الكريمة.

الخطوة الثانية: الموقف الذي دعا الإمام عليه السلام لقراءة الآية الكريمة.

الخطوة الثالثة: المقارنة بين المعنى التفسيري وملابسات الحادثة التي واجهها الإمام عليه السلام.

وهذا ما سنتبيّنه بوضوح في الآية الآتية ضمن نقاط.

(١) لقد ذكرنا في بحثنا المنشور في العدد ٢٩: أنّ هناك بعض الآيات التي استند إليها الإمام الحسين عليه السلام في خطابه ولم تكن من باب الجري والانطباق، وإنّما كانت من الآيات التي نزلت في حقّه عليه السلام، كما في قوله عليه السلام لمروان بن الحكم: «...إليك عني فإنك رجس، وأنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾...». أنظر: الساعدي، صباح، مدخل إلى الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد ٢٩: ص ٢٥.

الآية المتضمنة للخوف والترقب

لقد تكرر ذكر قصة النبي موسى عليه السلام وحركته الإصلاحية ضد طاغية زمانه فرعون في سور عدة وآيات كثيرة، وكان لهذا التنوع في سرد القصة بأساليب مختلفة الأثر البالغ في ترسيخ صورة متكاملة عن هذا المقطع الزمني الذي عاشه النبي موسى عليه السلام مع قومه، وقد وجدنا أن الإمام الحسين عليه السلام قد ضمّن بعضاً من هذه الآيات في بياناته التي صدرت عنه أثناء حركته الإصلاحية، سواء في بدايات مسيرته المباركة أم في أواخر لحظات حياته، ومن أبرز الآيات التي تستوقفنا للبحث عن السبب الذي دعا الإمام الحسين عليه السلام لقراءتها في بداية انطلاقة نهضته المباركة، هو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)؛ وذلك لأنّ المعطيات التي يخرج بها الباحث حينما يطالع أحداث خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة توصله إلى عدم وجود خوف - بمعناه المألوف - عند الإمام الحسين عليه السلام في هذه الحادثة، كما لا يجد للتخفي والتستر أثراً في ركب الإمام عليه السلام المنطلق من المدينة إلى مكة المكرمة، وفي ضوء ذلك كله سوف يكون ما ذكره الشيخ المفيد في إرشاده بقوله: «سار الحسين إلى مكة وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾...»^(٢)، ملفتاً للنظر ومدعاة للتحقيق في المعنى الذي قصده الإمام عليه السلام، كما يدعونا إلى الوقوف عند المعنى المراد من الآية الكريمة أيضاً؛ فإنّ الذي يتتبع سياق هذه الآية المباركة يقف على أنّها من الآيات التي تحكي لنا قصة النبي موسى عليه السلام حين قتل القبطي وخرج من مدينة فرعون؛ فمن اللازم أن نعمل على تطبيق الخطوات الثلاثة المتقدمة لمعرفة العلاقة بين الحادثتين:

(١) القصص: آية ٢١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٥.

الخطوة الأولى: المعنى التفسيري للآية الكريمة

تكاد تتفق كلمات المفسرين حول معظم الجوانب المهمة في الحادثة التي وقعت في زمن النبي موسى ﷺ والمرتبطة في هذه المرحلة من مراحل نبوته؛ إذ تذكر المصادر التفسيرية: «... أن موسى لما أنذره مؤمن آل فرعون، وأن أشراف قومه ورؤساءهم قد ائتمروا على قتله، وأمره بالخروج من المدينة؛ خرج ﷺ ﴿خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾، أي: يطلب ما يكون ويتوقعه، والترقب: طلب ما يكون من المعنى على حفظه للعمل عليه، ومثله التوقع، وهو طلب ما يقع من الأمر متى يكون... وقيل: خرج بغير زاد، وكان لا يأكل إلا حشاش الصحراء إلى أن بلغ ماء مدين. وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْنُبْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. حكاية ما دعا به موسى ربه، وأنه سأله أن يخلصه من القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وذلك يدل على أن خوفه كان من القتل...»^(١).

وبعد مراجعة الكتب التفسيرية حول هذه الآية تتضح الأمور الآتية:

الأمر الأول: إن ما قام به النبي موسى ﷺ هو بداية لمسيرته الإصلاحية في قومه ويُعدُّ انطلاقة أولى في المشروع الإلهي^(٢)، وقد كان من أهم أهدافه إنقاذ الناس

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان: ج ٨، ص ١٤٠. وأنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٧، ص ٤٢٧. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ٣، ص ١٦٩-١٧٠. فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج ٢٤، ص ٢٣٦. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٣، ص ٢٦٦. الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ١٢٠. مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج ٦، ص ٨٥. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ١٧. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٢، ص ٢٠٥.

(٢) وذلك بقرينة قوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (القصص: آية ١٥). بمعنى أن النبي موسى ﷺ قد انطلق في حركته الإصلاحية الإلهية، ما يعني أن له مشروعاً إلهياً في تلك المدة السابقة على قتل القبطي، بل إنه ﷺ قد أعطي العلم والحكم في مراحل متقدمة أيضاً، وهذا لا يتنافى مع كون العلامات الدالة على النبوة جاءت بعد قتله للقبطي؛ وإنما يدل على الاختلاف في المراتب والدرجات التي حصل عليها، قال العلامة الطباطبائي: «... وأما الحكم فالمراد به - كما استظهرناه - إصابة النظر في حقيقة الأمر وإتقان الرأي في العمل به. فإن قلت: صريح الآية أن موهبة الحكم كانت بعد واقعة القتل، ومفاد آيات سورة القصص أنه ﷺ أعطي الحكم قبلها، قال تعالى:

وتخليصهم من الظلم والقسوة التي كان يعاني منها قومه في زمن فرعون؛ فكان من أبرز مهامه مساعدة المستضعفين في هذه المدينة وهدايتهم إلى الحق، والإسهام في بناء الذات للفرد، وتصحيح مسار المجتمع، وتوضيح معالم هذه المهمة في جميع مفاصل حياته المباركة، من بدايات حركته الإصلاحية إلى حين عودته إلى فرعون وقوله له:

﴿... إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١). ووقوفه معهم في جميع المحن التي مرّت بهم، وهذه المهمة هي وظيفة إلهية يريد بها الله من الإنسان في جميع الأزمنة والأمكنة.

ولذا؛ فهو عليه السلام حريص على حفظ نفسه لحين إنجاح مشروعه ووصوله إلى ما يريد الله منه؛ ولم يكن يسمح أن يفرط بنفسه قبل ذلك؛ ولهذا السبب اقتضى أن يخاف على نفسه ويتربص أيّ خطر متوقع؛ حذراً من الوقوع بيد أعدائه، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَمَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ قال له: **مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ**

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْوَأَ أَهْلِيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ...﴾ (القصص: آية ١٤-١٥)، ثم ساق القصة وذكر القتل والفرار. قلت: إنّما ورد لفظ الحكم ههنا - وفي سورة القصص - منكرًا وهو مشعر بمغايرة كلّ منهما الآخر، وقد ورد في خصوص التوراة أنّها متضمنة للحكم، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٤٣)، وقد نزلت التوراة بعد غرق فرعون وإنجاء بني إسرائيل. فمن الممكن أن يقال: إنّ موسى عليه السلام أُعطي مراتب من الحكم بعضها فوق بعض قبل قتل القبطي، وبعد الفرار قبل العود إلى مصر، وبعد غرق فرعون، وقد خصّه الله في كلّ مرة بمرتبة من الحكم حتّى تمت له الحكمة بنزول التوراة، وهذا بحسب التمثيل نظير ما يرزق بعض الناس أوان صباحه سلامة في فطرته قلما يميل معها طبعه إلى الشرّ والفساد، ثمّ إذا نشأ يُعطى اعتدالاً في التعقل وجودة في التدبير؛ فينبعث إلى اكتساب الفضائل؛ فيرزق ملكة التقوى، والصفات الثلاث في الحقيقة سنخ واحد ينمو ويزيد حالاً بعد حال. ويظهر بما تقدّم عدم استقامة تفسير بعضهم بالحكم بالنبوة لعدم دليل عليه من جهة اللفظ ولا المقام. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٥، ص ٢٦٤.

(١) الأعراف: آية ١٠٤-١٠٥.

أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتَلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١﴾، إذ إنّه مع إحساسه بالخطر أقدم مرّة أخرى ليقف في وجه أعداء الله إكمالاً لمشروعه الإصلاحية الذي يهدف منه انتشار الطبقة المتضرّرة من حكم الفراعنة.. ولو لم يكن قد عُرف عنه التنبؤ الصريح لمنهج الإصلاح والدفاع عن المستضعفين لما أمكن الاستنكار والاعتراض عليه بالقول: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾، على كلا الاحتمالين في قائل هذه الجملة (٢).

الأمر الثاني: لم يتطرّق معظم المفسرين إلى معنى الخوف في هذه الآية، وهل هو يتنافى مع عصمة النبي موسى ﷺ أو لا؟ وإنّا أشار بعضهم إلى ذلك في آيات أخرى تضمّنت مفردة الخوف، كما في الآية التي تحدّث عن رؤيته للعصا (٣)، أو التي تحدّثت عن تحديه السحرة أيضاً (٤)، ونصّ كلامه هو أنّ: «قوله: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ أي: حالتها ﴿الأولى﴾، وهي أمّها عصا. فيه دلالة على خوفه ﷺ مما شاهده من حية ساعية، وقد قصّه تعالى في موضع آخر؛ إذ قال: ﴿فَلَمَّارَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ﴾ (٥)، والخوف وهو: الأخذ بمقدمات التحرز عن الشرّ. غير الخشية التي هي: تأثر القلب واضطرابه، فإنّ الخشية رذيلة تنافي فضيلة الشجاعة، بخلاف الخوف؛ والأنبياء ﷺ يجوز عليهم الخوف دون الخشية، كما قال الله

(١) القصص: آية ١٨-١٩.

(٢) هناك اختلاف بين المفسرين في قائل هذه العبارة للنبي موسى ﷺ، فبعضهم يرى أنّه المستضعف الذي استصرخه على القبطي، فيما ذهب آخرون إلى أنّه القبطي الذي أراد موسى أن يبطش به، ولما كان قد شاع خبر قتل القبطي في الحادثة الأولى وعرف بأنّ القاتل هو النبي موسى ﷺ لذلك وجه إليه تهمة الإفساد. أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ٢١.

(٣) كما في قوله ﷺ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّارَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: آية ١٠).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه: آية ٦٧).

(٥) القصص: آية ٣١.

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (١) (٢).

وقد حاول بعض المعاصرين أن يُثير إشكالاً - حول الخوف الوارد في آيات عدّة في قصة النبي موسى عليه السلام - بقوله: «وبالرغم من أنّ خوف موسى هنا قد أثار التساؤل لدى بعض المفسرين: بأنّ هذه الحالة كيف تناسب موسى مع الشجاعة التي عهدناها لدى موسى، وأثبتها عملياً طوال عمره عند محاربتة الفراعنة؟ إضافة إلى صفات وشروط الأنبياء بصورة عامّة...» (٣).

ثمّ أجاب عنه قائلاً: «إلا أنّ الجواب عن هذا السؤال يتضح بملاحظة نكتة واحدة، وهي أنّ من الطبيعي أنّ كلّ إنسان - مهما كان شجاعاً وغير هيّاب - إذا رأى فجأة قطعة خشب تتحوّل إلى حيّة عظيمة وتتحرّك بسرعة، فلا بدّ أن يرتبك ويخاف ولو لمُدّة قصيرة، ويسحب نفسه جانباً توقّياً، إلاّ أن يكون هذا المشهد قد تكرر أمامه مراراً، وردّ الفعل الطبيعي هذا لا يكون نقطة ضعف ضدّ موسى أبداً. ولا تنافي الآية (٣٩) من سورة الأحزاب حيث تقول: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾، فإنّ هذا الخوف طبيعي ومؤقت وسريع الزوال أمام حادثة لم تحدث من قبل قطّ، وخارق للعادة» (٤).

كما أنّ بعض المفسرين من علماء الجمهور قد ذكر نصّاً يتضمّن بعض الآراء حول معنى الخوف الذي ورد في الآيات التي تحدّثت عن المخاطر التي مرّ بها النبي موسى عليه السلام، قائلاً: «قوله تعالى: ﴿حُذِّهَا وَلَا تَخَفْ﴾... قال الجنيد رحمه الله: كان خوف موسى عليه السلام خوف تسليط، لا خوف الطبع. قال الواسطي رحمه الله: خوف موسى من العصا أنّه شاهد أثر سخطه فيه... وقال أيضاً: رأى موسى على عصاه كسوة من سخط الحق

(١) الأحزاب: آية ٣٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٤، ص ١٤٤.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٩، ص ٥٤٢.

(٤) المصدر نفسه.

فلم يأمن مكره...»^(١). ونحن إذ نورد هذا النص من تفسير السلمى إنما نهدف إلى استعراض النظرة السائدة لدى علماء الجمهور حول هذه المسألة.

الرأي القائل بأن خوف موسى عليه السلام بالمعنى السائد

يرى بعض المفسرين أن الخوف الذي تحدّث عنه القرآن الكريم في قصّة النبي موسى عليه السلام لم يكن سوى أمر طبيعي وحالة فطرية لدى الإنسان^(٢)؛ فكما يتألم الشخص حينما يُصاب بجرح ويحزن عند سماعه خبراً غير سارٍّ، ويشعر باحتياجه إلى الطعام، فكذلك حينما يداهمه خطر شديد التوقع أو حتمي الوقوع فمن الطبيعي جداً أن يوعز الذهن إلى نفسه بالخطر؛ فينتج من ذلك الخوف القهري، وهذا الأمر لا يختلف بين المعصوم وغيره^(٣).

نعم، يستطيع المعصوم أن يقاوم هذا الجوع أو الخوف إلى أن تنفذ طاقته ويفارق الحياة من دون جزع وتذمّر، بل لا يفكر بالاعتراض على حكم الله وقضائه؛ وهذا ما جسّده الإمام الحسين عليه السلام في أنفاسه الأخيرة حينما بقى يناجي الله عز وجل بكلمات ملؤها الرضا والتسليم، وكأنّه بأتم حالات الرخاء: «اللهم، متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابع النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت، وشكور إذا شكرت، وذكرور إذا ذكرت...»^(٤). حتّى وصفه بعض الرواة بقوله: «فوالله، ما رأيت مكثوراً قطّ

(١) السلمى، محمد بن الحسين، تفسير السلمى: ج ١، ص ٤٤٠.
(٢) ويستفاد ذلك من قول بعضهم أيضاً: «إنّه أوجس في نفسه خيفة، أي: لحقه ما يلحق البشر، وروي أنّ موسى تناولها بكمي جيته، فنهى عن ذلك، فأخذها بيده، فصارت عصا كما كانت أول مرّة...» الأندلسي، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: ج ٤، ص ٤٢.
(٣) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٩، ص ٥٤٢.
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدج: ص ٨٢٨.

قد قُتل وُلده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً منه ﷺ، إن كانت الرجالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه، فتكشف عن يمينه وشماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب»^(١). إلا أن ما سوف يأتي في السطور اللاحقة يمنعنا من قبول هذا الرأي.

نظرة متأنية إلى معنى خوف النبي موسى ﷺ

من الممكن أن يكون السبب في عدم التطرّق لمعنى الخوف في الآية مورد البحث من قبل المفسرين هو عدم تسنّمه منصب النبوة بعد؛ فلا يضرّ في شخصية موسى على رأي معظم علماء السنّة - إن لم نقل: جميعهم - ما دام لم يتولّ منصب النبوة الإلهية.

إلا أن المشكلة تبقى عالقة وفق المعتقد الشيعي حول شخص النبي، ذلك المعتقد القائل: بأنّ النبي لا بدّ أن يكون منزهاً عن كلّ الرذائل التي لا تليق بمقام النبوة، سواء قبل تولّي هذا المنصب الإلهي أم أثناء مسيرته التبليغية الإلهية.

ومن الطبيعي جداً أن نتساءل عن حقيقة علم موسى، فهل أنّه كان يعلم حقيقة الأمر والنتائج التي ستؤول إليه في كلّ موقف يواجهه؟ أو أنّه كسائر الناس في علمه بالغيب وإنّما يختلف عنهم في إيمانه وتوكّله على الله؟

وفق المعطيات الدينية يجب أن تكون الإجابة لصالح الفرض الأول؛ إذ إنّ الأنبياء والرسل مرتبطون مع الله ﷻ ويتلقون الأوامر الإلهية منه مباشرة، وهذه هي إحدى النقاط الفارقة بين النبي وبين سائر البشر، وقد قدّمنا بعض النصوص الدالة على ذلك في النقطة الأولى من هذا البحث، كما أنّ هناك روايات تبين أنّ النبي موسى ﷺ كان عالماً بالأحداث المستقبلية، كالرواية الصحيحة^(٢) التي ذكرها الكليني بسنده إلى

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١١.

(٢) ذكر المحقق الخونساري أنّ بعض العلماء يعتقد ضعف هذه الرواية. أنظر: الخونساري، أحمد، جامع المدارك: ج ٤، ص ٣٨٥. ولم يُبيّن من هو القائل بضعفها أو السبب في تضعيفها، ولعلّ مقصوده المحقق الحلي في شرائع الإسلام: ج ٢، ص ٥٤٥. إذ فسر بعض الشراح على الشرائع المراد من قوله: «... وقيل بالمنع: استناداً إلى رواية، لا تخلو من ضعف...». بأنّ مقصوده هذه الرواية

البنزطي قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام: قول شعيب عليه السلام: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكَحَكَ إِحْدَى أَبْنَتَيْ هَنْتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثُمَّ نِي حِجَّجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ أَيُّ الأجلين قضي؟ قال: الوفاء منها أبعدهما عشر سنين. قلت: فدخل بها قبل أن ينقضي الشرط أو بعد انقضائه؟ قال: قبل أن ينقضي. قلت: فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين، يجوز ذلك؟ فقال: إن موسى قد علم أنه سيتم له شرطه، فكيف لهذا بأن يعلم أن سيقى حتى يفي؟!^(١). وقد ذكرها بعض علمائنا الأعلام^(٢) في صدد الاستدلال على عدم صحة إجارة الشخص لنفسه كمهر للتزويج، ولم يناقشوا فيها من جهة عدم صحة دعوى العلم الذي فرق به الإمام عليه السلام بين النبي موسى وسائر البشر وإن ناقشوا فيها من جهات أخرى.

وأما إذا كانت الإجابة لصالح الفرض الثاني، فلا تبقى خصوصية للنبي على غيره من الناس؛ إذ إن كثيراً منهم من يمتلك هذا التوكّل والإيمان الكبير الذي يجعله يقدم على فعل التكاليف الإلهية ولو كانت نتائجها الموت والفناء من عالم الدنيا ومن دون تردد أو تخوف على نفسه.

وفي تقدير الباحث أن هذه المحطة في حياة النبي موسى عليه السلام جديرة بالبحث والتنقيب بشكل أوسع مما قام به علماء التفسير، ينظر فيها إلى الجوانب العقائدية

وأن السبب في ضعف سندها هو عدم التصريح بعدالة روايتها. أنظر: البحراني، المفلح الصميري، غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ج ٣، ص ١٣٣. إلا أن التدقيق في رواة سندها يوصلنا إلى أنها من الروايات الصحيحة.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٤١٤. وهذه الرواية وإن كانت تتحدّث عن علم النبي موسى عليه السلام بعد مقتل القبطي، وبعد خروجه خائفاً؛ إلا أنها تفيدنا في معرفة الخوف الذي حكاه الله عزّ وجلّ في الآيات الأخرى المخصصة للمقطع الزمني المتأخر عليها، فتصلح كدليل لرفض الآراء التي فسّرت الخوف بمعناه الطبيعي.

(٢) أنظر: العلامة الحلي، الحسن بن المطهر، مختلف الشيعة: ج ٧، ص ١٣٦. البحراني، المفلح الصميري، غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: ج ٣، ص ١٣٣. الخونساري، أحمد، جامع المدارك: ج ٤، ص ٣٨٥. البحراني، يوسف، الحدايق الناضرة: ج ٢٤، ص ٤٢٢. الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج ١٠، ص ٤٠٦. وغيرهم كثير.

والنفسية وغير ذلك من الأمور التي لها علاقة وثيقة بحياة النبي وما يفترض أن يكون عليه من خصائص وصفات تميّزه عن الآخرين.

فنقول: وردت مجموعة من الآيات تتحدّث عن الخوف الذي اعترى النبي موسى عليه السلام في مواطن متفرّقة، وأبرزها:

* قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ...﴾، الآية مورد البحث.

* قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا بِخَافٍ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾^(١).

* قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٢).

وفي صدد التحقيق حول هذا الموضوع لا بدّ أن يتضح للقارئ الكريم أنّنا - بعد البحث الطويل عن جواب مناسب يضع النقاط على الحروف في هذه المسألة - وجدنا حديثاً لأمر المؤمنين عليهم السلام يتحدّث فيه عن محنته التي امتحن بها حينما غُصبت منه الخلافة، قال فيه: «ما شككت في الحقّ مذ رأيتّه، لم يوجس موسى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهّال، ودول الضّلال»^(٣).

ففي الوقت الذي يوضح عليه السلام للأمة السبب الذي اضطره إلى السكوت عن حقّه يتكفّل لنا أيضاً تفسير الخوف ويبيّن معناه وحقيقته ليدفع عن النبي موسى عليه السلام تهمة الخوف الذي يتنافى مع مقام النبوة؛ كما ذكر ذلك العلامة المظفر رحمته الله بقوله: «فهو في هذه الكلمة يتأسى بموسى عليه السلام؛ إذ رموه بالخيفة، ولكن فرقاً بين الخوف على الحياة والخوف من غلبة الباطل: وهذا أفضل تفسير لقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ وفيه تبرئة لنبي الله من الوهن والشك»^(٤).

(١) النمل: آية ١٠.

(٢) طه: آية ٦٧-٦٨.

(٣) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ج ١، ص ٣٩.

(٤) المظفر، محمد رضا، السقيفة: ص ١٥٥.

وقد ذكر هذا المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري، إلا أنه نسبه إلى القيل الذي يدل على التضعيف لهذا الرأي، أو لا أقل من عدم تبيينه له^(١).

وهذه الإجابة التي ذكرت في قول أمير المؤمنين يدعمها السياق القرآني الذي خوطب به موسى عليه السلام؛ إذ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ دلالة واضحة على أن خوفه لم يكن من الأفاعي التي رآها حين ألقى السحرة؛ وإنما كان خوفه على عاقبة أمر بني إسرائيل بعد أن رأوا المشهد الم هول بأعينهم، فطمأنه الله عز وجل أن الغلبة سوف تكون من نصيبه في نهاية المطاف؛ ما يعني أن خوفه وقلقه كان من أجل مكر العدو وحيله التي قد تنطلي على السدج من الناس - وهم كثيرون - فلا يهتدون بهديه، ولا يسلكون منهجه الإصلاحية الذي أراد الله للبشر، والذي شغل فكر النبي موسى عليه السلام لسنين من عمره.

كما أن معنى الخوف في قوله تعالى: ﴿... يَمْؤِسِي لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ﴾ *** إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**^(٢). يمكن أن يكون بمعنى الحذر من التصرفات التي قد تؤدي إلى الحرمان من المدد والدعم الرباني؛ لأنه عليه السلام قد عرف أن هذا الدعم وهذا التسديد قد يُحرم منه الإنسان مهما كانت منزلته فيما لو لم يسلك السبيل المناسب - كما في الحادثة التي حصلت مع النبي يونس عليه السلام؛ إذ لولا: ﴿أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّئِينَ﴾ *** لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**^(٣) - الأمر الذي يحول دون تحقيق الهدف الإلهي للنبي موسى عليه السلام الذي خاطر من أجله بحياته وهاجر بسببه عن الأوطان؛ فجاءه الخطاب الإلهي تظميناً لدوام التسديد الإلهي والدعم الرباني أيضاً. وفيما يخص الآية مورد البحث فإنّ توظيف الإمام الحسين عليه السلام وقراءته لها عند خروجه من المدينة - مع أنه لم يكن في نفسه مكاناً للخوف والضعف والوهن -

(١) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ٢، ص ٥٤٤.

(٢) النمل: آية ١٠-١١.

(٣) الصافات: آية ١٤٣-١٤٤.

يساعدنا في معرفة الخوف المقصود فيها، وهو أن خوف النبي موسى ﷺ لم يكن بسبب الوهن والضعف، وإنما معناه الحذر والحيلة للحفاظ على نفسه من جلاوزة فرعون وأزلامه؛ لأنهم إن قبضوا عليه فسوف يقتلونه بتهمة الإفساد وإثارة الفتنة والتفرقة بين الأقباط وبني إسرائيل، وهذا الأمر يحول دون تحقيق أهدافه الرسالية.

وبما أن خوف الإنسان من القتل لا يعني الجبن وظهور علامات الوهن والضعف في كل الأحوال؛ فلا يمكننا أن نعتبر خوف موسى ﷺ أمراً معيباً أو مستهجناً في نظر العقلاء أيضاً؛ لأن من يدافع على نفسه في ساحة القتال ويدفع القتل عنها لا يُعدُّ خائفاً أو ضعيفاً أمام العدو وإنما يحسب موقفه هذا من ردود الأفعال الطبيعية لما يواجهه، بل حتى الاحترازات التي يقوم بها الإنسان لدفع الخطر عن نفسه تُعدُّ من الأمور الطبيعية أيضاً لأي شخص يداومه الخطر - ولهذا فلم يُتهم النبي الأكرم ﷺ حينما خرج من مكة إلى المدينة بالخوف على نفسه من القتل، أي: ذلك الخوف المستقبح في نظر العقلاء، بل نظر المؤرخون إلى ذلك الموقف منه ﷺ على أنه ضمن التكتيك الإلهي لإكمال المسيرة الإصلاحية.

ومن المؤشرات المهمة على أن موسى لم يكن خائفاً على نفسه ما ذكره الله بعد قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾. بمعنى أنه خاف موسى أن يطالب بدم القبطي، وتوقع الشر من فرعون وقومه.. وبينما هو كذلك، ﴿فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ...﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾. أراد موسى أن يبطش بالقبطي؛ لأن الأقباط هم الذين كانوا يعتدون على الإسرائيليين، ويعاملونهم معاملة العبيد...^(١)، إذ مع ذلك الخوف الذي يصفه الله تعالى أقدم مرة أخرى على مساعدة الرجل الذي من شيعته ودفع الظلم عنه.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن خوف النبي موسى ﷺ، الذي صرح به القرآن الكريم

(١) مُغْنِيَةٌ، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج ٦، ص ٥٦.

في أكثر من آية لا يتنافى مع التوكّل على الله ﷻ أو اليقين بأنّه سوف ينجو من محاولات القتل؛ فإنّ ذلك نظير ما كان يقوم به النبي الأكرم ﷺ من تحذير لأصحابه، بل إنّ كان يحذر من بعض الأمور التي قد تؤدي بحياته أو تؤدي به إلى القتل قبل إتمام مشروعه الإلهي، وقد عدّ بعض المفسرين أوامره الصادرة لأتباعه بالهجرة إلى الحبشة أو بحفر خندق في معركة الأحزاب وغير ذلك من الموارد الاحترازية التي قام بها ﷺ خوفاً من أن تحول دون إتمام مشروعه الإلهي^(١).

الأمر الثالث: يُعتبر العدو الذي واجهه النبي موسى ﷺ في مسيرته الإصلاحية من أعتى وأطغى الحكّام والجبّارة الذين عرفهم التاريخ البشري؛ إذ عُرف بغطرسته وطغيانه في تعامله مع قومه؛ كما أنّه نازع الإله وادّعى الربوبية المطلقة، ولم يكن للحوار والإقناع المستند إلى الحقائق نصيب لدى ذلك الجهاز الحاكم في زمنه؛ لذلك اضطر النبي إلى مغادرة هذه المدينة بعد أن تأمروا عليه، ولم يفكر في البقاء للحوار وتبرئة نفسه.

إلى هنا - ومن خلال كلمات المفسّرين والروايات الواردة حول النبي موسى ﷺ - نكون قد وقفنا على مجموعة من النقاط المهمّة في معرفة تفسير الآية التي تلاها الإمام الحسين ﷺ حين خروجه من المدينة.

الخطوة الثانية: الموقف الذي دعا الإمام ﷺ لقراءة الآية المباركة

من الضروري جداً معرفة الظروف التي عاشها الإمام ﷺ والتي دعت له لقراءة الآية الشريفة، ومن خلال التتبع والتنقيب في المصادر المهمّة حول هذه الحقبة الزمنية من نهضة سيّد الشهداء ﷺ نجد أنّ هناك جملة من النصوص التي وثّقها المؤرخون توصلنا إلى عدّة نقاط مهمّة، نذكر منها:

١- إنّ ما قام به الإمام الحسين ﷺ يعدّ حركة إصلاحية إلهية بامتياز، وكان الهدف

(١) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٣، ص ٢٠٢.

منها إنقاذ المجتمع وانتشاله من الظلم والجور الذي تفشى في الأوساط الإسلامية؛ وهذا ما تؤكدُه البيانات الكثيرة التي صدرت عنه عليه السلام وفي موارد متعددة، كما في قوله عليه السلام: «... وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي...»^(١)، وقوله عليه السلام: «اللهم، إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان... ولكن لثري المعالم من دينك ونُظهر الإصلاح في بلادك»^(٢). أو قوله عليه السلام: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه»^(٣). وقوله عليه السلام لجيش عبيد الله بن زياد في يوم عاشوراء: «... لا تعجلوا! والله، ما أتيتكم حتى أتتني كُتُب أمثالكم بأنَّ السنَّة قد أُميتت، والنفاق قد نجم، والحدود قد عَطَّلت؛ فأقدم لعلَّ الله يُصلح بك الأمة...»^(٤)، وهذه البيانات والنصوص التي نطق بها الإمام الحسين عليه السلام تُفصح لنا عن حجم الفساد والباطل الذي وصل إليه الجهاز الحاكم بعد أن كان قد انحرف عن المسار الحقيقي بشكل تدريجي منذ أول انعطافة تاريخية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

إلا أن الفارق الكبير والبُعد الشاسع بين الحكومات التي عاصرها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، عن الحكومات التي عاصرها الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، أن الأولى كانت تضطر إلى الرجوع للإمام علي عليه السلام في المسائل الدينية والأمر التي ترتبط بالغيب والسماء؛ حتى عُرف عن بعضهم قوله: «اللهم، لا تُبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن»^(٥). وقد نتج عن هذا الرجوع المحافظة النسبية على القيم والمثل الإسلامية، بخلاف ما كان من موقف الحكومات المتأخرة؛ فقد عمدوا إلى إقصاء الأئمة عليهم السلام عن هذه المهمة أيضاً، بعد أن أحكموا قبضتهم، وجثموا على صدور المسلمين، وأيقنوا عدم عودة الأئمة إلى المنصب السياسي الذي افترضه الله عز وجل لهم.

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢١.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٣٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٥.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٠١.

(٥) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٣١٧.

٢- إن قرار الإمام الحسين عليه السلام في خروجه من المدينة كان مفاجئاً للسلطة المحلية آنذاك، فلم يكن في الحسبان أن الإمام عليه السلام يتخذ هذا القرار ويُطل مخططاتهم التي يراد منها القضاء على حياته عليه السلام بشكل سرّي وفي ليلة ظلماء من دون علم أحد من المسلمين، لتخلو لهم الساحة السياسية دون أيّ أصداء لمعارضته، وهذا ما نستفيده من قول يزيد: «... فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ليست فيه رخصة ولا هودة حتى يبايعوا، والسلام»^(١)، وكذا قول مروان بن الحكم حين أشار على الوليد بن عتبة: «... أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء نفر، فتدعوهم إلى البيعة، فإن بايعوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوه قدّمهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بوفاة معاوية»^(٢). وغير ذلك من الوثائق التي تؤكد إصرارهم على قتل الإمام عليه السلام فيما لو امتنع عن البيعة ليزيد.

ولم يكن في مخيلتهم ولا في توقعاتهم أن الإمام الحسين عليه السلام سوف يقوم بهذه النهضة المباركة؛ إذ لم يكونوا مسبوقين بمعارضة مشابهة لما قام به الإمام الحسين ابن علي عليه السلام إلى هذه اللحظة؛ فلم يناجز الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام القوم لأخذ حقّه المغصوب، مع إقرار غالبية المسلمين باستحقاقه لهذا المنصب، ولكنه مع ذلك ولظروف وملابسات أفصح عنها سلام الله عليه في مواطن كثيرة^(٣) صبر على ذلك إلى أن عاد الحق إليه بعد مدّة من الزمن لم تكن بالقليلة، كما أن الإمام الحسن عليه السلام بعد أن كانت زمام الأمور بيده إلاّ أنّه قبل بالصلح مع معاوية الماكر المخادع، بل حتّى الإمام الحسين عليه السلام حين استشهد أخوه الإمام الحسن عليه السلام وطلب منه القوم من شيعته أن يناهض معاوية - إذ لم يكن هو طرفاً في المصالحة التي أمضاها أخوه وإمامه

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠٠.

(٣) تقدّم قبل صفحات قوله عليه السلام: «ما شككت في الحقّ مذ رأيتّه، لم يوجس موسى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهّال، ودول الضّلال».

المفترض الطاعة - إلا أنه عليه السلام رفض أن يقوم بأي حركة وأمرهم بالصبر والتحمل^(١). فكان من الطبيعي جداً أن لا يتوقعوا من الإمام الحسين عليه السلام فضلاً عن غيره أي حركة مسلحة؛ لما عهدوه من أهل البيت عليه السلام في جميع المؤامرات التي قد تنتهي بانشقاق المسلمين وارتداد حديثي العهد بهذا الدين.

٣- كانت خطوات الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية الأحداث مدروسة ومملوءة بالحذر واليقظة من الوقوع في فخ الأعداء في حدث سابق لأوان نهضته المباركة، وقبل تحقيق أهدافها؛ فقد اصطحب معه أهل بيته إلى قصر الوالي حين دعاه ليلاً^(٢)، مع أن البوادر لم تكن واضحة لأحد، وكذلك حينما رفض البيعة وعلل رفضه بعدم جدوائية البيعة السرية، وأن في الصباح يكون الموقف المناسب أمام الملاء، قائلاً: «أما ما سألتني من البيعة؛ فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتري بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية»^(٣)، ويكون هذا المعنى أكثر وضوحاً فيما لو تأملنا الحوار الذي دار بينه عليه السلام وبين مروان في اليوم التالي؛ إذ مع رفضه البيعة ليزيد إلا أنه لم يفصح عن نيته له؛ فقال: «وعلى الإسلام السلام إذ بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد»^(٤)؛ فهذا الخطاب ونظائره يحمل في طياته مداليل كثيرة من الحذر واليقظة مما لا يحتاج إلى بيانه وإثباته كلفة زائدة على التأمل في النص ذاته، ولعله عليه السلام يشير إلى هذه الحيلة والحذر حينما تنكب الطريق الأعظم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ...﴾؛ لكثرة المارة فيه مما يفشل أي محاولة لاغتيال الإمام عليه السلام، بالإضافة إلى أن الهدف من اختياره عليه السلام لهذا الطريق هو أن اغتنم الفرصة للإفصاح عن معارضته الصريحة لما

(١) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٠. الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص ٢٢٢.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥١.

(٤) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٧.

يراد بالأمة من مؤامرة تكون ضربة قاضية لروحها، تلك الأمة التي أخذت تلفظ أنفاسها الأخيرة.

٤- لقد واجه الإمام الحسين عليه السلام في موقفه هذا طاغية عصره يزيد بن معاوية الذي وصفه بأنه: «قاتل النفس المحرّمة»^(١)؛ وأزلامه الذين لا يتورّعون في قتل كلّ من يقف أمام تحقيق أهدافهم ونيل مآربهم.. ممّا يعني أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أيقن القتل فيما لو امتنع عن البيعة؛ وكان الأمر آنذاك بحاجة إلى قرار حاسم لا يقبل التردد، قرار من توكل على الله وأيقن أنّه سيهديه سواء السبيل.

الخطوة الثالثة: المقارنة بين المعنى التفسيري وملابسات الحادثة التي واجهها الإمام عليه السلام

بعد أن سلطنا الأضواء على النقاط المتقدّمة في الخطوات السابقة لمعرفة وجه العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام والنبي موسى عليه السلام والظروف التي مرّ بها كلّ منهما في حركته الإصلاحية نستطيع أن نقارن بين هذين الموقفين من خلال الإشارة إلى وجوه الشبه بينهما عليه السلام؛ إذ إنّ وجوه الشبه كثيرة جداً، كما أنّها أصبحت من الواضح بمكان، وسوف نذكر ذلك تباعاً في النقاط الآتية:

١. إنّ هذه الآية القرآنية في قصّة النبي موسى اعتبرت نقطة انطلاق لحركته الربانية للوقوف في وجه الطغيان والظلم؛ إذ كلّ ما كان قبلها لا يشكل إلاّ تغييراً جزئياً في حياة بني إسرائيل؛ وأمّا خروجه من مدينته خائفاً.. فقد كان نقطة انطلاق للتغيير العام، مع أنّه عُرف عنه الصلاح والورع في مواقفه؛ لكنّه بعد أن أُتهم بالفساد وإثارة الفتنة ليكون مبرراً لمحاكمته والقضاء عليه من قبل الظلمة والجبابرة في حكومة فرعون فقد خرج لكي يتمّ مسيرته الإصلاحية قبل أن توأد في مهدها.

وكذا الحال في مسيرة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية؛ فبعد أن عُرف عنه الصلاح والورع في المواقف، خصوصاً حين رصدت حكومة معاوية أنّ شيعته والموالين له

(١) الكوفي، أحمد بن أعمش، الفتوح: ج ٥، ص ١٤.

حاولوا استنهاضه في وجه الظلم بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام^(١)، ولكنهم حين رفض البيعة ليزيد معلناً موقفه الصريح من ذلك بعد أن أحكم خطته ليلة بُعث إليه للمثول أمام الوالي وأعوانه الماكرين والمتآمرين معه، أخذوا يتهمونه بالفساد وشق عصا المسلمين وإثارة الفتنة بينهم؛ حينها أيقن أن هذه التهمة يستحق لأجلها أن تُضرب عنقه بمرأى ومسمع من المسلمين ومن دون نكير من أحد.

وبعد أن كانت مهمته الإلهية تحتم عليه الإبقاء على نفسه إلى حين تُبصر الناس ملابسات ما يُحطّط ضدّهم من قبل الأعداء الدخلاء في الدين؛ فقد خرج من المدينة خائفاً على نفسه أن تزهق قبل تهيئة الظروف الملائمة لإنجاح نهضته المباركة؛ ولأجل ذلك خرج وهو يتلو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

٢. وفقاً للنظريات النبوية التي اعتمدها علماء اللغة المعاصرون؛ يدلنا توظيف الإمام الحسين عليه السلام لهذه الآية بوجه خاصّ على أن حركته عليه السلام الإلهية متشابهة تماماً مع نهضة النبي موسى المبعوث من قبل الله عز وجل؛ ولذا فإنه عليه السلام ومنذُ بداية انطلاقه يعتمد بالدرجة الأولى والأساس على التخطيط الإلهي ويطلب المدد والعون من الله عز وجل؛ قائلاً: ﴿... رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، جاعلاً من الأسباب الأخرى أموراً ثانوية، لها نسبة من الإسهام في الوصول إلى الهدف الذي رسمه الله عز وجل له، ومن هنا يعرف القارئ الكريم أن الأجوبة التي وردت عن الأسئلة الموجهة إليه من قبل المعترضين أو الناصحين له من الذين حاولوا أن يثنوه عن الخروج إلى العراق - والتي هي من قبيل قوله عليه السلام: بأنه مقتول لا محالة، «إنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»^(٢)، وغيرها من النصوص التي صدرت عنه - إنّما كانت تصدر عنه بما يناسب الشخص المخاطب ومستوى تفكيره تجاه الظروف التي يعيشها المسلمون.

٣. تنبأ النظر التي قمنا بها بين هذين الموقفين عن التشابه الكبير بين الطغيان

(١) أنظر: ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٠٥.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٠.

الفرعوني الذي واجهه النبي موسى عليه السلام وبين الطغيان اليزيدي الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام، من ناحية التغطرس والتجبر والتسلط على رقاب العباد، ومن ناحية الكفر والإنكار لوجود خالق الكون؛ فلا يزال الطغيان الفرعوني مضرب مثل لدى الجميع إلى يومنا هذا؛ لما كان من إنكاره لوجود خالق للكون واستخفافه بعقول الناس كما دلت الآيات على ذلك^(١)، والأمر كذلك بالنسبة لحكومة يزيد بن معاوية؛ إذ لم تعهد الأمة ممارسات طغيانية بهذا الحد كما شاهدوه في حكومة يزيد، وإن كانت بوادر ذلك واضحة في الحكومات المتقدمة عليه؛ إلا أنها لم تصل إلى هذا الحد من التجاهر بالكفر والبوح به بالقول:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(٢)

فالإمام الحسين عليه السلام وإن لم يحكم على يزيد في محضر الوالي بالكفر والطغيان بشكل صريح إلا أنه وبدلالة ضمنية نوه لذلك من خلال الإشارة إلى اللوازم التي لا تكون إلا عن عدم إيمان مرتكبيها؛ أضف إلى ذلك الرمزية التي تحملها الآية التي وظفها الإمام الحسين عليه السلام للدلالة على ذلك، بالبيان الذي ذكرناه آنفاً.

٤. يشير النص القرآني الذي وظفه الإمام الحسين عليه السلام إلى تحمّل أعباء هذه المهمة الخطيرة بنفسه، وعدم اعتماده على الأمة التي طالما ناشدته واستنهضته للخلاص مما هم فيه؛ فمع أنهم متحمسون لتغيير الواقع المرير - والذي عبّرت بعض الآراء عن حالهم بأن: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»^(٣) - الذي وصلوا إليه، إلا أنه عليه السلام يعلم بأنه سوف ينهض بأعباء التغيير والإصلاح بوحده، وما هذه الثلة التي سوف ترافقه في مسيرته هذه إلا كمثل القطرة في بحر بالقياس إلى سائر المسلمين، وبالتالي فكما

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص: آية ٣٨).

(٢) النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص ١٩١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ١٨٢.

كان موسى قد خرج لوحده خائفاً يترقب كذلك كان حال الإمام الحسين عليه السلام؛ لذلك قال كلمته الخالدة: «ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر»^(١)، وأوضح من ذلك قوله لأصحابه وأهل بيته في ليلة العاشر من المحرم: «... وذروني وهؤلاء القوم، فيأثمهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم»^(٢)، فهذا النص أدل على أن مهمة الإصلاح كانت قد أنيطت بالدرجة الأساس بالإمام المفترض الطاعة.

المحصلة النهائية

وفي نهاية المطاف نخرج بحصيلة مهمة من وجوه التشابه بين الإمام الحسين والنبى موسى عليه السلام، ومن أهمها:

- ١ - إن الظروف التي مرَّ بها الإمام الحسين عليه السلام حين خروجه من المدينة كانت مشابهة بشكل كبير للظروف التي مرَّ بها النبى موسى عليه السلام حينما خرج من مصر.
 - ٢ - أن المهمة التي أنيطت بهما واحدة.
 - ٣ - إن الخوف الذي حصل من الخطر المداهم لهما عليه السلام لم يكن نتيجة الضعف والوهن في شخصية النبى أو الإمام عليه السلام وإنما يعني أخذ الحيطة والحذر من الأسباب التي قد تحول دون تحقيق الأهداف الإلهية.
 - ٤ - إن العدو الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام كالعدو الذي واجهه النبى موسى عليه السلام في كثير من الخصائص والصفات، وهذا الشيء هو الذي حتم على الإمام الحسين عليه السلام أن يقف في وجه يزيد بن معاوية.
- وبما أننا قد شارفنا على تخطي الحدِّ المقررِّ لعدد صفحات البحث؛ لذا سوف نتوقف عند البحث في الآية الأولى المرتبطة بالنبى موسى عليه السلام ونوكل الحديث عن الآيات الأخرى إلى فرصة أخرى إن شاء الله تعالى.

(١) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢١٩.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٩٥.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* نهج البلاغة.

١ - الأخبار الطوال، أحمد بن داوود الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.

٢ - الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي.

٤ - أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م.

٥ - التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٢٠٩هـ.

٦ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.

٧ - تاريخ مدينة دمشق، الحسن بن علي بن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

٨ - تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني (ت القرن الرابع الهجري)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٩ - تفسير السلميّ، محمد بن الحسين السلميّ (ت ٤١٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.

١٠ - التفسير الكاشف، محمد جواد مُعنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.

١١ - التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة.

١٢ - تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٣ - تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي (ت ١١١٢هـ)، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.

١٤ - التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة (ت ١٤٢٧هـ)، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

١٥ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ.

١٦ - الحدائق الناضرة، يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران.

١٧ - دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي (ت القرن الرابع الهجري)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٨ - روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة - إيران.

١٩ - رياض المسائل، علي الطباطبائي (ت ١٢٣١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٠ - السقيفة، محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، مؤسسة أنصاريان، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢١ - سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

- ٢٢ - شرائع الإسلام، المحقق جعفر بن الحسن الحلبي (ت ٦٧٦هـ)، انتشارات استقلال، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ٢٣ - شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٢٤ - عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي (ت القرن السادس الهجري)، دار الحديث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى.
- ٢٥ - غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، المفلح الصميري البحراني (ت ٩٠٠هـ)، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٦ - الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢٧ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ ش.
- ٢٨ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦م.
- ٢٩ - اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣٠ - المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٣١ - مختلف الشيعة، العلامة الحسن بن يوسف المطهر الحلبي (ت ٧٢٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٣٢ - مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٣- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة - إيران.

المجلات

٣٤- مجلة الإصلاح الحسيني، منشورات مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

ملف العدد

الإعداد القرآني في نهضة الإمام الحسين (٢)

- ◆ النفس المعطمنة الحسينية.. كيف نفهمها؟ وكيف نقتدي بها؟
- ◆ (الحسين سبط من الأسباط).. دراسة موضوعية في ضوء الروايات والآيات القرآنية
- ◆ الأنس القرآني في الخطاب الحسيني.. دراسة تحليلية
- ◆ التناس القرآني في خطاب المسيرة الحسينية.. مرحلة الأسر أنموذجاً.. القسم الأول
- ◆ النهضة الحسينية ودورها في تفسير بعض الآيات القرآنية.. سورة العاديات أنموذجاً
- ◆ توظيف آية التطهير بلسان الإمام الحسين.. دراسة تفسيرية تحليلية
- ◆ الاقتباس القرآني في زيارات الإمام الحسين ﷺ
- ◆ النصح في القرآن الكريم دراسة في المفهوم والأساليب.. الإمام الحسين ﷺ أنموذجاً

ندوة:

النفس المطمئنة الحسينية.. كيف نفهمها؟ وكيف نقتدي بها؟

العلامة السيد منذر الحكيم*

أقامت مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات الحسينية، ندوتها السادسة والسبعين تحت عنوان (النفس المطمئنة الحسينية.. كيف نفهمها؟ وكيف نقتدي بها؟)، وكان المحاضر في هذه الندوة سماحة العلامة السيد منذر الحكيم، وقد عمل قسم مجلة الإصلاح الحسيني على إعداد هذه الندوة وترتيبها، مع تصرّف فني بسيط.

مقدمة

سيظلّ الإمام الحسين عليه السلام تاجاً متألّئاً في مِفرق الدهر، لا تحبو جواهره، ولا ينطفئ بريقه، وسيبقى عليه السلام آيةً بينةً تصدح بها حناجر الأزمان، وتردها مواكب الأجيال، وتقتدي بها قوافل السالكين في مدارج الكمال، ومن ذلك أنّه عليه السلام يُعدّ المصداق الأكمل والأمثل والأتم للآيات الأخيرة من سورة الفجر الكريمة التي تُشير إلى النفس المطمئنة ومنزلتها ومآلها عند الله، داخلةً في عبادته وداخلةً جنته، وقد حازت الرضا من طرفيه وهو شرفٌ لا يُداني، اختصت به نفس الحسين المطمئنة، ولعلّ صدق نزول هذه الآيات في الإمام الحسين عليه السلام يكاد يكون غائباً عن بعض

* أستاذ في الحوزة العلمية، من العراق.

التفاسير، ولا سيما تلك التي لم يتلمس أصحابها أعماق نفس الإمام الحسين عليه السلام المفعمة بالرضا والإيمان والاطمئنان، سوى أن صادق آل محمد صرح في رواية له عليه السلام بأن هذه الآيات نزلت في جدّه الحسين عليه السلام، ومعلوم أن هذه الرواية لا تنافي عموم الآية وشمولها، ولكنها بيان للمصدق الأبرز والأجدر، ولهذا فإن سورة الفجر كما ورد في تسميتها تسمى أيضاً بسورة الحسين عليه السلام ^(١).

إن خلود الإمام الحسين عليه السلام وتعالى شخصيته الشريفة التي تزداد سموً وعلوًا ومعرفةً على تعاقب العصور، منقبة لم تأت من فراغ، بل من كمال الخلق وسمو الروح، ورفعة المرتبة، والتفاني والتضحية والوفاء والفداء، وعصمة القلب وطهارة النفس، وهي صفاتٌ وسماتٌ في الخلق والخلق، تشرّب لها الأعناق، وتهوي إليها الأفتدة، ويتطلع إليها أولئك الراغبون في رضا المحبوب، السائرون إليه العائدون إلى حماه راضين مرضيين، وهي مسيرة لا شك موعلةٌ في العناء والمشقة والتحمل، ودرّب منتهاهُ إمام النصر وإمام الشهادة، بل بلوغٌ للفتح كما عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام في أحد نصوص نهضته الإنسانية المباركة ^(٢).

إن ثقة الإمام الحسين عليه السلام بخالقه وبارئه، ورجاءه في عفوه، وعون الغفور القدير، ويده الممتدة إلى ولي كلّ نعمة، والمرفوعة إلى صاحب كلّ حسنة، والمتطلعة إلى منتهى كلّ رغبة، هي منبر اطمئنان نفسه ومصدر براعته وابتهاله ومناجاته، وهي إشارات الفهم وتنبهات الاقتداء، عندما يقف تحت نقعاء اشتباك الأسنّة والرماح، وبين قرع السيوف وحرّ الطفوف، ووقع حوافر الخيل والجياد، ونزول الشدائد والبلايا، وحلول الحتوف والمنايا، وهو يقول: «اللهم أنت ثقّتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منّي

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٣٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٥٤، ص ٧٨.

إليك عمّن سواك، وفرجته وكشفته، وأنت ولي كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبة»^(١).

بعد هذه الأسطر المقتضبة والمتواضعة في بحر عظمة الحسين عليه السلام، نأتي إلى موضوعنا الذي اخترناه لهذه الندوة، وهو: (النفس المطمئنة الحسينية.. كيف نفهمها؟ وكيف نفتدي بها؟).

بداية نطرح سؤالين - وربما هذا غير متعارف في عنوان الندوة أو البحث، ولكن تعمّدنا ذلك لنقف عند مسألتين أو إشكاليتين في وضعنا المعاصر - السؤال الأول أو الإشكال الأول الذي نواجهه، هو مشكلة المنهج والمنهجية في فهم الشيء، وهذا غائب في كثير من البحوث والمحاولات العلمية التي نجدها في ثنايا الكتب والرسائل الجامعية أو الحوزوية. والسؤال الثاني يرتبط بكيفية الاقتداء، وإشكاليته المترتبة على منهج الفهم لشخص القدوة؟

أصول الفهم في القرآن الكريم

هناك ثلاثة أصول في القرآن الكريم نحاول أن نستفيد منها في هذه الدراسة: الأصل الأول: التأكيد على المنهجية في الفهم والتطبيق، فإذا أردنا أن نفهم شيئاً ما فلا بدّ أن نتعرّف على المنهج الذي نتوصل به إلى فهم ذلك الشيء. الأصل الثاني: التأكيد على طرح الملاكات والمعايير قبل طرح النماذج والمصاديق. الأصل الثالث: إنّ القرآن الكريم يزوج بين النظرية والتطبيق، أو بعبارة أخرى: يزوج بين الملاك والمعيّار وبين المصاديق؛ لأنّه في كلّ واحد من هذه الأصول توجد هناك مجالات للانحراف عن منهج الفهم الصحيح، فالقرآن الكريم - باعتباره كتاب هداية - يريد أن يعطينا المفاتيح الأساسية التي توصلنا إلى الحقيقة المنشودة.

ومن أهمّ المفاتيح الأساسية والمناهج التي يطرحها القرآن الكريم للوصول

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص ٩٦.

إلى المعرفة هو السؤال، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، يعني: أهل العلم، وكما ورد في الحديث الشريف: «العلم خزائن ومفاتيحه السؤال»^(٢). ومن هنا؛ قلنا: ينبغي أن نبادر إلى طرح السؤال في كل موضوع، فإذا أردنا أن نتكلم عن الشخصية الحسينية، وآله عليهم السلام المصداق الأكمل للنفس المطمئنة، فلا بد أن نطرح السؤال المناسب وهو: ما هو المنهج الذي ينبغي أن نتبعه للوصول إلى هذا الفهم؟ والفهم، هو طريق العمل أو مقدّمة العمل، كما أنّ نوع الفهم هو الذي يؤثر على نوع العمل وعلى نوع الاقتداء.

مكونات المنهج

إنّ مصطلح المنهج من المصطلحات الغائبة في بعض الأحيان، فكثير ما يقال: منهج الفهم، ويراد به الأسلوب أو الطريقة، كما يقال في طريقة البيان أو أسلوب البيان.

ونقصد بالمنهج ثلاث نقاط أساسية، هي مكونات المنهج:

النقطة الأولى: مصدر استقاء المعلومة أو مصدر الفهم، وهذه نقطة محورية في المنهج.

النقطة الثانية: سلامة المحتوى الذي يُراد الوصول إليه، وهي نقطة مهمّة في المنهج.

النقطة الثالثة: الأدوات التي تجعلنا نطمئن إلى سلامة المعلومة أو إلى سلامة الفهم.

من هنا؛ يتبيّن المراد من سؤالنا المتقدّم حول المنهج الذي ينبغي اتّباعه من أجل فهم شخصية الإمام الحسين عليه السلام والاقتداء بها؛ فإنّنا نستقي المعلومات - حول هذه

(١) النحل: آية ٤٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٢.

الشخصية العظيمة - من مصادر متعددة، فتارةً يكون مصدر المعلومة آيات القرآن الكريم المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام، وأخرى يكون المصدر سيرة الإمام الحسين عليه السلام، أو مصادر التاريخ، أو ما قيل في الحسين عليه السلام، أو كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أقوال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهكذا.

وأهمية مصدر المعلومة نابعة عن مدى تأثيرها على طبيعة فهم الإنسان، ومقدار وثوقه بهذه المصادر التي تنقل المعلومة؛ ولذا فإنّ التصوير الذي يترسخ في ذهن المتلقي سوف ينعكس على سلوكه أو على طبيعة اقتدائه.

مراتب النفس الإنسانية^(١)

حينما نستقري آيات القرآن الكريم حول النفس الإنسانية نلاحظ ثلاثة مصطلحات:

١- النفس الأمّارة: إنّ النفس بطبعها تدعو إلى مشتيتها من السيئات، فليس للإنسان أن يبرئ نفسه من الميل إلى السوء، وإنّما له أن يكفّ عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشرّ؛ وذلك برحمة من الله سبحانه: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتُ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

٢- النفس اللوامة: قال تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^(٣)، والنفس اللوامة هي الضمير الذي يؤنّب الإنسان على ما اقترفه من السيئات والآثام، خصوصاً بعدما يفيق من سكراتها، فيجد نفسه تنحدر في دوامة الندم على ما ارتكبه، وهذا يدل على أنّ النفس ممزوجة بالميل إلى الشهوات، وفي الوقت نفسه فيها ميل إلى الحقّ والعدل،

(١) أنظر: مراتب النفس في الذكر الحكيم، مقال منشور على موقع العتبة الحسينية المقدّسة:

<https://imamhussain.org/holy-quran/6309>

(٢) يوسف: آية ٥٣.

(٣) القيامة: آية ٢.

ولكلّ تجلٍّ خاصّ، فإنّ غلبة الشهوات يحول دون ظهور نور العقل، فيقترب المعاصي والآثام، ولكنه ما إنّ تحمد شهوته حينها يصفو أمامه جمال الحياة وتتكشف مضرات اللذة، فتستيقظ النفس اللوامة وتأخذ باللوم والعدل إلى حدّ ربما تدفع بصاحبها إلى الانتحار؛ لعدم تحملها وطأة تلك الجريمة، وهذه النفس حيّة يقظة لا تتصدع بكثرة الذنوب وإن كانت تضعف بممارستها.

٣- النفس المطمئنة: وهي النفس التي توصلها النفس اللوامة إلى حدّ لا تعصف بها عواصف الشهوة، وتطمئنّ برحمة الربّ وتحسّ بالمسؤولية الموضوعية على عاتقها أمام الله وأمام المجتمع، يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾^(١)، فصاحب هذه النفس يمتلئ بالسرور والفرح عند الطاعة، وتجد في صميمها لذة للطاعة، وحلاوة للعبادة لا يمكن وصفها بالقلم واللسان.

خصائص النفس المطمئنة

إنّ القرآن الكريم باعتباره أهم مصدر من مصادر المعرفة خصّص سورة الفجر لبيان قمة التكامل الإنساني، أو قمة الكمال البشري الذي يتجلّى في النفس المطمئنة، ذات الخصائص والمميزات التي تبين أنّ الله سبحانه وتعالى قد فتح لنا طريق الفهم للوصول إلى النموذج المطلوب من التكامل الإنساني وتطبيقه - كما في بعض النصوص الروائية - على الشخصية الحسينية، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنّها سورة الحسين بن علي عليه السلام وارغبوا فيها رحمكم الله تعالى. فقال له أبو أسامة وكان حاضر المجلس: وكيف صارت هذه السورة للحسين عليه السلام خاصّة؟ فقال: ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآية إنّما يعني الحسين بن علي عليه السلام، فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية، وأصحابه من آل محمد صلوات الله عليهم هم الراضون عن الله يوم القيامة، وهو راضٍ عنهم. وهذه السورة في الحسين

(١) الفجر: آية ٢٧-٢٨.

ابن علي عليه السلام وشيعته وشيعة آل محمد خاصة، مَنْ أَدَمَنَ قِرَاءَةَ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ كان مع الحسين ابن علي عليه السلام في درجته في الجنة، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(١).

وهذا لا ينافي أن ينطبق هذا النموذج الكامل على رسول الله ﷺ، وعلى جميع أهل البيت عليه السلام باعتبارهم نور واحد، ولكن ربما هناك خصوصية في الشخصية الحسينية أشار إليها رسول الله ﷺ وأهل البيت عليه السلام في جملة من الروايات، كما في الحديث المعروف عن رسول الله ﷺ: «حسین منی وأنا من حسین، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٢)، وقوله ﷺ: «علي بن أبي طالب أفضل خلق الله غيري، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»^(٣).

أمّا إذا أردنا أن نقف على معالم النفس المطمئنة وخصائصها من خلال النص القرآني، فنلاحظ في الآيات المباركة الأخيرة مجموعة خصائص تعبر عن أنّ هذه النفس هي أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الإنسان في الحياة ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ * ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ * ﴿فَادْخُلِي فِي عِذِّي﴾ * ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(٤)، وهذه الخصائص والمميزات لا نجدها في النفس اللوامة ولا في النفس الأمارة بالسوء، وهي كما يلي:

الخاصية الأولى: الاطمئنان

إنّ مصطلح (النفس المطمئنة) فيه دلالة بيّنة على أنّ الاطمئنان الذي ذكره الله سبحانه وتعالى لهذه النفس يجعلها في مرتبة الريادة، بعد أن انتقلت من الحزن والخوف والقلق إلى أعلى مرتبة وهي مرتبة الاطمئنان، والآيات القرآنية الأخرى تشرح هذا الاطمئنان وأسبابه.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٨-٢١٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٤٣، ص ٢٦١.

(٣) المصدر السابق: ج ٢٥، ص ٣٦٠.

(٤) الفجر: آية ٢٧-٣٠.

الخاصية الثانية: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾

إنَّ الرجوع إلى الله تعالى، خاصيةٌ للنفس المطمئنة، أي هي النفس التي تعيش حالة الرجوع والارتباط بالله سبحانه وتعالى، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، والإنسان الذي يعيش حالة الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى في كل لحظة من لحظات حياته، فهو يرتبط بالله ارتباطاً مطلقاً ودائماً ويكون هدفه الأقصى والكمال الذي يريد الوصول إليه هو الله سبحانه وتعالى، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١). إذاً؛ هذه النفس تعيش الحالة الكمالية أو التكاملية، وهي الارتباط الدائم بالمثل ارتباطاً يجعلها في حالة الرجوع هذه.

الخاصية الثالثة: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾

وتعني هاتان الصفتان أنَّ هذه النفس قد بلغت هذه المرحلة (حالة الرضا) وهي أعلى حالة يمكن أن يصلها الإنسان في مسيره التكاملي، وقد أشارت إلى هذا المعنى مجموعة من الأحاديث الشريفة التي ذكرت مراتب الكمال الإنساني. أمّا عن أي شيء يكون رضا النفس، هل عن الله تعالى؟ أو عن نفسها؟ أو عن الذي حصلت عليه؟

وهنا يمكن أن نتأمل في آيات القرآن الكريم التي تتكلم عن الرضا، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ * فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَسَوْفَ يُرْضَىٰ﴾^(٢)، عن ماذا يرضى؟ ينبغي أن ندخل في تفسير مفصل عن معنى هذا الرضا، وعن نوع الجزاء الذي سيعطى لهذا العبد الأتقى، وهذا ما لا

(١) الكهف: آية ١١٠.

(٢) الليل: آية ١٢-٢١.

يسعه المقام. ولكن من الواضح أنّ الرضا يكون بقضاء الله وقدره، وبما قسم الله وبها قدر سبحانه وتعالى لنا من خير وكمال، وبما أَرادَه لنا من مسؤوليات وواجبات، وهذا المعنى منصوص في الروايات الشريفة، فعن النبي ﷺ أنّه قال: «أوحى الله إلى موسى (صلوات الله عليه) إنّك لن تتقرب إليّ بشيء أحبّ إليّ من الرضا بقضائي»^(١)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «نعم القرين الرضا بقضاء الله»^(٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإيمان أربعة أركان: الرضا بقضاء الله، والتوكّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والتسليم لأمر الله»^(٣).

ومن الآيات التي تناولت موضوع الرضا قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَىٰ﴾^(٤)، وهنا أيضاً توجد لدينا روايات متعدّدة تبيّن كيفية ذلك الرضا ووقته، وأنّ رضى رسول الله ﷺ منوط ببحث الشفاعة، ومدى تأثيرها في حصول الرضا لرسول الله ﷺ وهو أحرص الناس على أمته وأرحمهم بها^(٥).

الفرق بين (راضية ومرضية)

ثمّ إنّ هذا الرضا الذي وصل إليه هذا العبد الراجع إلى الله سبحانه وتعالى مقرونٌ بأنّه مرضي، بمعنى أنّ صاحب النفس المطمئنة الذي وصل إلى مرتبة الرضا يتكامل في هذا الطريق حتّى يرضى الله عنه فتكون شخصيته مرضية، وقد عبّر القرآن الكريم عن تكامل الإنسان في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَكِّدِينَ﴾^(٦)، فالنفس الإنسانية باعتبارها نفحة إلهية بإمكانها أن تستمر في مراحل

(١) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج ١، ص ٢١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٥٦.

(٤) الضحى: آية ٥.

(٥) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ١، ص ١٧٦.

(٦) الحجر: آية ٢٩.

تكاملها حتى تصل مرحلة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١)، أي: حتى بعد عالم الدنيا تبقى النفس الإنسانية تستقي من فيض الله سبحانه وتعالى، فكما يبقى هذا التكامل في عالم الدنيا وهو يوم عمل لا حساب، كذلك يبقى في عالم ما بعد الحياة الذي هو يوم حساب لا عمل، وذلك فيما إذا بلغ الإنسان إلى مرتبة من الكمال يمكن أن يستمر فيها، فالآية (راضية مرضية) يمكن أن نعتبرها مرحلة من مراحل كمال هذا الإنسان، كما أن قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَاَدْخُلِي جَنَّتِي﴾، يمكن أن يعتبر مرحلة أخرى من مراحل التكامل. إذا؛ فالإنسان يمكن أن يصل إلى مرحلة الرضا بقضاء الله وقدره ثم يستمر ويتكامل.

كما أشارت إلى هذا التكامل الآيات القرآنية التي تتكلم عن الإخلاص والمخلصين والمخلصين، ﴿الْأَعْبَادَ الَّذِينَ كَانُوا فِي حَالِ عِبَادَةٍ فَخُلِقُوا مِن قَبْلِكَ بَشَرًا مَّحْسَبًا * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمِنْهَا كُنْتُمْ فَاعْتَبِرُوا ۚ إِنَّكُمْ لِرَبِّكُمْ لَأَنذَرْتُمْ﴾^(٢)، وهم الذين قبل إخلاصهم ووصلوا إلى مرحلة بحيث لا يستطيع الشيطان أن يمسه بسوء. إذا؛ فالقرآن الكريم هنا يبين لنا أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الإنسان في مسيره التكاملي. والمصدق الأتم والأكمل للشخصية المتكاملة هم أهل البيت عليهم السلام، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «نحن حجة الله في عباده، وشهادته على خلقه، وأمنائه على وحيه، وخزانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه، وعينه في برئته، ولسانه الناطق، وبابه الذي يدل عليه، نحن العالمون بأمره، والداعون إلى سبيله، بنا عرف الله وبنا عبد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله»^(٣).

وخير دليل على ذلك هي الزيارة الجامعة التي بينت أسباب وكيفية الوصول إلى هذا المستوى المرموق من التكامل.

(١) القيامة: آية ٢٢-٢٣.

(٢) الحجر: آية ٤٠. ص: آية ٨٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٢٦٠.

التفسير البنائي للسورة

يمكن أن نطرح هنا تساؤلاً مفاده: ما هي العلاقة بين قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَيْلَى جِجْرٍ﴾، وكذا ما بينها وبين هذه الشخصية المتكاملة التي بلغت القمة في الكمال، أو الوصول إلى ﴿النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ كما في التعبير القرآني؟ هذه النقطة تحتاج إلى إضاءة، وخلاصتها: لا بدّ أن تكون هناك علاقة بين هذا القسم بخصوص هذا الزمن الخاصّ ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيْلَى عَشْرٍ﴾^(١)، وبين ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي جِجْرٍ﴾^(٢) أي: الإنسان اللبيب العاقل؛ لأنّ كلّ سورة قرآنية لها هندسة خاصّة، وبنائية خاصّة، ويمكن أن نرجعكم في هذا المجال إلى كتاب (التفسير البنائي) للمرحوم الدكتور محمود البستاني^(٣).

والتفسير البنائي لهذه السورة يختلف عن سورة الليل وعن سورة الضحى والسور الأخرى؛ إذ نرى في هندسة هذه السورة ارتباطاً وثيقاً بين مطلع السورة ونهايتها وبين أجزاء السورة، فقد نقلتنا من (الفجر) إلى (ذي ججر)، ثمّ إلى ثلاث حضارات إنسانية مميّزة ذكرها القرآن الكريم وانتهى بنا إلى أسباب انهيار هذه الحضارات ودمارها، كما نقلتنا إلى التصورات الخاطئة للإنسان التي تجعله ينحرف عن المسير المطلوب ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ، فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ * كَلَّا...﴾^(٤)، وهذه التصورات عبارة عن: الخطأ في فهم الحياة، الخطأ في فهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الإنسان، الخطأ في فهم الأهداف، الخطأ في فهم المسيرة، وهذه الأخطاء مع تطبيقاتها تنتهي بالإنسان إلى طريق مسدود.

(١) الفجر: آية ١-٢.

(٢) الفجر: آية ٥.

(٣) أنظر: البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم: ج ٥، ص ٣٣٤-٣٤٢.

(٤) الفجر: آية ١٥-١٧.

ثم يأتي القرآن الكريم ليفتح أذهاننا ويرشدنا إلى المفتاح المهم الذي يغيّر من حياة الإنسان ويجعله يعيد النظر في كيفية فهمه للحياة ، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَآنِيَ لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(١)، وهنا تكمن النقطة المفصلية الأساسية التي تربط الإنسان في الدنيا بالآخرة، وتجعله يغيّر كلّ حساباته ومعاييره، وهذا هو الشيء الغائب غياباً كبيراً عن حياتنا، وذلك لحبّ الإنسان وتعلّقه بالدنيا، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾^(٢).

فلماذا يقع الإنسان في هذا الفخ، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْحَمَى﴾^(٣)! ولماذا يغيب عنا، أو نغيب نحن عن أننا أبناء الآخرة؟! فنحن نعيش للدنيا ونترك الآخرة، بينما الآخرة هي قدرنا، فلو بقي الإنسان يستذكر هذه الحقيقة المهمة في حياته، ويسترشد بهدي القرآن الكريم بشكل جيد، سوف يرجع في حساباته ويتفتح عقله، ويبدأ باستثماره في تغيير فهمه عن حقيقة الحياة وعن المصير الذي ينتظره، ويسلك طريق الشخصية المتكاملة أو (النفس المطمئنة) التي طبقت في بعض الأحاديث الشريفة على شخصية الحسين عليه السلام والنفس المطمئنة الحسينية.

كيفية الاقتداء بالنفس المطمئنة الحسينية

من الإشكاليات التي نعيشها في الوقت الحاضر هو موضوع الاقتداء؛ إذ نجد كثيراً ممن يحبّ الإمام الحسين عليه السلام ويتبعه ويواليه في مجتمعنا الإسلامي يتضاربون في سلوكهم ما بين مُفرط ومفرط، ما بين غالٍ ومقصرٍ ومعتدل، وهذه نقطة لا بدّ

(١) الفجر: آية ٢١-٢٤.

(٢) القيامة: آية ٢٠-٢١.

(٣) الضحى: آية ٤-٥.

من معرفة منشأها، ولماذا هذا الاختلاف الكبير في سلوك الموالين والمحبين للإمام الحسين عليه السلام، مع اعتقادهم بأنهم يتبعون الإمام الحسين عليه السلام كما ينبغي؟

ومن هنا؛ ينبغي أن نعرِّج على أسباب هذا التضارب في السلوك، والنتيجة عن الفهم الخاطئ أو الفهم المشوب ببعض السلبيات التي تؤثر على السلوك، فإنَّ طريقة فهمنا للإمام الحسين عليه السلام هي التي تؤثر على كيفية اقتدائنا به عليه السلام وهكذا بالنسبة إلى سائر أهل البيت عليهم السلام.

يوجد اختلاف في التصوُّر والفهم لمقام أهل البيت عليهم السلام بحيث إنَّ بعض التصوُّرات والأفهام تمنعنا من الاقتداء بهم عليهم السلام، فمثلاً هناك صنف من الناس يتصوِّرون أنَّ أهل البيت عليهم السلام لا يمكن الاقتداء بهم؛ لأنَّهم في مرتبة عليا من الكمال ليس بمقدورنا الوصول إليها، وأننا عاجزون عن فهمهم وعن تصوُّر مكانتهم ومقامهم. وفي المقابل هناك مَنْ يحبُّون أهل البيت عليهم السلام ويودِّونهم عملاً بآية المودَّة، لكنَّهم لا يرون صحَّة الاقتداء بهم، ويجعلونهم بمنزلة البشر العاديين؛ وأنَّه لا فرق بينهم وبين سائر الصحابة.

وكلا الرؤيتين تمنعان من الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام، أمَّا الأولى فهي رؤية غالية تعتقد بعدم إمكان الاقتداء بهم عليهم السلام؛ لعلو مرتبتهم، وأمَّا الأخرى فهي رؤية تقصيرية تمنع - كذلك - من الاقتداء بهم عليهم السلام؛ باعتبارهم أناساً عاديين.

واللازم قوله هو: إنَّ الله تعالى جعل أهل البيت عليهم السلام قدوةً لنا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١)، وإلَّا فلو كان عندنا نبيٌّ أو إمامٌ لا يمكن أن

نقتدي به فما الفائدة من وجود هذا النبي أو هذا الإمام؟! وما الفائدة من ولائنا له؟! إذاً؛ ينبغي أن يكون فهمنا فهماً يجعلنا قادرين على الاقتداء بهم؛ رغم أنَّنا لا نصل إلى

(١) الأحزاب: آية ٢١.

مرتبتهم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»^(١)، فنحن لا يمكن أن نكون كأمر المؤمنين عليهم السلام ولكن بإمكاننا أن نقندي به عليه السلام.

أمّا بناءً على الرؤية التقصيرية والغالية فلا يمكن للإنسان الاقتداء مطلقاً، وبذلك يبدء يتهرّب من مهمّة ومسؤولية الاقتداء بهم عليهم السلام؛ ولذلك نجد الإفراط والتفريط فيما بين الموالين والمحبين لأهل البيت عليهم السلام.

إذاً؛ هناك بون شاسع بين هؤلاء المحبين؛ يعود سببه إلى سوء الفهم والنظرة الخاطئة إلى أهل البيت عليهم السلام، والابتعاد عن الأساسيات التي أرادها الله سبحانه وتعالى أن تكون في الشخصية القدوة من أنبياء ورسول وأئمة عليهم السلام.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

الكتب

- ١ - الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٢ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهودي، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٣ - التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- ٤ - تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٥ - شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق: السيّد علي عاشور، الناشر:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ٤٧٤.

دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٦ - عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق
وتصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٧ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري،
الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ ش.

المواقع الإلكترونية

8- <https://imamhussain.org/holy-quran/6309>

(الحسين سبط من الأسباط)

دراسة موضوعية في ضوء الروايات والآيات القرآنية

الشيخ حميد البغدادي*

مقدمة

لا شك في أهمية المصطلح في التخاطب والتفاهم بين الناس، وأهمية تحديد مدلوله ومحتواه، خصوصاً إذا كان في المنظومة الفكرية والعقائدية، فهو يسهل تحديد مقصود المتكلم والمُحاور للقارئ، كما له أهمية وافرة في الوصول إلى العقيدة الحقّة، أو الحكم الصحيح عند الاستدلال الفقهي مثلاً، فهو قالب للمفهوم، ولا بدّ من تحديده ابتعاداً عن فوضى المفاهيم، وتأصيلاً للمفاهيم الفكرية والعقائدية.

ونجد في القرآن الكريم حشداً من المصطلحات يحسن ويجدر الاهتمام بها وتبسيط الضوء عليها؛ لما يترتب على ذلك من الفوائد الجمّة والخير العميم؛ فالقرآن الكريم هو المصدر الأساس الذي يشكّل قاعدة الفهم المعرفي والعقائدي لفكرنا الإسلامي، ومائدة ثرة في الفكر والمعرفة والفقہ والتربية والأخلاق.

ومن المصطلحات التي احتلّت مكاناً متميّزاً في إرثنا الفكري والعقائدي مصطلح الأسباط والسبط، فقد ورد في القرآن الكريم في موارد عدّة، وكذلك في الروايات الشريفة.

ومن الواضح أهمية هذا المصطلح ودلالاته، ودوره المتميّز في المنظومة العقائدية، فهو يتضمّن دلالة على الولاية بالمعنى الأخص.

* أستاذ في جامعة المصطفى ﷺ العالمية، من العراق.

والحديث «حسين سبط من الأسباط» حديث متواتر نقله الثقات، ورواه الفريقان في عدة مصادر، وقد اختلف العلماء والباحثون في المراد منه، كما اختلفوا في المراد من الأسباط في القرآن الكريم، ونبه على أن كلمة السبط في الروايات الشريفة أطلقت على الإمام الحسين عليه السلام على انفراد في الأغلب، وبمعنى الإمام الحسن عليه السلام في موارد أخرى، بل أشارت بعض الروايات إلى انطباق اللفظ على الإمام علي عليه السلام كما سيأتي، ولم يُوصف غيرهم من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بذلك؛ مما يدل على خصوصيته لهم عليهم السلام.

وسنحاول باختصار استعراض ما ورد بخصوص لفظ السبط والأسباط في القرآن الكريم، والمعاني المرادة منه، وأقوال العلماء والمفسرين، بعد تبيان المراد من المصطلح لغة، ثم سنعقب بما ورد بخصوص الإمام الحسين عليه السلام في الحديث الشريف؛ لنحاول الخروج بالمراد من إطلاق لفظ السبط على الإمام الحسين عليه السلام في السنة المطهرة، وسنذكر ذلك في مباحث:

أولاً: الأسباط في القرآن الكريم

جاء ذكر لفظ الأسباط في عدة مواضع من الكتاب الكريم، ولم يرد لفظ السبط في القرآن الكريم. نعم، ورد ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة، وأحاديث الأئمة عليهم السلام، وذكرت كلمة (الأسباط) في القرآن الكريم - معرفة بالألف واللام - أربع مرات، مرتان في سورة البقرة، وثالثة في سورة آل عمران، ورابعة في سورة النساء، وكلها سور مدنية، كما أنها جاءت على شكل نكرة - من دون (ال) - مرة واحدة في سورة الأعراف (وهي سورة مكية ما عدا الآية ١٦٣)، والآيات هي:

- ١- ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ وَأَسْمِعُوا لِقَائِهِمْ أَصْوَابًا وَأَسْبَابًا وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

(١) البقرة: آية ١٣٦.

٢- ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا أَنزَلْنَاهُمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَأَنَّا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

٣- ﴿قُلْ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

٤- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٣).

٥- ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ ۖ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ ۖ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ۖ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤).

ويمكن الاستنتاج مما تقدّم من الآيات الكريمة ما يلي:

- إنّ الله أوحى إلى الأسباط كما أوحى إلى سائر الأنبياء ﷺ، فذكرهم مع الأنبياء، والوحي إليهم ظاهره اعتبارهم من الأنبياء.
- الإيذان الكامل بما أنزل عليهم وعلى الأنبياء والرسول، وعدم التفرقة بينهم.
- نفي كون الأسباط هوداً أو نصارى، وإيتم اتوا بعد يعقوب وقبل موسى وعيسى ﷺ.

(١) البقرة: آية ١٤٠.

(٢) آل عمران: آية ٨٤.

(٣) النساء: آية ١٦٣.

(٤) الأعراف: آية ١٦٠.

- تكرر ذكر كلمة الأسباط في الآيات الكريمة أعلاه ملحقة بذكر يعقوب؛
يوحي بأن لهم صلة انتساب وقرابة به.
- أسباط بني إسرائيل اثنا عشر سبطاً، وهم النقباء.

ثانياً: السبط والأسباط في اللغة

ذكر علماء اللغة للسبط (بكسر السين) عدّة معانٍ:
المعنى الأول: الولد أو ولد الولد أو البنت، وتغلّب على ولد البنت. قال الراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢هـ): «والسَّبَط: ولد الولد»^(١).
وقال ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ): «وقيل الأسباط خاصّة: الأولاد. وقيل: أولاد الأولاد، وقيل: أولاد البنات»^(٢).
وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): «السبط والسبطان والأسباط خاصّة: الأولاد والمُصَاوِئُ منهم [الأصيل منهم]. وقيل: السبط: واحد الأسباط، وهو ولد الولد. [وقال] ابن سيده: السبط: ولد الابن والابنة»^(٣).
المعنى الثاني: القبيلة، قال الفراهيدي (ت ١٧٠هـ): «والسَّبَطُ من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب»^(٤).
وقال الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): «قال الزجاج: السبط: الجماعة يرجعون إلى أب واحد... ومن ثمّ قيل لولد يعقوب: أسباط»^(٥).
وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): «والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد، سُمِّي سبطاً ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق»^(٦).

(١) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ج ١، ص ٣٩٤.

(٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٣٣٤.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٧، ص ٣١٠.

(٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٧، ص ٢١٩.

(٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ٤٠٤.

(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٧، ص ٣١٠.

وقد ذهب بعض - كالسيوطي (ت ٩١١هـ)^(١) - إلى أن مفردة (سبط) دخيلة وليس عربية؛ لورودها بمعية أسماء عبرية، ومثلها كثير في العهد القديم.

ثالثاً: الأسباط في التفسير

وقع اختلاف في كتب التفسير في المراد من الأسباط الذين ذُكروا في القرآن الكريم، وما هو معناها ومصداقها الخارجي؟
هناك عدة أقوال:

القول الأول: الأسباط هم أولاد يعقوب عليه السلام. قال الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ):
«والأسباط وهم أولاد يعقوب»^(٢). وقال محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ): «والمشهور عند المفسرين أن الأسباط هم أولاد يعقوب»^(٣).

القول الثاني: هم طوائف بني إسرائيل من أولاد يعقوب الاثني عشر. قال السجستاني (ت ٣٣٠هـ): «الأسباط: في بني يعقوب كالقبائل في بني إسماعيل، واحدهم: سبط، وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ولداً ليعقوب»^(٤). وقريب منه ما في مجمع البيان والتفسير الكبير^(٥).

وأشار العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) إلى هذا القول بأن «الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل، والسبط كالقبيلة الجماعة يجتمعون على أب واحد... فإن كان المراد بالأسباط الأمم والأقوام فنسبة الإنزال إليهم لاشتغالهم على أنبياء من سبطهم»^(٦).

(١) السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن: ج ١، ص ٣٩٦.

(٢) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٣، ص ٢٤١.

(٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ج ٦، ص ٦٩.

(٤) السجستاني، محمد بن عزيز [عزير]، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب: ص ٥.

(٥) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٣، ص ٢٤١. الرازي، محمد بن عمر،

تفسير الرازي: ج ٤، ص ٩١.

(٦) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ١، ص ٣١٢.

وقد ذكر صاحب الأمل في تفسير كتاب الله المنزل أن «المقصود من الأسباط - إذن - ليس أبناء يعقوب، فهؤلاء ارتكبوا جميعاً ذنباً بحق أخيهم ولا يصلحون للنبوة، بل المقصود قبائل بني إسرائيل، أو أحفاد يعقوب ممن كان لهم أنبياء، ولما كان بين هؤلاء الأسباط أنبياء، فالآية عدتهم بين أولئك الذين نزلت عليهم آيات الله»^(١).

ويؤيد ما تقدّم ما في المفردات للراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢ هـ): «**وَيَعْقُوبُ وَالْأَسْبَاطُ**»، أي: قبائل، كلّ قبيلة من نسل رجل»^(٢).

القول الثالث: المراد بالأسباط الأشخاص الذين كانوا أنبياء، أنزل إليهم الوحي من ذرية يعقوب عليه السلام، أو من أسباط بني إسرائيل كداوود، وسليمان، ويونس، وأيوب عليه السلام، وغيرهم.

قال العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ): «... وإن كان المراد بالأسباط الأشخاص كانوا أنبياء أنزل إليهم الوحي، وليسوا بإخوة يوسف لعدم كونهم أنبياء، ونظير الآية قوله تعالى: «**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى**»^(٣)»^(٤).

القول الرابع: لفظ دالٌّ على نبي أو رسول، أي: اسم علم مفرد جاء اسمه على وزن الجمع، وقد يؤيد ذلك بما يلي:

- ١- الألفاظ التي تسبقه أو تأتي بعده بأجمعها من الأعلام.
- ٢- تسمية بعض الأعلام بأسباط، كأسباط بن واصل الشيباني (المتوفى نحو ١٣٨ هـ)، وأسباط بن نصر الهمداني (ت ١٧٠ هـ)، وأسباط بن محمد بن عبد الرحمن القرشي (ت ٢٠٠ هـ)، وأسباط بن سالم الكوفي (ق ٢)، وأسباط بن عروة البصري

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١، ص ٣٩٥.
 (٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ج ١، ص ٢٢٢.
 (٣) النساء: آية ١٦٣.
 (٤) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ١، ص ٣١٢.

(ق ٢)، وأسباط بن محمد بن عمرو القرشي (ق ٢)، وأسباط أبو اليسع البصري (ق ٢)، وأسباط بن يزيد بن أسباط المخزومي (ت ٣٩٢هـ).

رابعاً: الأسباط ونقباء بني إسرائيل

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(١). قال الراغب (ت ٥٠٢هـ): «والنقيب: الباحث عن القوم وعن أحوالهم، وجمعه نقباء، قال: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾»^(٢).

وقال في تفسير الميزان تعليقاً على الآية الشريفة: «والله سبحانه يقصص على المؤمنين من هذه الأمة ما جرى على بني إسرائيل من إحكام دينهم، وتثبيت أمرهم بأخذ الميثاق، وبعث النقباء، وإبلاغ البيان، وإتمام الحجّة، ثم ما قبلوه به من نقض الميثاق، وما قبلهم به الله سبحانه من اللعن وتقسية القلوب وغير ذلك، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وهو الذي يذكره كثيراً في سورة البقرة وغيرها، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، والظاهر أنّهم رؤساء الأسباط الاثني عشر، كانوا كالولادة عليهم يتولون أمورهم، فنسبتهم إلى أسباطهم بوجه كنسبة أولي الأمر إلى الأفراد في هذه الأمة، لهم المرجعية في أمور الدين والدنيا»^(٣).

خامساً: حديث «حسين سبط من الأسباط»

نُقل هذا الحديث في مصادرنا ومصادر مدرسة الجمهور، وهو من الأحاديث المسلّم بها بين الفريقين، فقد ورد مسنداً عن يعلى بن مرة العامري أنّ رسول الله ﷺ قال: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٤).

(١) المائدة: آية ١٢.

(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ج ٥، ص ٢٤٠.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ٥، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٤) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٧٧. الترمذي،

جاء في لسان العرب: «الحسين سبط من الأسياب، أي: أمة من الأمم في الخير»^(١).
أي: هو بمنزلة الأمة في الخير.

وقال صاحب غاية المأمول: «والمراد هنا أنّ الحسين عليه السلام في أخلاقه وأعماله الصالحة في دنياه كأمة صالحة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِيرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، ويُبعث الحسين في الآخرة له شأن وجاه عظيم، كأمة ذات شأن عظيم، ونفس هذا الكلام يأتي في الإمام الحسن عليه السلام؛ لما قدّمناه من أنّ بعض المصادر نقلت: الحسن والحسين سبطان من الأسياب»^(٣).

وقال ابن الأثير في النهاية: «الحسين سبط من الأسياب، أي: أمة من الأمم في الخير، والأسياب في أولاد إسحاق بن إبراهيم الخليل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، واحدهم سبط، فهو واقع على الأمة، والأمة واقعة عليه، ومنه الحديث الآخر: الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله، أي: طائفتان وقطعتان منه»^(٤).

محمد بن عيسى، صحيح الترمذي: ج ٥، ص ٦١٧. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ١٧٢. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥١. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة: ج ٧، ص ٥١٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد: ص ١٥٠. ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان: ج ١٥، ص ٤٢٨. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ٣٢، و ص ٣٣، و ج ٢٢، ص ٢٧٤. ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٤٩، و ص ١٥٠، و ج ٦٤، ص ٣٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣٤٥، وغيرها. ومن مصادر الخاصّة أنظر: القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ٨٨، و ص ١١٢. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٢٧. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٧، ص ٧٤. الفراء، الحسين بن مسعود، مصابيح السنّة: ج ٤، ص ١٩٥.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٧، ص ٣١٠.

(٢) النحل: آية ١٢٠.

(٣) ناصف، منصور علي، غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول: ج ٣، ص ٣٥٩.

(٤) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢، ص ٣٣٤.

وقال الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ): «وقيل للحسين: سبطا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ لانتشار ذريتهم»^(١).

ومن الواضح أنّ النبي ﷺ لا يُريد بهذا الحديث الرابطة النسبية بينه وبين الحسين ﷺ، بل المقصود ما هو أبعد من ذلك، كوحدة المنهج والهدف، والروح الرسالية التي يحملها الحسين ﷺ في سبيل إرساء رسالة الله، والحفاظ على أصولها، والتي تهدف إلى إصلاح الإنسان، وتخليصه من مستنقعات الجهل والظلام، والرقي به نحو سُلّم الكمال، والوصاية على تطبيق الرسالة، والمحافظة عليها من الانحراف. وقد وردت مجموعة أخرى من الأحاديث تصرّح أنّ الحسن والحسين سبطان من الأسياب، منها:

١- ما روي عنه ﷺ: «حسين منّي وأنا منه، أحبّ الله من أحبّ حسينا. الحسن والحسين سبطان من الأسياب»^(٢).

٢- ورُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «إنّ الحسن والحسين سبطا هذه الأمة، وهما من محمد كمكان العينين من الرأس، وأما أنا فكمكان اليد من البدن، وأما فاطمة فكمكان القلب من الجسد، مثلكنا مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٣).

٣- وفي الكافي: «عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: خرج النبي ﷺ ذات يوم وهو مستبشر يضحك سُروراً، فقال له الناس: أضحك الله سنك يا رسول الله، وزادك سروراً. فقال: رسول الله ﷺ: إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا ولي فيها تحفة من

(١) الألوسي، محمود، روح المعاني: ج ١، ص ٣٩٢.

(٢) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج ١٢، ص ١١٥. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الأمالي: ج ١، ص ١٥٧. البخاري، محمد بن إساعيل، التاريخ الكبير: ج ٨، ص ٤١٥. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ٣٢.

(٣) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ص ٣٥٨.

الله، ألا وإن ربّي أتحنّني في يومي هذا بتحفة لم يتحنّني بمثلها فيما مضى، إن جبرئيل أتاني فأقرأني من ربّي السلام، وقال: يا محمد، إن الله عزّ وجلّ اختار من بني هاشم سبعة، لم يخلق مثلهم فيمن مضى، ولا يخلق مثلهم فيمن بقي، أنت يا رسول الله سيّد النبيين، وعلي ابن أبي طالب وصيك سيّد الوصيين، والحسن والحسين سبطاك سيّدا الأسباط، وحمزة عمّك سيّد الشهداء، وجعفر ابن عمّك الطيار في الجنّة يطير مع الملائكة حيث يشاء، ومنكم القائم يُصلّي عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلى الأرض من ذرية علي وفاطمة من ولد الحسين عليه السلام»^(١).

سادساً: النقباء على لسان الرسول ﷺ

جاء في مستدرک الحاكم بإسناده «عن الشعبي، عن مسروق، قال: كنّا جلوساً ليلة عند عبد الله يقرئنا القرآن، فسألته رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: عبد الله ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سأله فقال: اثنا عشر، عدّة نقباء بني إسرائيل»^(٢).

وفي هذا الحديث نكات - كما أوردها الشيخ الوحيد (مدّ ظله) - نوردها في نقاط^(٣):

- ١- حصر الخلفاء في اثني عشر.
- ٢- استمرار خلافة هؤلاء الاثني عشر إلى يوم القيامة.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٤٩.

(٢) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ٥٠١. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وطرقها عن كبار الصحابة، مثل: ابن عباس، وابن مسعود، وسلمان الفارسي، وأبي سعيد الخدري، وأبي ذر، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأبي ثامة، ووائل بن الأَسقع، وأبي أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن أسيد، وعمران بن حصين، وسعد بن مالك، وحذيفة بن اليان، وأبي قتادة الأنصاري وآخرون.

(٣) أنظر: الوحيد الخراساني، حسين، منهج الصالحين: ج ١، ص ١٩٩.

٣- توقف عزة الإسلام وأُمَّته ومنعتها عليهم.

٤- إن قوام الدين علماً وعملاً بهم؛ لأن قوامه العلمي بمفسر للكتاب ومبين لحقائقه ومعارفه، وقوامه العملي بمنفذ لقوانينه وأحكامه العادلة، وهذان الغرضان المهمان لا يتسران إلا بتحقيق شروط خاصّة في هؤلاء الأئمة الاثني عشر.

٥- إن اختياره ﷺ للتنظيم بنقباء بني إسرائيل - مع أنّ النظر للعدد متعدد - تنبيه على أنّ خلافهم ليست بانتخاب من الناس، بل تعيين من الله، فقد قال الله تعالى عن النقباء: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

٦- إن هؤلاء الأئمة من قريش.

سابعاً: الأسباط والنقباء

المقصود من التعبير بالأسباط في الأحاديث الشريفة هو النقيب، تشبيهاً له بنقباء بني إسرائيل، الذي فيه إشارة إلى الولاية والحكومة والسلطة، وأنّ الأئمة ملزمة باتباعهم والانقياد لهم، وإلا فالاحتمالات الأخرى بعيدة عن هذا المضمون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، فالأسباط المذكور في القرآن الكريم له عدّة معانٍ، وعندما يذكر في الحديث الشريف يُفهم المقصود من القرآن الكريم.

ولعلّ من المؤيدات لذلك:

١- التحديد بالاثني عشر، وهذا مناسب للنقباء، وليس الأسباط المعدودين ضمن الأنبياء.

٢- يُفهم من الأحاديث التأكيد على ولايتهم وحكومتهم، وهو مناسب للنقيب.

٣- تذكير الأحاديث بأنّ الأحداث في هذه الأمة مشابهة لأحداث بني إسرائيل، وهو

يناسب النقباء؛ لأنّ الأسباط الذين هم في عداد الأنبياء من أزمنة سابقة، فهم يذكرون

بعد يعقوب وقبل موسى، يقول تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾، ويقول عز وجل: ﴿أَمْرُنُفُولُونَ إِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾.

ونؤكد هنا أن بعض الروايات عندما تذكر تشبيه الإمام الحسين عليه السلام بالسبط قد تشمل معاني أخرى غير النقباء، ولا مانع من انطباق معانٍ أخرى عليه عليه السلام، ولكن عند الإطلاق ينصرف معنى السبط إلى ما ذكرناه.

نتيجة البحث

وَصَحْنَا فِي بَحْثِنَا الْمُتَوَاضِعِ الْمُرَادِ مِنَ السَّبْطِ وَالْأَسْبَاطِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَتَبَعْنَا مَوَارِدَ اسْتِعْمَالِهَا، وَبَيْنَا الْمُرَادَ مِنَ السَّبْطِ لُغَةً، وَتَوَصَّلْنَا إِلَى أَنَّ عُلَمَاءَ اللُّغَةِ ذَكَرُوا لِلْسَّبْطِ مَعْنَيْنِ:

- ١- الولد أو ولد الولد أو الابنة، وتغلب على ولد البنت.
 - ٢- القبيلة، فالسبط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب والجماعة يرجعون إلى أب واحد، ومن ثم قيل لولد يعقوب: أسباط، سُمِّيَ سَبْطًا لِيُفْرَقَ بَيْنَ وَوَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدِ إِسْحَاقَ.
- وَتَعَرَّضْنَا إِلَى السَّبْطِ وَالْأَسْبَاطِ فِي التَّفْسِيرِ، وَأَتَّهَمَ اخْتَلَفُوا عَلَى أَقْوَالٍ، وَذَهَبْنَا إِلَى أَنَّ الْقَوْلَ الْمُخْتَارَ هُوَ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ السَّبْطِ فِي حَدِيثِ (الْحُسَيْنِ سَبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ)

(١) البقرة: آية ١٣٦.

(٢) البقرة: آية ١٤٠.

(٣) جاء في الحديث رقم: ٤٩٩، قال: ... عن سعيد بن أبي سالم الجيشاني، قال: سمعت أبا سالم يقول: كُنَّا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْكُوفَةِ، فَقَالَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «إِنِّي سَبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ أَقَاتِلُ عَلَى حَقٍّ؛ لِيَقُومَ، وَلَنْ يَقُومَ، وَالْأَمْرُ لَهُمْ...» وَهُوَ يُؤَكِّدُ أَنَّ السَّبْطَ مُقَابِلُ النُّقْبَاءِ. ابْنُ طَاوُوسٍ، عَلِيُّ ابْنِ مُوسَى، التَّشْرِيفُ بِالْمُنَى فِي التَّعْرِيفِ بِالْفِتَنِ (الملاحم والفتن): ص ٣٣٩.

النقيب من بني إسرائيل الذي له سلطة دينية ودنيوية، وذكرنا شواهد على ذلك.
وأوضحنا أن حديث (حسين سبط من الأسباط) متفق عليه بين الفريقين، وله طرق كثيرة.
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمراضيه ويجنبنا معاصيه، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢ - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، مكتبة الدليل، السعودية.
- ٣ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام، مؤتمر الشيخ المفيد، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤ - الأمالي، علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المعروف السيد المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٣هـ.
- ٥ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم - إيران، ١٤٢٦هـ.
- ٦ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- ٧ - التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية، ديار بكر - تركيا.

- ٨ - تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله ابن عساكر الشافعي (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٩ - التشریف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن)، علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام، أصفهان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٠ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٠١هـ.
- ١١ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، دار المنار، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٦٧هـ.
- ١٢ - تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- ١٣ - تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٤ - تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مكتبة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ١٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود آلوسي البغدادي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٦ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي).
- ١٧ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي نعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيّد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٨ - صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت ٣٥٤هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٩ - صحيح الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ١٤١٩هـ.

٢٠ - غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عزيز [عزيز] السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، نشر محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة - مصر، ١٣٨٢هـ.

٢١ - الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٨/٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

٢٢ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقه، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٣ - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٤ - كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني.

٢٥ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

٢٦ - لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٧ - المستدرک علی الصحیحین، الحاکم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ.

- ٢٨ - مسند أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ٢٩ - مصابيح السنّة، الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٣٠ - مصنّف ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العسبي (ت ٢٣٥هـ)، ضبطه وعلّق عليه الأستاذ سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٣١ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر.
- ٣٢ - المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٣٣ - منهاج الصالحين، الشيخ الوحيد الخراساني.
- ٣٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الشيباني الجزري بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

الأنس القرآني في الخطاب الحسيني

دراسة تحليلية

الشيخ حيدر الأسدي*

مقدمة

يعدّ القرآن الكريم من أبرز المعالم الدينية عند المسلمين؛ إذ لو تحدّثت عن الإسلام أمام شخص من غير المسلمين، وكانت لديه أدنى معلومات عن الإسلام لسارعك بالحديث عن القرآن الكريم وما يحتويه من معلومات تفوق - بنظره - المستوى البشري في زمن نزوله على أقلّ التقادير، ناهيك عن المراكز والمؤسسات الغربية التي أولت اهتماماً بالغاً بالدراسات القرآنية، وعقدت المؤتمرات والندوات العلمية بُغية الكشف عن هذا الكتاب العظيم وما يحتويه من إتقان وإعجاز على مختلف المستويات، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهمية وعظمة القرآن الكريم عند المسلمين، بل عند غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى أيضاً.

ثمّ إنّنا يمكن أن نتصوّر للقرآن بُعدين أساسيين:

الأوّل: بُعد يرتبط بالألفاظ وهو ما يتعلّق بالتلاوة والقراءة الصحيحة وأحكامها وقواعدها، وهذا البعد - بحق - حظي باهتمام بالغ من قبل معظم المذاهب الإسلامية، فترى المساجد والمعاهد وحتى المراكز ودور القرآن مكتظة بالناس الذين يحفظون القرآن ويرتلون آياته بأصوات جميلة وعذبة ينجذب إليها كلّ مستمع.

الثاني: بُعد يرتبط بالباطن وما تعنيه هذه الآيات الكريمة وما تحمله من معلومات

* باحث إسلامي، من العراق.

ومعارف وسبل هداية للبشرية، وهذا البعد مع شدة أهميته وتأكده وتحقق الغاية من نزول القرآن فيه لم يرق إلى المستوى المطلوب من تفسير الآيات وبيان مقاصدها. ولا نريد هنا أن ننتقص من تلك الجهود التفسيرية الكبيرة التي كتبتها ودوّنتها أقلام الأعلام من المذاهب الإسلامية بمختلف ألوانها وانتفاءاتها، لكن بحكم عظمة القرآن وكونه آخر الكتب السماوية وضرورة إيصال قوانينه، وما يشتمل عليه من علوم إلهية إلى البشرية في جميع الأزمنة والعصور حتى نهاية الحياة على الأرض، ينبغي أن تكون الجهود والدراسات والتفاسير والاكتشافات القرآنية بمستوى أكبر، وبشكل متواصل؛ لتحصيل تلك الكنوز المعرفية التي ما زالت غامضة وبحاجة إلى سبر الغور وشحذ الهمم والتدبر في الآيات القرآنية بإمعان للتوصل إليها، فقد روي عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنَ، وَبَطْنَهُ بَطْنًا إِلَى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ»^(١)، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من آية إلا ولها أربعة معانٍ: ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحدّ هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العبد بها»^(٢).

ثم إن كلا الأمرين من التلاوة والتدبر توالى النصوص في الحث والتأكيد عليهما بشكل يفوق حدّ الاستفاضة والتواتر^(٣)، وهذه الكيفية يحصل الاستئناس والأنس القرآني، فإن الأنس يرتبط ارتباطاً جاداً ووثيقاً بالمعنى أو المعاني التي تحملها تلك الآيات القرآنية، إضافة إلى جمالية الألفاظ وتراكيبها.

معنى الأنس

«الأنس وهو ضدّ الوحشة، والأنس، بالضم، وقد جاء فيه الكسر قليلاً، ورواه

(١) الفيض الكاشاني، محسن، تفسير الصافي: ج ١، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: البروجدي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٥، (أبواب فضائل القرآن وتعلمه وتعليمه وقراءته وما يتعلق به).

بعضهم بفتح الهمزة والنون»^(١)، وهو «خلاف النفور»^(٢). وهذا يعني القرب والتفاعل بين طرفين. وعليه؛ فالأنس القرآني هو أن يتفاعل القرآن الكريم مع الطرف الآخر، فإنه لا ينحصر بين الحبر والقرطاس، بل هو أكبر من ذلك، فهو يُشبع الجائع ويشفي العليل وينفّس الهم ويهدي إلى السبيل، وكلّما اقترب الإنسان منه ازداد نوراً وضياءً ورفعاً وكمالاً.

أقسام الأنس القرآني

وبشيء من التفكّر والإمعان يمكن تقسيم الأنس القرآني على أربعة أقسام، وهي: الأنس الظاهري، والأنس المعنوي، والأنس العملي، والأنس الاتحادي. ولا تبعد الإشارة إلى هذا التقسيم في قول الإمام الحسين عليه السلام: «إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الْعِبَارَةِ، وَالْإِشَارَةِ، وَاللِّطَائِفِ، وَالْحَقَائِقِ. فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِ، وَالْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ، وَاللِّطَائِفِ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَقَائِقِ لِلْأَنْبِيَاءِ»^(٣)، يجعل (العبارة) ناظرة إلى الأنس الظاهري، وهو ما يتمتع به عامّة الناس، و(الإشارة) ناظرة إلى الأنس المعنوي وهي مرتبة الخواص، و(اللطائف) ناظرة إلى الأنس العملي، وهي مرتبة الأولياء، وفي النهاية يصل الشخص إلى الأنس الاتحادي، وهو مرتبة الحقيقة التي اختصّ بها الأنبياء أو مَنْ هو بمرتبتهم كالأئمة عليهم السلام.

ولا يخفى على اللبيب أن بين هذه الأقسام ترتب طوي، بمعنى التدرج في هذه الأقسام، فمَنْ حاز على المرتبة الأولى يمكنه بعد مدّة من الجهد والاستئناس أن يرتقي إلى المرتبة الثانية وهكذا.

ويعتبر الأنس الظاهري هو المرحلة التي يمتزج فيها بعد الألفاظ وبُعد الباطن

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٦، ص ١٣.

(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٢٨.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٦٦٢.

في أول بطونه، من الفهم القرآني والإدراك لتلك المعاني الإلهية، ثم يتدرج الأنس في قراءة القرآن والتدبر فيه حتى يحصل على معارف وبتون أخرى، فيرتقي إلى المرحلة الثانية من الأنس، وهي التي عبرنا عنها بالأنس المعنوي؛ وذلك لأنه أصبح يتخطى الألفاظ إلى مساحات أوسع في المعنى أبعد من تلك المعاني الأولى، وهذا ما يشده إلى القرآن وتلاوته، ونتيجة هذا الأنس والاقتراب هو التأثير العملي والسلوكي بما تلقاه من تلك المعارف الإلهية، فيصبح يستأنس بالعمل طبق التعاليم القرآنية مما يجعله في المرحلة الثالثة من الأنس، فهو يعمل ويسير وفقاً لتعاليم السماء مستمتعاً ومستأنساً بذلك، وبعيداً عن المخالفة - مع إمكان حصولها - وحتى لو صدر منه ما يخالف تلك التعاليم ولو في مورد واحد لكره ما صنع وأخذ يلوم نفسه ويعيش في حالة من الشعور بالألم وتأنيب الضمير، وأما المرحلة الأخيرة والرابعة فلا يصل إليها إلا ذو حظ عظيم وهي مرحلة الأوحدي من البشر؛ إذ يكون متحداً مع القرآن، فيكون هو القرآن والقرآن هو، فكلّ حركاته وسكناته وكلامه وأفعاله وعقله وأفكاره ستكون قرآنية؛ فيكون مصداقاً لقول الباري عزّ اسمه على لسان نبيه ﷺ: «... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها»^(١)، ومصداق هذه المرحلة - ولعلهم الأوحديون فيها - هم المعصومون من أهل البيت عليهم السلام، حتى صاروا عدل القرآن بصريح حديث الثقلين الناطق في بعض ألفاظه بعدم الافتراق بينهما، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٢)، وهذه هي أعلى مراتب الأنس مع القرآن الكريم.

ونحن هنا في هذا المقال نريد أن نسلط الضوء وننظر من زاوية الأنس إلى سيّد الشهداء عليه السلام، وأنه كيف تعامل مع الذكر الحكيم في حياته وسلوكه الفردي من جهة،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٥٢.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٦٨.

وفي إبراز ذلك الأُنس في الدور الاجتماعي من جهة أُخرى؛ لما يحمله الأُنس من التأثير البالغ على المجتمع، بمعنى قد يكون المتكلم - وهو الإمام عليه السلام - في أعلى مراتب الأُنس لعلو مرتبته وقداسته نفسه، لكن في الوقت نفسه هناك أُنس آخر يتجلى عند المستمعين باستماعهم لما يُتلى عليهم من قِبل المتحدث، فنشاهده يرتسم على وجوههم وملامحهم كلٌ بحسبه قابليته ومستواه وصفاء نفسه، وبعبارة أوضح: إنَّ الإمام عليه السلام بمعرفته وإحاطته بالمستمعين يسعى إلى توظيف الأُنس القرآني ونقله إلى المستمعين؛ لأجل إيصال المعنى والمراد بأفضل شكل ممكن.

ونحن هنا قد اقتصرنا الحديث على خطاب الإمام الحسين عليه السلام المتمثل في الدعاء والمناجاة والخطب الشريفة مقتضيين بعضها. وقد تميّز هذا النوع من الخطاب بالانتقاء المناسب للآيات الناتجة عن الأُنس القرآني.

الأُنس القرآني عند الامام الحسين عليه السلام في الدعاء والمناجاة

قبل الولوج في البحث ينبغي بيان الفارق بين الخطاب والدعاء والمناجاة؛ لدفع سؤال مقدّر قد يخطر على الأذهان وهو: أن الكلام يدور حول الخطاب فما علاقة الدعاء والمناجاة به؟ والجواب ليس بالأمر الصعب بعد أن نعرف أن المناجاة هي مرتبة عالية من الدعاء، فإنَّ الدعاء هو خطاب من الداني إلى العالي، فيصبح الخطاب دعاءً، ثم يرتقي هذا الدعاء في النفس فيحسّ المخاطب بقرب المخاطب إليه وتعلّق روحه ومشاعره به، فيصبح محبوباً ومعشوقاً له، فالمناجاة هي المخاطبة والحديث مع المحبوب والمعشوق، وإبراز للمشاعر بكلّ خضوع وتضّرع^(١)؛ ولذا يمكن أن يقال: بداية كلّ حديث مع الله عز وجل دعاء، ثم يتحوّل الدعاء إلى مناجاة؛ لأنّ المشاعر كلّها استحضرت لمزيد من معاني الدعاء وأخذت تأنس بمضامينه اشتدّ تعلقها به، وهذا

(١) أنظر: جمال، محمد، مقال بعنوان: (بالدعاء والمناجاة رمضان يقربنا)، منشور على الشبكة

الأنس المتألق هو المناجاة، كالحديدة التي توضع في النار، فكلمًا ازداد مكثها في النار تفاعلت واحمّرت واشتدّ لونها. وهذا التدرج هو الملحوظ في قراءة الأدعية عند عامة الناس، لكن الولي والمعصوم الذي حباه الله تعالى بخصائص العلم والنور وكشف الغطاء، سيكون حديثه وخطابه مع الله من صنف المناجاة مباشرة؛ لأنه يعيش عظمة الله سبحانه وكبريائه من أول الأمر؛ ولذا نجد هذه الحالة ظاهرة على جميع عباداتهم، فالإمام الحسن المجتبي عليه السلام «كان إذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه، فقيل له في ذلك؟ فقال: حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله»^(١)، وكذلك ما ورد في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام «أنّه كان إذا توضّأ للصلاة وأخذ في الدخول فيها، اصفرّ وجهه وتغيّر لونه، فقيل له مرّة في ذلك؟ فقال: إنّي أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم»^(٢)، وغير ذلك من الأحاديث الدالّة والصریحة.

ثمّ بعد هذا البيان نقف بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام وأنسه مع كلام ربّه وخالقه جلّ شأنه، وفي الحقيقة نجد أنفسنا أمام عملاق العبودية وعدو الشرك والوثنية، ورائد الإصلاح ضدّ الظلم والفساد والإباحية، الذي جسّد القرآن بكلّ حركاته وسكناته، وسار على نهجه وسبيله، فلم تجد موقفاً أو سلوكاً أو عبادة، بل حتّى نصيحة وخطاباً إلّا وكان القرآن حاضرّاً لا يغيب ومسؤولاً فيجيب، وكان للدعاء والمناجاة الحسينية النصيب الأوفر في وجود الأنس القرآني إمّا مضموناً أو نصّاً صريحاً.

دعاء عرفة

إنّ الأدعية والمناجاة الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام ليست بالقليلة، حتّى أنّ بعض من صنّف في ذلك أو وصلها إلى نيّف وتسعين، وسماها بالصحيفة الحسينية^(٣)، وللاختصار نركّز البحث على أبرز وأشهر دعاء ورد عن الإمام الحسين عليه السلام، وهو

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٨٠.

(٢) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٥٨.

(٣) أنظر: الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية/ الصحيفة الحسينية: ج ٣٣.

دعاؤه في يوم عرفة وهو دعاء عالي المضمون، شريف العبارات، مرصع بكلام الله عز وجل. ونحن هنا نريد الوقوف على بعض تلك الآيات الواردة في هذا الدعاء الشريف بشيء من البيان والتحليل، وكيف حلت الآيات الشريفة في مكانها المناسب نتيجة الأانس البديع للإمام الحسين عليه السلام بالكتاب الكريم، فلننظر إلى تلك الآيات في حاضنة الدعاء:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، ﴿شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٤)، ﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾^(٥)، ﴿مَنِي مَعْنَى﴾^(٦)، ﴿ظَلَمْتَ ثَلَاثٍ﴾^(٧)، ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾^(٨)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٩)، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ لِدَاؤِ لَوْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ﴾^(١٠)، ﴿وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾^(١١)، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١٢)، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١٣)، ﴿الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(١٤)، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١٥)، ﴿الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ﴾^(١٦)، ﴿الْمَشْعَرِ

(١) الشورى: آية ١١.

(٢) الأنعام: آية ١٠٣. الملك: آية ١٤.

(٣) المائدة: آية ١٢٠. هود: آية ٤. الروم: آية ٥٠. الشورى: آية ٩. الحديد: آية ٢. التغابن: آية ١. الملك: آية ١.

(٤) الإنسان: آية ١.

(٥) الطور: آية ٣٠.

(٦) القيامة: آية ٣٧.

(٧) الزمر: آية ٦.

(٨) هود: آية ٧٣.

(٩) إبراهيم: آية ٣٤. النحل: آية ١٨.

(١٠) الإسراء: آية ١١١.

(١١) الإسراء: آية ١١١.

(١٢) الأنبياء: آية ٢٢.

(١٣) الإخلاص: آية ٣-٤.

(١٤) النازعات: آية ٢٥.

(١٥) النساء: الآية ٥٨، و١٣٤. الإنسان: آية ٢.

(١٦) الواقعة: آية ٤٩.

الْحَرَامِ ﴿١﴾، **الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴿٢﴾، **إِبْرَاهِمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ** ﴿٣﴾، **التَّوْرَةَ**
وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤﴾، **وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ** ﴿٥﴾، **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴿٦﴾،
 (ابيضت) **عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴿٧﴾، **مِنَ الْمَعْرُوفِينَ** ﴿٨﴾، **بَيْنَ**
يَدَيِ رَحْمَتِهِ ﴿٩﴾، **كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ** ﴿١٠﴾، **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي**
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾، **الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ** ﴿١٢﴾، **رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٣﴾، **أَحَاطَ**
بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٤﴾، **رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴿١٥﴾، **أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ** ﴿١٦﴾، (ذا الجلال
 والإكرام) ﴿١٧﴾، **عُلُوقًا كَبِيرًا** ﴿١٨﴾، **السَّمَوَاتِ السَّبْعِ** ﴿١٩﴾، **وَالْأَرْضُونَ وَمَنْ**

(١) البقرة: آية ١٩٨.

(٢) الحج: آية ٣٣.

(٣) البقرة: آية ١٣٦، و١٤٠. آل عمران: آية ٨٤. النساء: آية ١٦٣.

(٤) الأعراف: آية ١٥٧. التوبة: آية ١١١.

(٥) يس: آية ٢.

(٦) غافر: آية ١٩.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾. يوسف: آية ٨٤.

(٨) هود: آية ٤٣.

(٩) الأعراف: آية ٥٧. الفرقان: آية ٤٨. النمل: آية ٦٣.

(١٠) البقرة: آية ٢٨١. آل عمران: آية ٢٥، و١٦١. إبراهيم: آية ٥١.

(١١) الأنبياء: آية ٨٧.

(١٢) الحج: آية ٦٢. لقمان: آية ٣٠. سبأ: آية ٢٣. غافر: آية ١٢.

(١٣) المائدة: آية ٢٨، وآيات كثيرة أخرى.

(١٤) الطلاق: آية ١٢.

(١٥) الأنبياء: آية ١٠٧.

(١٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. الأعراف: آية ١٥١. يوسف: آية ٦٤، و٩٢.

الأنبياء: آية ٨٣.

(١٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. الرحمن: آية ٢٧. وقوله تعالى: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

الرحمن: آية ٧٨.

(١٨) الإسراء: آية ٤، و٤٣.

(١٩) الإسراء: آية ٤٤.

فِيهِنَّ^(١)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِخُ﴾^(٢)، ﴿الْحِجْنَ وَالْإِنْسِ﴾^(٣).

هذه هي الآيات أو أجزاء الآيات القرآنية التي وردت في الدعاء - فضلاً عن الكلمات والمضامين القرآنية الواردة فيه - وقد جاءت في محلها وموقعها المناسب حاملة أدق المعاني وأوقعها في النفوس وكأَنَّها قول الفصل في مقاطع الدعاء، وهذا يدل على أنس الإمام العميق واستحضاره الدقيق لآيات القرآن الكريم.

ولننظر إلى هذا المقطع الجميل الذي تصدّر الدعاء بفصاحة عالية وبلاغة راقية: «الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع، وأتقن بحكمته الصنائع، لا يخفى عليه الطلائع، ولا تضيع عنده الودائع. أتى بالكتاب الجامع، وبشرع الإسلام النور الساطع، وهو للخليفة^(٤) صانع، وهو المستعان على الفجائع، جازي كل صانع، ورائس كل قانع، وراحم كل ضارع، ومنزل المنافع، والكتاب الجامع بالنور الساطع. وهو للدعوات سامع، وللدرجات رافع، وللكربات دافع، وللجبابرة قانع، وراحم عبدة كل ضارع، ودافع ضرة كل ضارع، فلا إله غيره، ولا شيء يعدله، وليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير»^(٥).

فإن قوله: «وليس كمثلته شيء»، تنسجم أشدّ الانسجام مع الكلمات والمقاطع من حيث المعنى، بل بهذا الأسلوب قد حُصرت تلك المعاني بالله سبحانه وتعالى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان إدراج هذا الجزء من الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هنا مشعراً بالتعليل، بمعنى أنّ تفرد الخالق سبحانه بهذه الصفات لكونه ﴿لَيْسَ

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾. الإسراء: آية ٤٤. المؤمنون: آية ٧١.

(٢) الإسراء: آية ٤٤.

(٣) الأنعام: آية ١٣٠، وآيات مباركة أخرى.

(٤) وردت في مصادر أخرى: (للخليقة).

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٧٤.

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿١﴾، فالذي ليس لقضائه دافع وتفرد بذلك هو مَنْ **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾** شَيْءٌ ﴿٢﴾؛ إذ إنَّ كَلَّ مَنْ قضى بشيء يمكن أن يتعرّض قضاؤه للدفع ولا يتحقق أمره، إلا الله الذي **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**، ثم مَنْ هو الذي لا يمنعه أحد إذا أراد العطاء وتفرد بذلك؟ هو الذي **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**، فقد يُتصوّر المانع من وصول العطاء في حقّ المخلوقين، لكن الخالق إذا أعطى فلا مانع لعطائه، وهكذا بقية المقاطع الواردة التي تحكي التوحيد بكلّ وضوح وصراحة، ثم أردف الإمام الحسين عليه السلام الآية السابقة بثلاثة أجزاء من آيات مختلفات **﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**، **﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**، **﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**، بأسلوب أنيق وأدب جميل، موحداً في ذلك لمعنى أراداه عليهما السلام عميق منسجم مع سياق الدعاء، مستأنساً بالذكر الحكيم؛ فإنه بعد النطق بتلك الكلمات النورانية والمقاطع السامية أراد أن يأخذ الحديث (الدعاء) باتجاه إبراز الخضوع والخشوع وارتباطه بالخالق تعالى، وطلب ما يريد من الله، فالخطاب إلى السميع البصير، اللطيف بعباده، الخبير بهم، القادر على كل شيء، منعطفاً بالكلام، بادياً معتقده، مظهراً لأحاسيسه ومشاعره تجاه خالقه وربّه بأعلى مراتب الأنس والاندماج وتجليّ الاتحاد بين القرآن وعِدله.

وقال عليه السلام في الدعاء أيضاً: «... أجل، ولو حرصت والعاذون من أنامك أن نُحصي مدى إنعامك، سالفة وآنفة، لما حصرناه عدداً، ولا أحصيناه أبداً، هيهات أني ذلك وأنت المخبر عن نفسك في كتابك الناطق، والنبأ الصادق: **﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾**»^(١)، مبيناً هنا عظمة المنعم تبارك وتعالى، وموضحاً عجز البشر عن الإحصاء فضلاً عن إيجاد نعمة واحدة وخلقها. وفي مقطع آخر يقول عليه السلام: «غير أنّي أشهد بجديّ وجهدي، ومبالغ طاقتي ووسعي، أقول مؤمناً موقناً: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً فيكون موروثاً، ولم يكن

(١) المصدر السابق: ص ٧٧.

له شريك في الملك فيضاده فيما ابتدع، ولا ولي من الدّل فيرفده فيما صنع، سبحانه سبحانه لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا وتفطرتا»^(١)، فنراه هنا مستأنساً بالآيات الكريمة، معبراً عن أحساسه بصياغة قرآنية، خاتماً المقطع بآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وكأنه أراد بالآية الاستدلال على ما ذكره في شهادته من صفات للذات الإلهية من عدم اتخاذ الولد والشريك والولي؛ بأن ذلك يوجب دماراً وانهياراً للكون بسبب تعدد الإرادات المفترضة وتنازعها. وفي جملة أخرى من هذا الدعاء الشريف يقول عليه السلام: «يا مَنْ جعلت له الملوك نير المذلة على أعناقهم، فهم من سطواته خائفون، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وغيب ما تأتي به الأزمان والدهور»^(٢)، فكانت الآية بياناً للهيمنة الإلهية على الخلق وعلى مَنْ يدعي القدرة والسلطة وهم الملوك، فأصبحوا أذلاء لا يجركون ساكناً ولا يفعلون شيئاً - صغراً أم كبراً - إلا كان لله على ذلك الهيمنة والسطوة الكاملة، فهو يعلم خائنة الأعين التي فسرها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «... الرجل ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه، فذلك خائنة الأعين»^(٣)، ويعلم ما تكن الصدور من أمور، فهو المهيمن وصاحب السطوة والقدرة على جميع الحركات والسكنات وما تحويه النفوس من نوايا.

الأنس القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام في الخطب

تُشكل الخطب عند العرب فولكلوراً وإبداعاً جماهيرياً تبادر إليه القبائل العربية كمظهر للقدرة البلاغية والفصاحة البيانية؛ وإن كانت تأتي أهميتها في الدرجة الثانية بعد المرتبة الأولى التي حظي بها الشعر العربي، فإلى جانب اهتمامهم البالغ بالشعر الفصيح تجد العناية الملحوظة بالخطب عند تلك القبائل، مما جعلها تعتر وتفتخر بمن

(١) المصدر السابق: ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ١٤٧.

يتصدى للحديث والخطاب المرتجل الذي يحتوي على البلاغة والنصيحة والحكمة والموعظة في الوقت نفسه، وجرياً على ذلك لم تكن خطب أهل البيت عليهم السلام بمنأى عن ذلك الاهتمام، بل كانت على أفضل الصور البلاغية والمعارف الإلهية محتوية للحكمة والموعظة والعبرة والنصيحة، وتجلّى هذا الأمر في الخطب التي نُقلت عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام بكلّ وضوح، امتازت بتلك الصفات، كما امتازت بذكرها للآيات القرآنية وكأثرها الثواب والأسس التي يقوم عليها الكلام ويبنى عليها البيان.

خطبته عليه السلام في فضل ومعرفة أهل البيت عليهم السلام

من جملة الخطب التي دونت لأبي عبد الله الحسين عليه السلام هي تلك الخطبة الرائعة التي ألقاها بحضور معاوية، والتي كتمت الأفواه وأخرست الألسن على الرغم من قصرها - كما وصلت إلينا - وقد بين فيها فضل أهل البيت عليهم السلام وعلاقتهم بالقرآن الكريم بأروع الصور وأدقّ التعابير، ذكراً فيها الآيات القرآنية المناسبة للمقام، فقد قيل للحسين عليه السلام: «يا أبا عبد الله، لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين عليه السلام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين عليه السلام: نحن حزب الله الغالبون، وعرة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يبطينا تأويله، بل نتبع حقايقه. فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي

جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ﴿١﴾، فتلقون
للسيوف ضرباً، وللرمح ورداً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم لا يُقبل من نفس
إيمانها لن تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. قال معاوية: حسبك يا أبا عبد
الله، قد بلغت»^(١).

فلو لاحظنا الخطبة وأماكن حضور هذه الآيات الكريمة لأدعنا بعظمة المتحدث،
وكيف كان على درجة من الأنس والذوق الرفيع والتأثير في نفوس المجتمعين، وهذا
مما يكشف عن العمق والصفاء الروحي للإمام الحسين عليه السلام؛ إذ امتلك النفوس وهيمن
عليها بذلك الأنس الذي امتزج مع القرآن كالدم في العروق، فكان الأنس متحققاً
من كلا الجانبين من المتحدث وهو الإمام الذي أضاعت منه النفحات الأنسية، فكان
كالبدر في ليلة تمامه من شدة انصهار كلامه بالقرآن الكريم، ومن المستمعين كذلك،
فقد أنصت الجميع وتسارعت أذهان الجمهور بالاستيعاب والاستئناس لما يُتلى
عليهم بمراتبه المختلفة، حسب أوعيتهم وإدراكهم وصفاء أنفسهم، ويا للأسف
من ضعف التاريخ في تسجيله لنبرات الصوت ومستواه وأنماطه، فإن الكتابة تعدُّ
من الكيف المكتوب، وباصطلاح المناطقة والفلاسفة الكيف المبصر^(٢)، وهي لا
تستطيع أن توصل الكيف المسموع - وهو الصوت واللفظ - مهما بلغ الكاتب من
القدرة البيانية والبلاغية وإن كان كلا الكيفيتين من الكيفيات المحسوسة، فلا يمكن
لأحدهما أن يؤدي دور الآخر؛ ولذلك ذهب الكثير من التراث أدراج الرياح، لعدم
وجود إمكانية ووسيلة لتقل تلك الأنماط والنبرات من الأصوات، مما أثر بشكل كبير
في ضعف الاستشعار والاستحضار والإحاطة الكاملة بذلك المناخ المسيطر آنذاك
على تلك الأحداث والاجتماعات، ولا شك في أن ذكر الآيات القرآنية في الخطب
والأحاديث كان بنبرات من الصوت واللحن تختلف عن بقية الكلام مما يجعلها أكثر

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٢-٢٣.

(٢) أنظر: الرفاعي، عبد الجبار، دروس في الفلسفة الإسلامية: ص ٤٠٢.

تألقاً وأبلغ معنىً، وهو مما نفتقر إليه في دراسة النصوص، عدا بعض الحالات التي قد نلمسها بفضل وجود بعض القرائن التي تعكس لنا اليسير منها، فليس من البعيد أن يكون الإمام الحسين عليه السلام قد وظّف هذا الأسلوب في مثل هذه الخطبة.

ثمّ من المدهش للباحث والقارئ عندما يقف على قوله عليه السلام: «وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبین، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم:

﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى

عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾، فتلقون للسيوف ضرباً، وللرماح ورداً، وللعمد

حطماً، وللسهام غرضاً»، ليرى كيف أنّ الإمام وظّف هذه الآية في كلامه المبارك بأروع

أسلوب مذكراً إياهم بما حصل في صدر الإسلام، عندما تقابل المسلمون والمشركون

في معركة بدر الكبرى التي أنال الله المسلمين النصر فيها وخذل المشركين، وكان دور

الشيطان ومكره وخذلانه لأوليائه معروفاً، أفصح عنه القرآن الكريم بهذه الآية ،

حيث هتف الشيطان في أوليائه المشركين، سواء بوساوسه الباطنية أم بتمثله بصورة

بشرية^(١)، وأغرى أتباعه ووعدهم بالدفاع عنهم كما يدافع الجار عن جاره أو المستجار

عن مجيره، لكن لما رأى علامات النصر الإلهي قد لاحت في الأفق تراجع عن موقفه

وخذل أعوانه، وهذا هو ديدن الشيطان، بل حتّى شياطين الإنس، فإنّ الصفات

واحدة والسلوك واحد، وهذا ما حدّر منه الإمام عليه السلام الناس بعدم الركون إلى هتوف

شياطين الإنس فهم في ساعة ما يخذلون صاحبهم ويتركونه، بل يتبرؤون منه بكلّ

سهولة؛ والنتيجة «فتلقون للسيوف ضرباً، وللرماح ورداً، وللعمد حطماً، وللسهام

غرضاً»، وهنا لا ينفع الندم والتراجع، **﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ**

كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾، فباستحضاره للآية المباركة وكلامه البليغ أخذ بالجمهور إلى

المستور من المعرفة والتاريخ، وهو أسلوب الأنس الذي يجعل الذهن البشري يتفاعل

مع ما يتلقاه، ويستشعره شيئاً فشيئاً، ويأخذ التدرج بمراتب الأنس بحسب قابليته

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل: ج٥، ص ٣١١-٣١٢.

وما وصل إليه الأَنس في تربيته؛ فيصبح متلقياً للحديث بوعي وانتباه، وتأخذ المعاني والمفاهيم تكبر وتنمو في نفسه.

خطبته عليه السلام في منى

وهي من أهم الخطب التي ألقاها الإمام الحسين عليه السلام بين عليّة القوم من الصحابة والتابعين، أثناء مسيرته وحركته الجهادية التي ارتسمت بها الأهداف التي من أجلها كانت ثورته العظيمة، مصرّحاً بظلم معاوية لأهل البيت عليه السلام وشيعتهم، وتالياً لفضائل أبيه وأمه وأخيه وأهل بيته على جميع الناس، مستنداً ومستأنساً بالقرآن الكريم وأحاديث جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله لتحرير النفحات الأنسية في ضمير الأمة بعدما جمدت، ولعلّ المهم في هذه الخطبة بغضّ النظر عن الأَنس الحاصل عند الإمام نفسه، هو تحريك الضمائر والشعور بتدرج الأَنس في نفوسهم؛ لتنهض الأمة من سباتها، لكن الأمة وصلت إلى مرحلة من الجمود لم تسمح للأَنس أن يتخطى إلا مراتبه الأولى من مرحلة الأَنس الظاهري، وفي أحسن الأحوال إلى الأَنس الباطني لا غير، ومن الغريب أن الجميع يشهد على كلام الإمام عليه السلام في ذلك بقولهم: اللهم نعم. وقد تكرر من الراوي التأكيد على أن الإمام عليه السلام لم يدع شيئاً مما نزل فيهم - أي: ما نزل من القرآن في أهل البيت عليه السلام - إلا ذكره وفسّره أمام الملاء الذي اجتمع حوله من الصحابة والتابعين، فقد قال الراوي: «وما ترك شيئاً مما أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسّره»^(١)، وقال: «فلم يدع شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة، وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيه إلا ناشدhem فيه، فيقول الصحابة: اللهم نعم، قد سمعنا، ويقول التابع: اللهم قد حدثني من أثق به، فلان وفلان»^(٢)، فضلاً عمّا نشاهده من الآيات التي ذُكرت في نصّ الخطبة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، وقوله:

(١) ابن قيس، سليم، كتاب سليم بن قيس: ص ٣٢١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢٣.

(٣) الصف: آية ٨.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾^(١)، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٢)، إلى قوله: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَالْأَخْشُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٥)، فكانت الصدارة لكلام الله عز وجل.

وهذا بيّن وبكلّ وضوح مدى الانسجام والتعاقد بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام، وأنّ الأمر أعظم من الأُنس بالمعنى المتعارف، بل كان يمثل أعلى درجات التماسك والاتحاد والتفاعل بين الطرفين، فلننظر على سبيل المثال إلى كلامه عليه السلام الذي ختمه بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِمَّنْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٦) فقد قال: «... فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا، فإنّي أخوّف أن يُدرس هذا الأمر ويذهب الحق ويُغلب»^(٧)، فإنّ تلاوة الآية المذكورة عقب هذا الكلام يكشف عمق الاتحاد والتعاقد بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام؛ وأنّ التخوّف الذي ذكره الإمام عليه السلام كان تخوّفاً حقيقياً، وكان الأعداء هادفين إلى القضاء على هذا الأمر ودرسه، لكن الله سبحانه أبى إلا أن يتمّ ذلك الأمر وذلك النور بوساطة أهل البيت عليهم السلام، فكأنّ الإمام قد عنى نفسه بالآية المباركة، بمعنى أنّ هذا الأمر وذلك النور لا ينطمس بوجودي وحركتي التي قدّرها الله لي؛ وذلك بالالتفات إلى ما ورد من الأحاديث والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في الحسين عليه السلام ومقتله، وحركته ودوره الذي قدّره الله له في حفظ هذا

(١) المائدة: آية ٦٣.

(٢) المائدة: آية ٧٨.

(٣) المائدة: آية ٧٩.

(٤) المائدة: آية ٤٤.

(٥) التوبة: آية ٧١.

(٦) الصف: آية ٨.

(٧) ابن قيس، سليم، كتاب سليم بن قيس: ص ٣٢٠.

الدين، فسعى بنو أمية إلى طمس الإسلام ومحو آثاره بشتى الوسائل، حتى وصلوا في غيهم إلى مقتل حجة الله على الأرض وخليفة رسول الله بحق، وصنعوا أبشع الصور في مقتله وتشويه حركته، لكن الله أبى إلا أن يتم نوره فتحولت تلك الحركة والثورة العظيمة إلى قدرة هائلة أزاحت بني أمية وأسلكتهم سقر، وصارت مناراً وقبس هداية للمؤمنين، فأدّت دورها بحفظ الإسلام بآتم صورة ممكنة.

خطبته صبيحة يوم عاشوراء

ينقل ابن عساكر خطبة للإمام الحسين عليه السلام ألقاها صبيحة يوم العاشر من محرّم الحرام، محذراً فيها الأعداء من الدنيا، ومبيناً لهم بأنّها زائلة لا تبقى لأحد، وعليهم الاتعاظ، فقال عليه السلام: «عباد الله، اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر، فإنّ الدنيا لو بقيت لأحد وبقي عليها أحد كانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرضا، وأرضى بالقضاء، غير أنّ الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجددها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهر، والمنزل بلغة، والدار قلعة، ﴿وَتَكَرَّوْا فَيَأْتِكُمْ حَيْرَ الزَّادِ﴾، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾»^(١).

جاءت هذه العبارات البليغة في بيان مصير الإنسان والهدف من خلق الدنيا ومرور البشر فيها؛ لتكون محلاً لامتحان والبلاء لكلّ من عليها دون استثناء، فإنّها للفناء قد خلقت وللزوال قد مهّدت، فلا يغتر بها أحد، ثمّ تلا أجزاء الآيات المباركة في آخر الخطبة مشيراً إلى ما ينبغي صنعه وكسبه من الأعمال؛ لتكون للإنسان زاداً ومتاعاً إلى الآخرة بانسجام واندماج كامل بين كلامه وكلام الله عزّ اسمه، بعضه يعضد بعضاً بتركيب بديع وكأنّ المتكلم واحد، وهذا نتيجة طبيعية للأنس والاستئناس بالقرآن الكريم الذي يمتلكه الإمام الحسين عليه السلام.

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢١٨.

مقارنة

وبأقل دقة وفطنة نرى أنّ الأسلوب الخطابي في الدعاء والمناجاة، كان له الأثر الكبير في استعمال الآيات القرآنية المناسبة لحالات الخشوع والخضوع والاستكانة، بخلاف الآيات التي ذكرها الإمام عليه السلام في الخطب أمام الحشود من الناس، فهناك كان المخاطب هو الله تبارك وتعالى، فكانت الآيات ذكراً لآلائه وجلاله ووحدانيته وصفاته، وفي الخطب كان المخاطب هم خلق الله تعالى، فجاءت الآيات لتتناسب مع شؤونهم وتغيّر أحوالهم وتبدّل طباعهم.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق وملاحظات: السيّد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ٢ - إقبال الأعمال، علي بن موسى بن جعفر المشهور بابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي.
- ٤ - تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.
- ٥ - التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مكتبة الصدر، طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٣٧٤ش.

٦ - جامع أحاديث الشيعة، السيّد حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، مطبعة المهجر، قم، ١٤٠٩هـ / ١٣٦٧ ش.

٧ - دائرة المعارف الحسينية، محمد صادق الكرباسي.

٨ - دروس في الفلسفة الإسلامية، عبد الجبار الرفاعي.

٩ - دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣ م.

١٠ - عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.

١١ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ ش.

١٢ - كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (المتوفى في القرن الأول الهجري)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، الناشر: دليل ما، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣ - لسان العرب، محمد بن مكرم المشهور بابن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

١٤ - معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ / ١٣٣٨ ش.

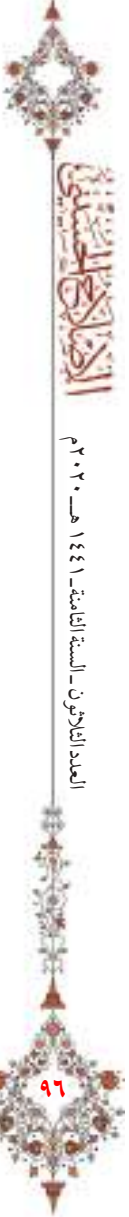
١٥ - المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، الناشر: دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٦ - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ م.

١٧ - موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، الناشر:
دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

المواقع الإلكترونية:

18 - <https://amrkhaled.net/Story/1002043>.



التناص القرآني في خطاب المسيرة الحسينية

مرحلة الأسر أنموذجاً

القسم الأول

أ. م. د. زهراء البرقعاي*

مقدمة

التناص ترجمة لمصطلح (*intertextualite*)، وهو مصطلح نقدي حديث بزغ نجمه على الساحة النقدية الغربية في نهايات القرن الماضي، وقد اعترته ترجمات عربية عديدة: كالتناص، والتناصية، والنصوصية، والتداخل النصي، والتفاعل النصي، وعلى الرغم من اشتراك هذه المسميات في مدلول واحد - وهو التواشج الفكري، والتفاعل التركيبي - يُعدّ مصطلح التناص أكثرها دلالة على التداخل، والتمازج بين نصّ قديم وآخر حديث، وصهرهما معاً في بوتقة واحدة، ويعدّ التناص أحد مميّزات النصّ الأساسية التي تُحيل إلى نصوص سابقة عليه، أو معاصرة له^(١). وإذا لم يصرّح النقاد القدامى بمصطلح التناص ولم يذكروه بالاسم، فإنهم لم يغفلوا الحديث عن تعالق النصوص والتداخل الحاصل بينها، وبتعبير آخر: إنهم عبّروا عن هذا المصطلح بمصطلحات أخرى، أهمّها: الاقتباس، والتضمين^(٢).

* أستاذ مساعد في الجامعة الإسلامية، وعضو في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف.

(١) أنظر: الزبيدي، كاظم نوير، تناص الشكل في الرسم الحديث، مجلّة الموقف الثقافي، العدد ٢٩: ص ٨٤.

(٢) أنظر: صبري حافظ، التناص وإشارات العمل الأدبي، مجلّة ألف، العدد ٤: ص ١١.

ومن أهم أقسام التناصّ ما يصطلح عليه بالتناصّ القرآني، وقد تجلّى هذا النوع بأروع صورته في الخطب والكلمات المأثورة عن النهضة الحسينية، ممّا دعاني إلى تسليط الضوء على هذا النوع في خطاب مسيرة الإمام الحسين عليه السلام، ابتداءً من استشهاده حتّى العودة إلى المدينة. وللتناصّ أقسام وأنماط متنوّعة، سنشير إليها في طيّات البحث، مرفقة بالأمثلة والشواهد المتعدّدة.

بين التناصّ والاقْتباس والتضمين

الاقْتباس: «هو أن تُدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام؛ تزييناً لنظامه، وتضخيماً لشأنه»^(١)، على حين نجد أنّ للتضمين معاني عدّة، تختلف باختلاف العلوم ونظرتها إليه، فهو عند علماء العربية: «إيقاع لفظ موقع غيره، ومعاملته معاملة؛ لتضمّنه معناه، واشتماله عليه»^(٢).

أمّا التضمين عند البلاغيين فله تعريفات كثيرة، وهي كلّها تكاد تعود إلى معنى واحد، وهو: «استعارة كلام الأخير وإدخاله في الكلام الجديد»^(٣).

وهذان الفنّان يُراد بهما أمران، هما: الارتقاء بلغة النصّ وبنيته اللفظية، وتفجير طاقته الدلالية، على ألا يصل الأمر بالمبدع إلى الحدّ الذي يجعل فيه ما اقتبس أو ضمّنه طاغياً على نصّه، ومهيمناً عليه.

ويقوم التناصّ على (تداخل النصوص) وتفاعلها^(٤)، وإن كان هذا التداخل يتخطّى كونه تداخلاً فقط، ويصل إلى التفاعل بين النصوص، إلّا أنّه مع ذلك يبدأ بالتداخل بينها، ومن خلال هذا (التداخل) نجد أنّ «مختلف تلك النصوص تتحوّل إلى إشارات داخل النصّ الذي يتضمّنها»^(٥)، وهذا ما نجده في فنّي الاقْتباس والتضمين؛

(١) الرازي، محمد بن عمر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص ١٤٧.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: ج ١، ص ٥٤٤.

(٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها: ج ٢، ص ٢٦٣.

(٤) أنظر: عبد الواحد لؤلؤة، التناصّ مع الشعر الغربي، مجلّة أفلام: العدد ١٠، ١١، ١٢، ص ٢٧.

(٥) جينيت، جيرار، مدخل لجامع النصّ: ص ٩٠.

لأنّهما تفاعل واشتراك وتداخل بين النصوص المستضافة والأخرى المستضيفّة، ولما كان التناصّ قائماً على هذين المحورين، فإنّه يكون شاملاً للاقتباس والتضمين، بوصفهما من مصاديق تلك العلاقات والتداخلات بين النصوص.

وهناك مشترك آخر، وهو أنّ أقسام هذه الفنون الثلاثة تكاد تكون واحدة، أو متشابهة على أقلّ تقدير، متذكّرين قبل بيان ذلك أنّ هذه الفنون قد تدخل النصّ بقصد أو من غير قصد، وهو عامل مشترك آخر، فمثلما قُسم (الاقتباس) إلى: (ظاهر، وصريح، ولفظي)، و(خفي، ومستتر، ومعنوي)، قُسم (التناصّ) إلى مثل هذه الأقسام^(١). ويتحقّق الاشتراك في مساحة أخرى، وهي أنّ (الاقتباس) و(التضمين) هما إحضار نصّ أو بعض نصّ غائب في نصّ حاضر، و(التناصّ) هو النصّ الغائب^(٢).

وإذا كان الاقتباس والتضمين يدوران حول محور التقاطع والتبادل والتفاعل والتداخل بين النصوص فيما يُعرّف بـ(حسن الأخذ)^(٣)، فإنّ التناصّ هو الآخر عرّف بـ«التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة»^(٤)، وهذه واحدة من المشتركات بين الفنون الثلاثة.

والنصّ - بغض النظر عن هذه التسميات، وبواسطة العود التاريخي - يشحن ويمنح حيوية ودينامية متجدّدة، تجعله قادراً على التأثير في المتلقّي؛ لما يبثّه من دلالات وانطباعات متجدّدة، وبهذه القواسم والمشاركات يقترب التناصّ في بعض جوانبه من فنيّ (الاقتباس والتضمين)، أو هو صورة لهما^(٥) لكن بثوب جديد، وهو المسمّى

(١) أنظر: عبد العزيز إبراهيم، مدارات النصّ المغلق.. من غرابة المفردة إلى تغريب النصّ، مجلّة الموقف الثقافي: العدد ٢٩: ص ٦.

(٢) أنظر: العاني، شجاع مسلم، الليث والخراف المهضومة.. دراسة في بلاغة التناصّ الأدبي: ص ٩٠٦-٩٠٧.

(٣) أنظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب.. مقارنة بنيوية تركيبية: ص ٩٨.

(٤) كاظم جهاد، أدونيس منتحلاً: ص ٣٤.

(٥) أنظر: هيرانادي، بول، ما هو النقد: ص ١٤٣.

الجديد لهما، وإن كان هناك مَنْ عدّهما آليّة تناصّية^(١). والخلاصة هي أنّ المصطلح الحديث لفنيّ الاقتباس والتضمين ليس بديلاً منهما، أو مواجهة لهما، إنّما هو امتداد، واستمرار لهما.

ويتوقّف استعمال النصوص إنتاجاً أو استقبالاً على تفاعل المعرفة السابقة بالنصوص الأخرى مع النصّ الجديد، فيتناصّ معها، وتتداخل هذه النصوص في علاقة تفاعلية بين النصّ السابق، والنصّ الحاضر^(٢).

ويكون التناصّ بوابة لاستنطاق خزين منتج النصّ المعرفي والثقافي والاجتماعي^(٣)، من خلال انعكاس معلوماته ومعرفته بالعالم وثقافته الموسوعية على نصّه بقصد ووعي^(٤)، وكذلك يتطلّب التناصّ من المتلقّي أن يكون ذا ثقافة واسعة، وخزين معرفي ثري؛ ليتمكّن من رصد التناصّ وفهمه وتحليله، والوقوف على غايات المنتج ومقاصده^(٥)، وهو ما يجعله عنصراً مهماً في تأليف النصوص^(٦) واستقبالها^(٧)، محققاً التواصل المنشود بين منشئ النصّ والمتلقّي: «إذاً، لا نستطيع تناول النصّ من خلال وصفه بأنّه ذو وحدات كبرى أو جمل متوالية، إلّا إذا وجدت خاصّيته الأولى، وهي

(١) أنظر: صبري حافظ، التناصّ وإشارات العمل الأدبي: ص ٢٦.

(٢) أنظر: زتسيسلاف، واورزنيك، مدخل إلى علم لغة النصّ.. مشكلات بناء النصّ: ص ٣٥. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب.. دراسة معجمية: ص ١٠١. تمام حسان، اجتهادات لغوية: ص ٣٨٠. البطاشي، خليل، الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ص ٩٧.

(٣) أنظر: محمد عبد المطلب، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص ٧٧.

(٤) أنظر: محمد عبد المطلب، قضايا الحدائثة عند عبد القاهر الجرجاني: ص ١٥٣.

(٥) أنظر: زتسيسلاف، واورزنيك، مدخل إلى علم لغة النصّ.. مشكلات بناء النصّ: ص ١٠٢. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناصّ: ص ١٢٣. فوزية عزوز، المقاربة النصّية من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي: ص ١٢٥.

(٦) أنظر: محمد محمد يونس، علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى.. نحو بناء نظرية المسالك والغايات: ص ١٥.

(٧) أنظر: زتسيسلاف، واورزنيك، مدخل إلى علم لغة النصّ.. مشكلات بناء النصّ: ص ١٠١. عزة شبل محمد، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص ٧٧.

كونه وارداً في الاتصال»^(١)، وقد أكد (دي بوجراند) على هذه الصفة المهمة للنصّ، وهي كونه يحقّق تواصلًا، أيًا كان حجم النصّ، كلمة أم جملة أم شبه جملة^(٢). ويُعدّ التناصّ مع القرآن الكريم الأكثر شيوعاً لأسباب كثيرة، أهمّها أنّ النصّ القرآني أكثر النصوص انفتاحاً وعمقاً دلاليّاً يستوعب كلّ مديات التعبير الفنيّ، وكلّمًا كان النصّ منفتحاً، كان أكثر قبولاً^(٣)، «فالتناصّ بالقرآن له هدف أدبي جمالي، حيث إنّ أسلوب القرآن هو الأسلوب الأمثل للغة العربية، واتخاذ بعض صورته وأساليبه نموذجاً يضاف للصياغة الأدبية؛ مما يكسبها رونقاً وجمالاً»^(٤)، وكان الخطباء «يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن؛ فإنّ ذلك ممّا يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع»^(٥).

التناصّ المباشر

ينقسم التناصّ على قسمين أساسيين، وهما: التناصّ المباشر وغير المباشر، وفيما يلي سنأتي على نوعي التناصّ المباشر، وهما:

الأول: تناصّ مباشر مع الإشارة

يكون هذا النوع من التناصّ بالأخذ من القرآن الكريم مع الإشارة إلى أنّ النصّ المستعمل هو من القرآن الكريم، كقول المنتج: (قال تعالى أو قال عزّ وجلّ)، ثمّ يأتي بلفظ النصّ الشريف وتركيبه^(٦)، ويتحقّق بالاستشهاد بالنصّ من دون تغيير فيه^(٧)، ويكون

(١) أحمد عفيفي، نحو النصّ.. اتجاه جديد في الدرس النحوي: ص ٢٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٥.

(٣) أنظر: علاء الدين رمضان، ظواهر فنيّة في لغة الشعر العربي الحديث: ص ١٠٩.

(٤) الغباري، عوض، دراسات في أدب مصر الإسلامية: ص ١٨١.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ص ٧٧.

(٦) أنظر: رمضان، علاء الدين، ظواهر فنية في لغة الشعر العربي الحديث: ص ١٠٩.

(٧) أنظر: زتسيسلاف، واورزنيك، مدخل إلى علم لغة النصّ.. مشكلات بناء النصّ: ص ٢٣٨.

بـ «اجتزاء قطعة من النصّ أو النصوص السابقة، ووضعها في النصّ الجديد، بعد توطئة لها مناسبة، تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص»^(١)، ويستشهد منتج النصّ بجزء من نصّ سابق، ويضعه في نصّه لغايات معيّنة يريد تحقيقها.

وفي خطاب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام مع الشامي نجد تناصاً مباشراً مع الإشارة إلى أنّ هذا من القرآن الكريم، إذ قال الراوي: جاء شيخ، فدنا من نساء الحسين عليهما السلام وعياله، وهم في ذلك الموضع، وقال: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وقطع قرون الفتنة. فلم يأل عن سبهم وشتمهم، فلما انقضى كلامه، قال له علي بن الحسين عليهما السلام: إني قد أنصت لك حتّى فرغت من منطقتك، وأظهرت ما في نفسك من العداوة والبغضاء، فأنصت لي كما أنصت لك. فقال له: هات. قال علي عليهما السلام: أما قرأت كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: نعم. فقال عليهما السلام له: أما قرأت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢)؟ قال: بلى. فقال عليهما السلام: نحن أولئك، فهل تجد لنا في سورة بني إسرائيل حقاً خاصّة دون المسلمين؟ فقال: لا. فقال: أما قرأت هذه الآية: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٣)؟ قال: نعم. قال علي عليهما السلام: فنحن أولئك الذين أمر الله نبيّه أن يؤتيهم حقّهم. فقال الشامي: إنكم لأنتم هم؟ فقال علي عليهما السلام: نعم، فهل قرأت هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٤)؟ فقال له الشامي: بلى. فقال علي عليهما السلام: فنحن ذو القربى، فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصّة دون المسلمين؟ فقال: لا. قال علي بن الحسين عليهما السلام: أما قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥)؟ قال: فرفع الشامي يده إلى السماء، ثمّ قال: اللهم إني

(١) محمد عبد المطلب، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق: ص ٧٩.
 (٢) الشورى: آية ٢٣.
 (٣) الإسراء: آية ٢٦.
 (٤) الأنفال: آية ٤١.
 (٥) الأحزاب: آية ٣٣.

أتوب إليك - ثلاث مرّات - اللهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد، وأبرأ إليك ممن قتل أهل بيت محمد، ولقد قرأت القرآن منذُ دهر فما شعرت بها قبل اليوم»^(١).

ونجد في هذا الحوار أنّ الإمام عليه السلام قد استشهد بآيات قرآنية معيّنة؛ لما لها من دلالات تعريفية بهوية الإمام عليه السلام والركب الحسيني من النساء والأطفال الذين كانوا معه، مذكراً للمتلقّي بأنّ هذه آية من القرآن الكريم بعبارات مثل: (هل قرأت هذه الآية؟ أو أما قرأت هذه الآية؟)، مشيراً ومؤكّداً على أنّ حجّته قرآنية؛ لتكون أكثر تأثيراً في المتلقّي، وأوثق في التعريف بمن وصفهم الإعلام الأموي بأنهم من الخوارج. وهذه الآيات هي:

١- ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

فقد ورد في معنى الآية: «أن تبعوني، وتصدّقوني، وتصلوا رحمي»^(٢)، وقد سأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وآله عندما نزلت هذه الآية، فقالوا: «يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما»^(٣)، وقد سأل سعيد بن جبير الإمام زين العابدين عليه السلام عن القربى في هذه الآية فأجابه بقوله: «هي قرابتنا أهل البيت»^(٤)، وكان «أجر النبوة أن لا تؤذوهم، ولا تقطعوهم، ولا تغصبوهم، وتصلوهم، ولا تنقضوا العهد»^(٥).

فقد أراد الإمام عليه السلام بيان انتمائه المرجعي، وهويته التي حاول الإعلام الأموي إخفاءها، وقد اعتمد على أقوى الحجج التي يمكن للمحاور أن يستدلّ بها، وهي الحجّة القرآنية التي أكّدت على ضرورة وصل أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وجعلت أجر

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٣-٣٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٠، ص ٤٩٧.

(٣) النسفي، عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي: ج ٤، ص ٩٤.

(٤) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ٣٩٢.

(٥) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ص ٢٧٥.

النبوة والرسالة وتبليغ القرآن موذتهم، فقد ورد عن رسول الله ﷺ «من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(١)، وروي عنه أيضاً: «إنّ لله عزّ وجلّ ثلاث حرّمات، فمن حفظهن حفظ الله دينه ودينه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا آخرته. قلت: ما هنّ؟ قال: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي»^(٢).

٢- ﴿وَأَتِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ﴾.

جاء في تفسير الأمل: «نرى في روايات عديدة عند الشيعة والسنة أنّ رسول الله ﷺ بعث إلى فاطمة عليها السلام بعد نزول هذه الآية ووهبها فدكاً»^(٣)، ويكفي أنّ الحق (سبحانه) خصّهم بقوله ﴿ذَا الْقُرْآنُ﴾، ولم يقل: ذو المسكنة، أو ذا السبيل، وكلمة (ذو) بمعنى صاحب تدلّ على المصاحبة الدائمة، وهذا ما أراد الإمام السجّاد عليه السلام أن يبيّنه للشامي، وهو أنّهم من قرابة رسول الله ﷺ وخاصّته، وأنّ الله سبحانه قد أوجب إعطاءهم حقوقهم.

٣- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

الغنيمة: هي الفوز بالشيء من غير مشقة، وهي ما أخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال، وتعدّ هبة من الله تعالى للمسلمين، والفيء: ما أخذ بغير قتال، و«قال قوم: الغنيمة والفيء واحد»^(٤).

واختلف في ذوي القربى، «فقليل: هم بنو هاشم خاصّة من ولد عبد المطلب؛ لأنّ هاشماً لم يعقب إلاّ منه... وقيل: هم بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف»^(٥)، و«ليس المراد في هذه الآية الأقرباء كلّهم، ولا أقرباء النبي ﷺ جميعاً، بل هم الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام؛ والدليل على هذا الأمر هو الروايات المتواترة التي وردت

(١) ابن عسّاكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٣.

(٢) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٧، ص ٢٧٧.

(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٢، ص ٥٤٣.

(٥) أنظر: المصدر السابق.

عن النبي ﷺ عن طريق أهل البيت (عليه السلام) (١)، ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) تعقيباً على قوله تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ (٢)؛ إذ يقول (عليه السلام): «منا خاصة، ولم يجعل لنا سهماً في الصدقة، أكرم الله نبيه وأكرمنا...» (٣).

٤- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

نزلت هذه الآية في «النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسين (عليه السلام) خاصة، لا يشاركون فيها غيرهم» (٤)، فقد كانوا مع النبي ﷺ تحت كساء يمانى عندما نزلت الآية عليه، «وصحَّ أنه جعل على هؤلاء كساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي - أي: خاصتي - أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم؟ قال: إنك على خير» (٥)، وفيها خصَّ الله تعالى ذرية رسوله ﷺ بـ«موهبة العصمة، بإذهاب الاعتقاد الباطل، وأثر العمل السيئ عنكم أهل البيت، وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم، وهي العصمة» (٦)، أي: «تجهيزهم بإدراك الحق في الاعتقاد والعمل» (٧)، ونجد أن الإمام السجادة (عليه السلام) أراد بيان الهوية المرجعية، والانتماء الديني والأسري المنزه من الرجس في كتاب الله تعالى، فضلاً عن العصمة التي أعطتها له هذه الآية.

ومن التناصُّ المباشر مع الإشارة أيضاً قول السيدة زينب (عليها السلام) في خطبتها في الشام مع يزيد بن معاوية «صدق الله سبحانه كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَنقَبَةَ الَّذِينَ

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٥، ص ٤٣٣.

(٢) الحشر: آية ٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٥٣٩.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ٣١٧.

(٥) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة: ص ١٤٣.

(٦) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ٣١٩.

(٧) المصدر السابق: ص ٣١٨.

أَسْتَوُ الشُّوَأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾^(١)، فحين رأت السيدة

زينب عليها السلام يزيد يسخر بكل شيء، ويتكلم بكلمات الكفر، وينشد أشعاراً من ضمنها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل^(٢)

حمدت الله تعالى، واستشهدت بهذه الآية؛ لتكشف عن عدم إيمانه بأساس الإسلام، «أي: إذا أنكرت الإسلام والإيمان هذا اليوم بأشعارك المشوبة بالكفر، ونقول لأسلافك المشركين الذين قُتلوا على أيدي المسلمين في معركة بدر: ليتكم تشهدون انتقامي من بني هاشم، فلا مجال للتعجب»^(٤) من أمرك؛ ف«إنّ الذنب أو الإثم يقع على روح الإنسان كالمرض الخبيث، فيأكل إيمانه ويعدمه، ويبلغ الأمر حدّاً يكذب الإنسان فيه آيات الله، وأبعد من ذلك أيضاً؛ إذ يحمل الذنب صاحبه على الاستهزاء بالأنبياء، والسخرية بآيات الله، ويبلغ مرحلة لا تنفع معها وعظ ونصيحة أبداً»^(٥).

وقد بدأت الآية الشريفة بالأداة (ثم) الدالة على التراخي الرتبي؛ لأنّ هذه العاقبة أعظم رتبة في السوء من عذاب الدنيا، فضلاً عن مجيء هذه الآية بالتهديد لمشركي العرب^(٦)، فكأنها عليها السلام تهدده بهذه العاقبة المتحققة الوقوع، وليس أدلّ على ذلك من وقوع الفعل الماضي (كان) موقع الفعل المضارع للتنبية على تحقق وقوع العاقبة، فأشارت إلى الانحلال الخُلقي الممتد على طول حياة يزيد وعاقبته.

وقد اتخذت عليها السلام من آية الإنذار والتهديد مدخلاً إلى تحطيم جبروته، وتدميره معنوياً، ولكي تؤكد مصداق الآية المستشهد بها، ذكرت أفعاله التي تدلّ على خُلقة

(١) الروم: آية ١٠.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٢. أنظر: ابن طيفور، أحمد بن طاهر، بلاغات النساء: ص ٣٥.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٣١. ابن طيفور، أحمد بن طاهر، بلاغات النساء: ص ٢١.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٢، ص ٣٥٣.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٨٠.

(٦) أنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج ١، ص ٥٩.

الخارج عن الإسلام، فبدأ خطابها بعرض لوحة وصفية لمستوى الاضطهاد الذي تعرّض له موكب السبي، وذلك في محاولة من السيّدة زينب عليها السلام لاستدراج المتلقي إلى الموضوع الموصوف، والتأقلم مع المشهد المأساوي والدرامي لآل البيت عليهم السلام.
وقد بدأ خطابها عليها السلام منسجماً متسقاً تماماً مع الآية التي نصصتها في كلامها؛ ليدلّ دلالة حتمية على أنّها سليلة القرآن الناطق، وأنّها عليها السلام تُفرغ عن لسان أبيها؛ إذ تُعدّ هذه الآية كمقدمة استهلالية، استهلّت بها خطبتها، ولخصت مضامينها، وبيّنت مآل يزيد وأعوانه.

وقد أشارت عليها السلام في قولها: «فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟!»^(١) (٢) إلى أنّ هذا النصّ هو من كتاب الله؛ للإشارة إلى أنّ الحاضرين قد نسوا كتاب الله تعالى، وللدلالة على ضعف معرفتهم به، وضعف ثقافتهم القرآنية، لذلك ذكّرتهم بأنّ هذه آية من كتاب الله، خصوصاً أنّ يزيد يدّعي أنّه خليفة للمسلمين، مستعملة أسلوب الاستفهام الإنكاري؛ ليصبح سؤالها تمييزاً لاعتقاداتهم، وإقناعاً للمتلقّي.
لقد ذكّرت عليها السلام بآية تتناسب تناسباً تاماً مع موقفه وشعوره السلطوي، والإملاء هو: «الإطالة في العمر، والإنساء في الأجل»^(٣)، فيكون المعنى: «لا يحسبنّ هؤلاء الذين يخوفون المسلمين، فإنّ الله قادر على إهلاكهم، وإنّما يطوّل أعمارهم ليعملوا بالمعاصي، لا لأنّه خير لهم»^(٤)، وقد نزلت بحقّ الكفّار «حيث فرحوا بالنصر يوم أحد، وبأنّ قتلى المسلمين يوم أحد كانوا أكثر من قتلاهم»^(٥)، وباستشهادها عليها السلام بهذه الآية التي

(١) آل عمران: آية ١٧٨.

(٢) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٧، ص ٤٢١.

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي: ج ٤، ص ١٨٣.

(٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج ٤، ص ١٧٥.

ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبنية الكبرى لهذه الفقرة، وضعت الأمور في نصابها، وبيّنت ليزيد حقيقة أمره، فضلاً عن اتساقها بالآية التي استهلّت بها الخطبة، فأصبحت دائرة نصّية متلاحمة، بعضها يأخذ برقاب بعض.

وفي قولها **عَلَيْهَا**: «وسترّد على رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** برغمك، وعترته ولحمته في حظيرة القدس، يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، وهو قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**»^(١)، بعد أن وبيّخت يزيد للمرة الثالثة بقول الله تعالى، انبرت إلى «حقيقة قرآنية تجسّدت في تصويرها (الأموات الأحياء) و(الأحياء الأموات)، فيبدو أنّها لا تريد إفهام يزيد وتذكيره بعدم جدوى الحياة الدنيا، وأنّها لا محالة زائلة وحسب، بل استثمار التصوير القرآني ونسجه على وفق متطلبات الحدث في خطابها الأدبي؛ لإعطاء صورة متكاملة على وفق تعالق النصّين، تدلّ وتشير بأنّ الحسين **عَلَيْهِ السَّلَام** وأهل بيته وأصحابه **عَلَيْهِمُ السَّلَام** وإن قُتِلوا ظلماً؛ إلا أنّهم أحياء يُرزقون المحبّة في ضمائر الناس، وأنت يا يزيد وإن كنت حيّاً إلا أنّك معدوم الحياء والحياة من الله ورسوله»^(٣).

وهذه الآية واردة في فضائل شهداء بدر وأحد، «ليصير ذلك داعياً للمسلمين إلى التشبّه بمنّ جاهد في هذين اليومين وقتل»^(٤)، وكأنّ السيّدّة زينب **عَلَيْهَا السَّلَام** أرادت المقابلة بين فرح يزيد وفرح الحسين **عَلَيْهِ السَّلَام**، خصوصاً أنّها قد كرّرت مفردة الفرح أمام يزيد خمس مرّات في الخطبة نفسها؛ لتحذيره ونهيه عن الفرح، وليبلغ تأثير الكلام نفوس المخاطبين، فالتكرار بمثابة ترسيخ فكرة مفادها استنكار ما يشعر به يزيد من الفرح بقتله ذرّية الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، في حين وصفت الحسين **عَلَيْهِ السَّلَام** بأنّه من الشهداء الذين هم

(١) آل عمران: آية ١٦٩.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن طاهر، بلاغات النساء: ص ٢٢.

(٣) هتون، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص ٣٣.

(٤) الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج ٤، ص ٥٥.

﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وهم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وهي تكملة الآية التي استشهدت بها.

الثاني: تناص مباشر من دون الإشارة

ونجد ذلك في الآيات التي تحدّث بها رأس الإمام الحسين عليه السلام في مسيرة الركب الحسيني إلى الشام، وقد ذكرت كتب الفريقين مجموعة من الروايات حول تكلم رأس الإمام الحسين عليه السلام^(١)، والذي يعيننا في هذا البحث هو الآيات القرآنية التي استشهد بها الإمام الحسين عليه السلام، متوخيّاً قصداً إعلامياً وحجاجياً، محققاً الاتساق والانسجام التام بين المقام والمقال وظروف إنتاج الخطاب، وإذا عرفنا أنّ الخطاب هو «كلّ ملفوظ - مكتوب يشكّل وحدة تواصلية قائمة الذات»^(٢) - وإن كان جملة واحدة مستقلة بذاتها، فهي تشكّل خطاباً قائماً بذاته يمكن للمتلقّي أن يفهم دلالاته من خلال سياق التلفّظ - فهو تواصل لساني إجرائي يتمّ بين المستمع والمتكلّم من خلال الوحدة التواصلية الإبلاغية^(٣).

وقد ورد عن المنهال بن عمرو وأنه قال: «رأيت رأس الحسين بن علي على الرمح، وهو يتلو هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٤)، فقال رجل من عرض الناس: رأسك يا بن رسول الله أعجب»^(٥).

وهنا نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد استشهد بآية واحدة تُناسب المقام؛ لبيان أنّ أصحاب الكهف، وإن كانوا من عجائب الآيات والدلائل فيها يخصّ الأفق الإدراكي

(١) للاستزادة يراجع البحث الموسوم: (تكلم الرأس الشريف في مصادر الفريقين)، للشيخ إسكندر الجعفري، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ٧، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م: ص ١٩٩-٢١٧.

(٢) المتوكّل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية.. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط: ص ٢٤.

(٣) أنظر: مكدونيل، ديان، مقدّمة في نظريات الخطاب: ص ٢٩-٣٠.

(٤) الكهف: آية ٩.

(٥) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٦٧.

البشري، فإنهم ليسوا كذلك قياساً إلى القدرة الإلهية المتميزة بلا محدودية التحكّم، فذلك أمر هيّئ وفي غاية اليسر على الله، بل هناك من البدائع الكونية الأخرى ما هو أكثر استدعاءً للغرابة والعجب من أمر استحضار حديث أصحاب الكهف من غابر العصور، فقصة أصحاب الكهف وإن استعظمها الناس وعجبوا منها، فليست هي الأعجب، وإن ما على الأرض أعظم وأوجب للعجب^(١).

وعن أبي مخنف عن الشعبي: «أنه صلب رأس الحسين بالصيبارف في الكوفة، فتنحح الرأس، وقرأ سورة الكهف إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(٢)، فلم يزدهم ذلك إلا ضلالاً»^(٣).

فالآية تتحدّث عن أصحاب الكهف، وقد وصفتهم بالفتية؛ لأنّ «الجسم يكون قوياً في مرحلة الشباب، فهو على استعداد لقبول نور الحقّ، ومنيع للحبّ والسخاء والعفة؛ ولذا كثيراً ما تُستخدم كلمة (الفتى والفتوة) للتدليل على مجموع هذه الصفات، حتّى لو كان أصحابها من المستنّين»^(٤)، ومن هنا نلاحظ وجه الشبه بينهم وبين الحسين عليه السلام وأصحابه الذين ملأ الإيوان قلوبهم وعقولهم وجميع حواسهم.

فقد «كانوا يعيشون في بيئة فاسدة، وزمان شاعت فيه عبادة الأصنام والكفر، وكانت هناك حكومة ظالمة تحتمي مظاهر الشرك والكفر والانحراف... وقرّروا القيام ضدّ هذا المجتمع، وفي حال عدم تمكّنهم من المواجهة والتغيير، فإنهم سيهجرون هذا المجتمع والمحيط الفاسد»^(٥)، وكذلك الحسين عليه السلام وأصحابه الذين ثاروا ضدّ فساد مجتمعهم وانحرافه عن أصول الدين وقواعده، فزادهم الله هدى بعد إيمانهم،

(١) أنظر: الشنقيطي، محمد، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ج ٤، ص ١٥.

(٢) الكهف: آية ١٣.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٨.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٩، ص ٢٠٩.

(٥) المصدر السابق.

«والهدى بعد أصل الإيمان ملازم لارتقاء درجة الإيمان الذي فيه اهتداء الإنسان إلى كل ما ينهي إلى رضوان الله»^(١).

وعن سهل بن سعيد الشهرزوري أنه دخل إلى الشام فرأى الناس فرحة مستبشرة، وكأنه العيد، فلما سأل عن الأمر أخبر أنه فتح للأمير فتح بقتل الخارجي الذي خرج عليه في العراق، وهو الحسين بن علي عليه السلام، إلى أن قال: «وكان معي رفيق نصراني يريد بيت المقدس، وهو متقلد سيفاً تحت ثيابه، فكشف الله عن بصره، فسمع رأس الحسين، وهو يقرأ القرآن ويقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)، فقد أدركته السعادة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم انتضى سيفه، وشدّ به على القوم، وهو يبكي، وجعل يضرب فيهم، فقتل منهم جماعة كثيرة، ثم تكاثروا عليه فقتلوه»^(٣).

ففي قوله عليه السلام: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ تهديد لقتلته، والفرحين بذلك؛ ف«هذا في الواقع جواب لأولئك الذين يقولون: إذا كان لهذا العالم إله عادل فلماذا يترك الظالمين وحالهم؟ هل هو غافل عنهم أم لا يستطيع أن يمنعهم وهو يعلم بظلمهم؟ فيجيب القرآن الكريم على ذلك بأن الله ليس غافلاً عنهم أبداً؛ لأنّ عدم عقابهم مباشرة هو أنّ هذا العالم محلّ الامتحان والاختبار وتربية الناس، وهذا لا يتمّ إلا في ظلّ الحرّية، وسوف يأتي يوم حسابهم، إنّما يؤخّروهم ليوم تشخص فيه الأبصار»^(٤).

وعن الأعمش عن سلمة بن كهيل قال: «رأيت رأس الحسين بن علي عليه السلام على القنا وهو يقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥)»، والآية فيها وعد

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٣، ص ٢٥٠.

(٢) إبراهيم: آية ٤٢.

(٣) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٦٣٣.

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٧، ص ٥٣٣-٥٣٤.

(٥) البقرة: آية ١٣٧.

(٦) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٢، ص ١١٧.

لرسول الله ﷺ بالنصرة على اليهود والنصارى، «وقد أنجز وعده، وسيتم هذه النعمة للأمة الإسلامية إذا شاء»^(١)، وفيها تثبيت على قلوب المؤمنين، وبعث الطمأنينة والثقة فيهم، وهو ما أرادته ﷺ من تأكيد النصر العاجلة بفضح مؤامرات يزيد وأعوانه، وعودة الركب الحسيني إلى المدينة، والنصرة الآجلة بتوالي الثورات الراضية للظلم حتى قيام دولة الحق على يد الحجة بن الحسن المنتظر عجل الله فرجه.

نلاحظ في كل ما تقدم أن المتلقي هو الذي شخّص أن ما يتلوه الإمام الحسين ﷺ هو من القرآن، أو أنه من سورة الكهف، ولا توجد رواية تشير إلى أن الإمام الحسين ﷺ قد أشار إلى أن المقروء منه ﷺ هو من القرآن الكريم؛ لذلك تم إدراج هذه النصوص تحت عنوان التنصص المباشر مع عدم الإشارة.

وفي حوار الإمام السجاد ﷺ مع ابن زياد نجد تنصصاً مباشراً مع القرآن الكريم مع عدم الإشارة، فعندما وقعت عينا عبيد الله على شاب مع الأسرى استغرب أن يبقى أحد من أبناء البيت النبوي حياً إلى الآن، فسأله: «من أنت؟ فقال: أنا علي بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟! فقال له علي ﷺ: قد كان لي أخ يسمي علياً قتلته الناس. فقال له ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين ﷺ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢)»^(٣).

نجد أن الإمام ﷺ ختم حوارهِ بحجة قرآنية بليغة؛ رداً على المغالطة التي ذكرها ابن زياد بأن الله قد قتل علي بن الحسين ﷺ، موهماً نفسه والناس من حوله، وفي هذه الآية «استدلال على تفرّد الله تعالى بالتصرّف في الأحوال، فإنه ذكر دليل التصرّف بخلق الذوات»^(٤).

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ١٢٣.

(٢) الزمر: آية ٤٢.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٦-١١٧.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج ٢٤، ص ٢٤.

ولما أُدخل عيال الإمام الحسين عليه السلام بعد واقعة عاشوراء إلى الشام، وأوقفوهم بين يدي يزيد بن معاوية، أخذ يزيد بالشّاتة من الإمام السّجّاد عليه السلام وأهل بيته، فقال للإمام عليه السلام: «يا علي بن الحسين، الحمد لله الذي قتل أباك. فقال علي بن الحسين: لعن الله من قتل أبي. قال: فغضب يزيد، وأمر بضرب عنقه عليه السلام. فقال علي بن الحسين: فإذا قتلتني فبنات رسول الله صلى الله عليه وآله من يردهم إلى منازلهم، وليس لهم محرم غيري. فقال: أنت تردّهم إلى منازلهم، ثمّ دعا بمبرد، فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده، ثمّ قال له: يا علي ابن الحسين، أتدري ما الذي أريد بذلك؟ قال: بلى، تريد أن لا يكون لأحد عليّ منّة غيرك. فقال يزيد: هذا والله ما أردت أفعله، ثمّ قال يزيد: يا علي بن الحسين، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(١). فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلّ ما هذه فينا نزلت، إنّما نزلت فينا ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ - إلى قوله - : ﴿وَلَا تَقْرَهُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٢)، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا»^(٣).

وقد تمّ إيرادها هنا لعدم اقتطاعها من النصّ الحواري بين الإمام السّجّاد عليه السلام ويزيد ابن معاوية، وإن كان الإمام عليه السلام قد أشار إلى أنّها آية نازلة بحقّهم، أي: إنّ عليه السلام أشار إلى أنّها من القرآن الكريم.

وهذه الآية نازلة أصلاً في حقّ أهل البيت عليهم السلام، فعن الحسن بن محبوب عن علي بن رباب: «قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ...﴾؟ قال: رأيت ما أصاب علياً وأهل بيته هو بما كسبت أيديهم، وهم أهل الطهارة معصومون؟! قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفره في كلّ يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنب، إنّ الله يخصّ أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب»^(٤).

(١) الشورى: آية ٣٠.

(٢) الحديد: آية ٢٢.

(٣) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٥٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٧٧.

وفي خطاب السيِّدة فاطمة الصغرى عليها السلام التناصُّ نفسه؛ إذ تقول: «فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنَّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١)»، ففي هذا النصِّ تناصُّ مع قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، وقد أرادت عليها السلام نهيهم عن الفرح بما فعلوا بالحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام؛ لأنَّ ما أصابهم معلوم عندهم، وهو ابتلاء لهم، وزيادة لهم في الأجر، وصبرهم على هذا البلاء ما هو إلاَّ مصداق أمثل للزهد، ف«الزهد كلُّه بين كلمتين من القرآن، قال الله (سبحانه): ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه»^(٢).

وفي خطبة الإمام السجاد عليه السلام في المدينة تناصُّ مع القرآن الكريم: «فعند الله نحسب فيما أصابنا وبلغ بنا إنه عزيز ذو انتقام»^(٤)، فهو قيس من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِّهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(٥)، فقد منح التناصُّ مع القرآن الخطاب تحدياً وإنذاراً ووعيداً لابن زياد؛ إذ إنَّ «ترك مؤاخذه الظالمين بعملهم، إنَّما هو لتأخيرهم إلى يوم القيامة، أي: إذا كان الأمر كذلك، فلا تحسبنَّ الله مخلفاً لما وعد رسله من نصرهم، ومؤاخذه المتخلفين عن دعوتهم، وكيف يخلف وعده، وهو عزيز ذو انتقام»^(٦).

(١) الحديد: آية ٢٢-٢٣.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٨.

(٣) نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٠٣.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٢٨. المجلسي، محمد باقر، بحار

الأنوار: ج ٤٥، ص ١٤٨.

(٥) إبراهيم: آية ٤٧.

(٦) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٨٣.

ونجد في خطاب السيِّدة زينب عليها السلام قولها في خطبتها أمام أهل الكوفة: «إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتخذون أبايكم دخلاً بينكم»^(١)،

وهو تناصّ مباشر مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٢)، فقد شبّهت عليها السلام

أهل الكوفة بـ«امرأة حمقاء من قريش، يقال لها: ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم، وتلقّب بجعر، وكانت بها وسوسة، وكانت اتّخذت مغزلاً بقدر ذراع، وصنارة مثل الأصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتأمّر جواربها بذلك، فكنّ يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن، فهذا كان دأبها، ومعناه أنّها لم تكفّ عن العمل، ولا حين عملت كفّت عن النقض، فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد، لا كففتم عن العهد، ولا حين عاهدتم وفيتم به»^(٣).

وكذلك أهل الكوفة فقد خذلوا الإمام الحسين عليه السلام، ومارسوا معه أسوأ أنواع الخيانة والغدر ونقض العهد، وقد اعتبرتهم السيِّدة زينب عليها السلام مثلاً تطبيقياً للمرأة الحمقاء التي تحدّث عنها القرآن، فلقد تخلّى أهل الكوفة عن الإمام الحسين عليه السلام في ساعة العسرة، بعدما كاتبوه، وألحوا في الكتابة: «إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق...»^(٤)، وتوالى آلاف الرسائل من أهل الكوفة على الحسين عليه السلام خلال مدّة إقامته في مكّة، تحثّه على القدوم إليهم، وتطالبه قاتلة: «إن لم تصل إلينا فأنت آثم»^(٥).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٦.

(٢) النحل: آية ٩٢.

(٣) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي: ج ٣، ص ٨٢. أنظر: الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال: ج ١، ص ٤٥٠.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٢.

(٥) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي، تذكرة الخواص: ص ٢١٦.

ففي الخطاب الزينبي تشبيه لناقض العهد المتمثل بالمجتمع الكوفي بهذه المرأة، وقد اقتبست زينب عليها السلام ذلك من القرآن من دون الإشارة إلى أن هذا من القرآن، بل نسجته مع تراكيب النص؛ للقدرة المتجددة في المعاني القرآنية المقتبسة التي تهيئ للمستمع التواصل الوجداني والفكري مع التراكيب اللغوية الأخرى المكوّنة للنص، لا سيّما أن الفقرات اللاحقة للنص تتواءم معه دلاليًا، فقد منح التناصّ القرآني نصّ خطاب السيدة زينب عليها السلام القدسية، والتأكيد في الذهن، والتأثير في المتلقّي من ناحية، ومن ناحية أخرى الإيجاز في اللفظ، وتعميق صورة التوبيخ، وتوضيح أسبابها عند المتلقّي.

أمّا في قولها عليها السلام: «لقد خاب السعي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾»^(١)،^(٢) فهناك استشهاد لزينب عليها السلام بهذه الآية، وتوظيفها في سياق وصفها لنتيجة فعلهم العظيم، وهو قتل الحسين عليه السلام؛ لتصوير فداحة الحدث، وتعميق المعنى في ذهن المتلقّي، فالآية تتحدّث عن موقف تنفطر منه السماوات، وتنشق الأرض، وتخِرُّ الجبال هدًّا، للاعتقاد بأنّ (المسيح) و(عزير) أولاد الله^(٣). ودقّة التصوير في الآية الكريمة لفداحة القول اتسق وانسجم مع مضمون الخطبة، ووصفها لفداحة الفعل المقترف، ف(إدًا) أي: شيئاً عظيماً^(٤)، و(الهدّ): الكسر الشديد والهدم^(٥)، أي: ما يكون من تنفطر السماوات، وانشقاق الأرض، وهدّ الجبال،

(١) مريم: آية ٨٩-٩٠.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن طاهر، بلاغات النساء: ص ٣٨.

(٣) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٩، ص ٣٦٠.

(٤) أنظر: الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن: ج ٢، ص ١٧٣.

(٥) أنظر: الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٤، ص ٣٧٢٨. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب،

القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٢٨. الإصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن:

ص ٥٣٨.

إنّما يكون «استعظماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين، وهدمها لأركانها وقواعده»^(١)، وكذلك قتل الإمام الحسين عليه السلام كان له وقع عظيم، حتّى أنّ كثيراً من الروايات ذكرت أنّ السماء والأرض قد بكتا لموته عليه السلام^(٢)، وأمطرت السماء دماً^(٣)، وأظلمت الأفلاك من الكسوف^(٤)، واشتدّ سواد السماء، ودام ذلك ثلاثة أيام^(٥).

وفي قولها عليه السلام: «... فلا يستخفّنكم المهل، فإنّه لا يحفره البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإن ربكم لبالمرصاد»^(٦)، نلاحظ تناصّاً غير مباشر مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾^(٧)، فالآية فيها تحذير لكلّ من سار على خطو أولئك الطواغيت^(٨)، والرصد: «هو الاستعداد للترقب، وهو في الآية يشير إلى عدم وجود أيّ ملجأ أو مهرب من رقابة الله وقبضته، فمتى شاء (سبحانه) أخذ المذنبين بالعقاب والعذاب»^(٩)، والخطاب الزينبي إنذار لأهل الكوفة؛ حتّى لا يستغرقوا في الأمل في فوات العقاب والانتقام، وإن تأخر العذاب، فليس بسبب الإهمال، وإنّما لأسباب اقتضتها الحكمة الإلهية.

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، البحر المحيط: ج ٧، ص ٢٣١.

(٢) أنظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ٩٦. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٣. الزرندي، محمد بن يوسف، نظم درر السمطين: ص ٣٢٠. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٣١. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٢. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٨٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٤، ص ١٨٣.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢١٥. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٢.

(٤) أنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج ٣، ص ٣٣٧.

(٥) أنظر: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٢٠. ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٥٦٨.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.

(٧) الفجر: آية ١٤.

(٨) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢، ص ١٨٤.

(٩) المصدر السابق.

أما في قولها: «وسيعلم من سؤل لك ومكّنك من رقاب المسلمين أن بس للظالمين بدلاً، وأيكم شرّ مكاناً، وأضعف جنداً»^(١) فتناصّ مع قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٢)، فهو تهديد ليزيد ومعاقبة الذي مهّد لتسلّط يزيد على كرسيّ الحكم ورقاب الناس، والتلاعب بدماء المسلمين، فالسيّدة زينب عليها السلام تبين أن الذين استبدلوا يزيد بالحسين عليه السلام قد اختاروا بسّ البدل، وقد اختارت هذه الآية التي تتحدّث عن بسّ البدل، وهو طاعة الشيطان بدلاً من طاعة الرحمن؛ تأكيداً لكلامها، وتعزيزاً له.

وفي قولها عليها السلام: «ولئن اتخذتنا مغرماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد»^(٣) تناصّ مع قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤)، والمراد بنفي الظلم عن الله تعالى لعبيده: أنه لا يعاقب من ليس بمجرم؛ لأنّ الله لما وضع للناس شرائع وبين الحسنات والسيئات، ووعد وأوعد، فقد جعل ذلك قانوناً، فصار العدول عنه إلى عقاب من ليس بمجرم ظلماً؛ إذ الظلم هو الاعتداء على حقّ الغير في القوانين المتلقّاة من الشرائع الإلهية، أو القوانين الوضعية المستخرجة من العقول الحكيمة^(٥)، فأرادت عليها السلام أن تصوّر ليزيد مآل فعله، وعاقبة أمره، المرتبط بما قدّمت يده من قتل الإمام الحسين عليه السلام، وأسر ذرّيته الطاهرة، وهو تهديد صريح ومباشر له بملاقاته جزاء فعله، وما اقترفته يده؛ لأنّ الله لا يظلم عباده، بل يجازيهم ويحاسبهم على مقدار ما يعملون، فمن يعمل خيراً فلنفسه، ومن يفعل شراً فلنفسه، وجزاؤه عند الله.

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦١٦.

(٢) الكهف: آية ٥٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٠٨.

(٤) فصلت: آية ٤٦.

(٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج ٢٥، ص ٣١٩.

وفي قولها **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**: «يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين»^(١) تناصّ في الخطاب مع قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هُنَّ لِأُولَئِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢). إن افتتاح الجملة «بحرف التنبيه يناسب مقام التشهير، والخبر مستعمل في الدعاء خزيًا وتحقيرًا لهم»^(٣)، وهو عين المعنى الذي أرادته **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** ليزيد وأعوانه من الطرد من رحمة الله والإبعاد؛ إذ إن المراد من لفظ اللعن: الطرد والإبعاد من خيرات الدنيا والآخرة، «لأنّ المبعّد من خيرات الدنيا لا يكون ملعوناً»^(٤). ونجد هذا التناصّ أيضاً في خطاب السيّدة فاطمة الصغرى بقولها: «ثمّ تُخلّدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين»^(٥).

أمّا قولها **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**: «الحمد لله ربّ العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»^(٦)، فقد دلّ على الامتثال الكامل، والرضا بحكم الله تعالى، والصبر المطلق على بلائه، وختمت الخطاب في آخره بتناصّ مع القرآن، وهو قولها: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فقد ألجأت أمرها إلى الله وحده، وتوكلت عليه، وعن النبيّ الأكرم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال سألت جبريل: «... وما التوكّل على الله عزّ وجلّ؟ قال: العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكّل»^(٧)، وعن الإمام الصادق **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أنّه

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٧.

(٢) هود: آية ١٨.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج ١٣، ص ٣٤.

(٤) الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج ٢، ص ١٩٥.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٨.

(٦) المصدر السابق: ص ١٠٨.

(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٥، ص ١٤.

قال: «إنَّ الغنى والعزَّ يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكُّل أوطنا»^(١)، وقد سُئل الإمام الرضا عليه السلام: ما حدُّ التوكُّل؟ فقال: «أن لا تخاف مع الله أحداً»^(٢).

وفي خطاب السيِّدة فاطمة الصغرى نجد تناصاً مباشراً من دون الإشارة إلى أنه من القرآن الكريم، وذلك في قولها عليها السلام: «تَبَّ لَكُمْ، فانظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حلَّ بكم، وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب، ويذيق بعضكم بأس بعض، ثمَّ تملدون في العذاب الأليم»^(٣)، فقد تناصَّ قولها: «ويذيق بعضكم بأس بعض» مع قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ لِسِينًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصِرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٤)، ففي كلامها عليها السلام تركيز على التهديد بعذاب الله وعقابه، وهو تهديد لقتلة الإمام الحسين عليه السلام بأسلوب المجاز والكناية، وعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: «ويذيق بعضكم بأس بعض، وهو أن يقتل بعضكم بعضاً»^(٥).

وفي قولها عليها السلام: «أحسدتمونا - ويلكم - على ما فضلنا الله... ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»^(٦)، تناصَّ مع قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٧)، والفضل هنا بمعنى: الوحي والنبوة^(٨)، أي: «ما أعطاه الله محمداً (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٦٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٣١١.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٨.

(٤) الأنعام: آية ٦٥.

(٥) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٢٠٤.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٨.

(٧) الجمعة: آية ٤.

(٨) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي: ج ١٨، ص ٨٥.

من النبوة العظيمة»^(١)، فحسد بني أمية لبني هاشم لما فضلهم الله به عليهم من نبوة محمد ﷺ، وحسدهم للحسين ﷺ وولده كان لنفس السب.

وفي النص تناص آخر مع قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظَلَمْتُمْ فِي بَحْرٍ لَبِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُمْ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكُدُّهُ لَمْ يَكُدِّ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(٢)، أرادت ﷺ الإشارة إلى حقيقة تاريخية متأصلة في بني أمية، وهي عدم الهدى؛ إذ «نزلت الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية، كان يلتبس الدين في الجاهلية، ويلبس المسوح، فلما جاء الإسلام كفر»^(٣)، «فمن لم يهده الإسلام لم يهتد»^(٤)، و«من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له»^(٥).

ونجد تناصاً مباشراً من دون الإشارة إلى النص من القرآن الكريم في خطبة الإمام السجاد ﷺ عند عودته إلى المدينة، وذلك في قوله ﷺ: «الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلاق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور... فإننا لله وإنا إليه راجعون... فعند الله نحتسب فيما أصابنا، وأبلغ بنا، فإنه عزيز ذو انتقام»^(٦)، ففي بداية الخطاب تناص مع ثلاث آيات من سورة الحمد، ليفتح بها خطابه ﷺ، مشيراً إلى حمد الله وثنائه على الرغم من كل المصائب والبلايا التي مرت بهم ﷺ، ثم يحتتم خطابه ﷺ بإيكال أمره إلى الله (جلّ جلاله)، وقد اختار ﷺ آية قرآنية فيها وصف الله بأنه عزيز ذو انتقام، دون غيرها من الآيات التي تحمل بعض الصفات لله (سبحانه وتعالى)؛ إشارة إلى اعتمادهم الكامل واليقيني على انتقام الله لهم من ظلمتهم.

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم: ج ١، ص ٣١٠.

(٢) النور: آية ٤٠.

(٣) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي: ج ٦، ص ٥٣.

(٤) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن: ج ٤، ص ٤٨.

(٥) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي: ج ٦، ص ٥٣.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١١٦.

نتيجة البحث

إننا نجد فيما تقدّم أن خطاب سلالة النبوة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حتى عودتهم إلى المدينة قد تناصّ مع القرآن الكريم بشكل كبير، وهو أمر لافت للانتباه، وفي ذلك دلالة على أنّهم حقاً عدل القرآن، ومصدق لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي صرح بأنّها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، واستعمالهم عليه السلام القرآن الكريم في الخطاب كان لغايات متعدّدة ومتنوّعة، منها:

- ١- إلقاء الحجّة على الخصم باستعمال النصّ القرآني الذي يعدّ أقوى النصوص، وأكثرها حجّية، ويمثّل أقصر الطرق لمحااجة الخصم والتأثير فيه.
- ٢- قد جاء التناصّ مع القرآن للتعريف بهويّتهم عليه السلام وانتائمهم النسبي والديني في الآيات التي تمّ الاستشهاد بها.
- ٣- وكذلك نجد أنّ التناصّ مع القرآن الكريم جاء لتحقيق معاني: التهديد، والوعيد، والتوبيخ، والذم، تلك المعاني التي تلازم الآيات القرآنية المستعملة في الخطاب ملازمة مباشرة أو ضمنية، وقد حقّق التناصّ القرآني في خطبهم عليه السلام وصف المجتمعات التي تعامل معها منتج الخطاب (أهل البيت عليه السلام)، سواء المجتمع الكوفي أم المجتمع الشامي.

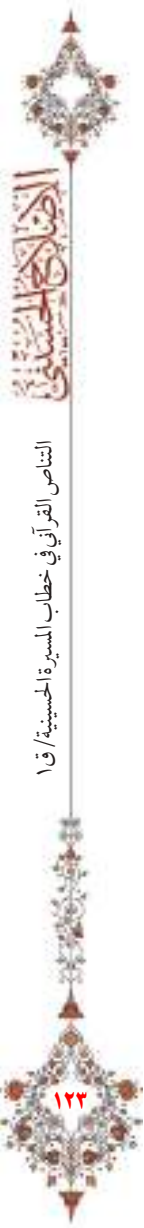
المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- ٢ - الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٣ - أدونيس متحلاً.. دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، كاظم جهاد، مكتبة

مدبولي، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

- ٤ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد، مؤسسة محيّن للنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٦ - أمالي الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٧ - الأمالي، محمد بن علي بن الحسين الملقب بالشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٨ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
- ٩ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.
- ١٠ - بلاغات النساء، أحمد بن طاهر بن طيفور، دار النهضة الحديثة، بيروت - لبنان، ١٩٧٢م.
- ١١ - البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.
- ١٢ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٤م.
- ١٣ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- ١٤ - تحليل الخطاب الشعري.. استراتيجية التناسّ، د. محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.



- ١٥ - تحليل الخطاب وتجاوز المعنى.. نحو بناء نظرية المسالك والغايات، محمد محمد يونس علي، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦ م.
- ١٦ - تذكرة الخواص، يوسف بن قزغلي المعروف بسبط ابن الجوزي البغدادي، دار العلوم، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤ م.
- ١٧ - الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرجير للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ م.
- ١٨ - ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ١٩ - التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٢ م.
- ٢٠ - تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧ م.
- ٢١ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
- ٢٢ - تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة الأعلمي، ٢٠١٤ م.
- ٢٣ - التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، المطبعة البهية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.
- ٢٤ - تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٢٥ - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

٢٦ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، وعلي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

٢٧ - الخطاب وخصائص اللغة العربية.. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت - لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٢٨ - دراسات في أدب مصر الإسلامية، عوض الغباري، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣م.

٢٩ - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

٣٠ - الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

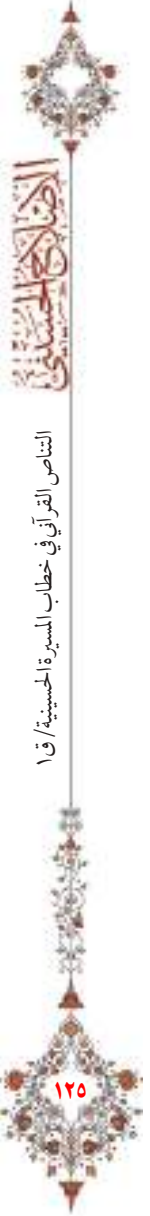
٣١ - ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب.. مقارنة بنيوية تركيبية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٣٢ - ظواهر فتيّة في لغة الشعر العربي الحديث، علاء الدين رمضان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سورية، ١٩٩٦م.

٣٣ - علم لغة النصّ النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، تقديم: د. سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٣٤ - القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، د.ط، ١٩٥٢م.

٣٥ - قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان - ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.



- ٣٦ - الكافي، محمد بن يعقوب الملقب بالكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ هـ. ش.
- ٣٧ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: جواد القيومي، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٣٨ - اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، دار الأسوة، قم - إيران.
- ٣٩ - ما هو النقد؟ بول هيرنادي، ترجمة: سلامة حجاوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد - العراق، ١٩٨٩ م.
- ٤٠ - مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م.
- ٤١ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٩٥ م.
- ٤٢ - مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة - مصر.
- ٤٣ - مدارات النصّ المغلق.. من غرابة المفردة إلى تغريب النص، عبد العزيز إبراهيم، الموقف الثقافي، العدد ٢٩، السنة الخامسة، دار الشؤون، بغداد - العراق، ٢٠٠٠ م.
- ٤٤ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- ٤٥ - مدخل إلى علم النصّ.. مشكلات بناء النصّ، زتسيسلاف واورزنيك، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣ م.
- ٤٦ - مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤ م.

٤٧ - مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق.

٤٨ - المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ وتحليل الخطاب.. دراسة معجمية، نعمان بوقرة، جدارا للكتاب العالمي، عمّان - الأردن، الطبعة الأولى.

٤٩ - معاني القرآن، يحيى بن زياد المعروف بالفراء، شرح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

٥٠ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ.

٥١ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر، ٢٠٠٨م.

٥٢ - المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢م.

٥٣ - المقاربة النصّية من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي، فوزية عزوز، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦م.

٥٤ - مقدّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم: عزّ الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة - مصر، ٢٠٠١م.

٥٥ - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، المطبعة العلمية، قم - إيران.

٥٦ - مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢م.

٥٧ - موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٥٨ - الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.



- ٥٩ - نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين عليه السلام، محمد بن عزّ الدين الزرندي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٨ م.
- ٦٠ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ود. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر، عمّان - الأردن، ١٩٨٥ م.
- ٦١ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٩٣ م.
- ٦٢ - ينابيع المودة، سليمان بن إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م.

المجلات

- ٦٣ - تكلم الرأس الشريف في مصادر الفريقين، اسكندر الجعفري، مجلّة الإصلاح الحسيني، مؤسسة وارث الأنبياء، العتبة الحسينية المقدّسة، العدد السابع.
- ٦٤ - تناصّ الشكل في الرسم الحديث، كاظم نوير، مجلّة الموقف الثقافي، العدد ٢٩، السنة الخامسة، للعام ٢٠٠٠ م، دار الشؤون الثقافية، بغداد - العراق.
- ٦٥ - التناصّ مع الشعر الغربي، عبد الواحد لؤلؤة، مجلّة أقلام، العدد ١٠، ١١، ١٢، لسنة ١٩٩٤ م، بغداد - العراق.
- ٦٦ - التناصّ وإشارات العمل الأدبي، صبري حافظ، مجلّة ألف، العدد ٤، لسنة ١٩٨٤ م.

النهضة الحسينية ودورها في تفسير بعض الآيات القرآنية سورة العاديات أنموذجاً

عادل حاتم جبر*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ٣ ﴿فَأَثَرُنَّ بِهِ
نَقْعًا﴾ ٤ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ ﴿وَإِنَّهُ عَلَى
ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ٧ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٨ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَلًا فِي
الْقُبُورِ﴾ ٩ ﴿وَحَصِلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ١٠ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ١١ ﴿^(١)﴾.

مقدمة

لم يكن القرآن الكريم بدعاً من الكتب السماوية الأخرى التي أخبرت بحوادث
سوف تقع في مستقبل الأيام، وخاصة فيما يتعلق بما سيتعرض له أتباع الرسل من
محن وابتلاءات، أو أحداث ومعارك يخوضونها، كقوله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي
أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ^(٢)، وقد تحققت هذه النبوءة بعد
عدة سنوات عندما انتصرت الروم على الفرس.

وقد ألفت كتب في تنبؤات الإنجيل والتوراة وما تحققت منها، بل ألف بعض

* ماجستير في الفقه الإسلامي، جامعة المصطفى العالمية، من العراق.

(١) العاديات: آية ١-١١.

(٢) الروم: آية ٢-٣.

كتباً عما جاءت به الكتب السماوية بشأن مأساة كربلاء، وظهور صاحب الأمر عليه السلام في آخر الزمان.

والسؤال الذي يطرح نفسه على بساط البحث هو: هل من الممكن أن يغفل القرآن الكريم عن الإشارة إلى ما سيتعرض له نبي آخر الزمان وأوصياؤه ومستقبل الرسالة الإلهية في حين قد أشارت لها الكتب السابقة؟

والجواب: إن القرآن الكريم قد أشار إلى ما سيتعرض له هؤلاء المقدسون من محن وابتلاءات وما سيؤول إليه مصير الأمة في مستقبلها القريب والبعيد، وبعضها آيات واضحة لا تحتاج إلا إلى يسير من التدبر لإدراك معانيها، منها ما أخبر به عن مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وانقلاب الأمة بعده عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَصُرَ اللَّهُ شَيْعًا﴾ (١).

ومنها ما أخبر عن الملك العظيم الذي ادّخره الله تعالى لآل محمد صلى الله عليه وآله في آخر الزمان بعد التهميش والتضييق والقتل الذي تعرضوا له، قال تعالى: ﴿أَمْرٍ يُحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَاءِ أَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٢).

ومما يؤيد هذا المعنى ما رواه أبو حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام في مقام تفسير الآية أعلاه، فقد قال عليه السلام: «نحن والله الناس الذين قال الله تعالى، ونحن والله المحسودون، ونحن أهل هذا الملك الذي يعود إلينا» (٣).

هذا، وقد وردت الإشارة إلى الإمام الحسين عليه السلام صراحة في بعض الآيات كما في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا

(١) آل عمران: آية ١٤٤.

(٢) النساء: آية ٥٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٨٨.

وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَلُ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾. وقد تظافرت الأخبار أن رسول الله ﷺ قد خرج للمباهلة

مصطحباً معه علياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ. (٢).

كما ورد ذكره ﷺ تلميحاً في مواضع متعدّدة من القرآن الكريم، منها - على

سبيل المثال - ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا

وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾ (٣)، فقد روي عن أهل البيت ﷺ أنها

نزلت في الحسين ﷺ. (٤).

هذا، وأن الآيات المشار إليها قد أخبرت عنها نصوص مروية عن العترة

الطاهرة ﷺ، أنها نزلت في الحسين ﷺ، إلا أنه ثمة آيات أخرى نزلت فيه ﷺ، ولكن

لم يصل إلينا فيها نصّ عنهم ﷺ، بل ولم يرد فيها قول لمفسّر بأنّها نزلت فيه ﷺ.

وهنا محطّ البحث ومعتك الآراء، ليكون هذا البحث مصداقاً للعنوان المقترح

في دور النهضة الحسينية في فهم بعض الآيات والسور القرآنية، وإدراك معانيها

الحقيقية، والمراد من ذلك أنّ الحوادث الواقعة في معركة الطفّ كان لها الدور البارز

في الكشف عن مداليل بعض الآيات الكريمة ومقاصدها التي بقيت غائبة عن فهم

المسلمين وإدراكهم؛ بسبب التضليل الذي مارسته المدارس الفكرية المنحرفة، التي

كانت تكوّس التفاسير الداعمة لبقاء السلاطين الغاصبين للخلافة النبوية على حكم

المسلمين، وتحاول إبعاد وتسفيه أيّ تفسير للآيات التي تُشير إلى ولاية من اختارهم

الله تبارك وتعالى خلفاء على الأرض مهما كان جليلاً وواضحاً.

وستتناول في هذا البحث تفسير سورة العاديات على وفق الأحداث التي

(١) آل عمران: آية ٦١.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٢٧٦.

(٣) الأحقاف: آية ١٥.

(٤) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٧٢، ج ٤٣، ص ٢٤٦.

جرت في واقعة الطفّ الأليمة، جاعلين ذلك مستنداً للوصول إلى فهم صحيح للمراد الإلهي من آيات هذه السورة المباركة.

نظرة عامة حول سورة العاديات

أولاً: هل السورة مدنية أو مكّية؟

اختلف المفسّرون اختلافاً كبيراً في أنّ سورة العاديات هل هي سورة مكّية أو مدنية؟ بل إنّ بعض المفسّرين كالفيض الكاشاني قال في تفسيره (الأصفي): إنّها مكّية^(١)، وقال في تفسيره (الصافي): إنّها مدنية^(٢)؛ ولعلّ ذلك سهو منه أو تحقّق لديه في كتابه الثاني أنّ سبب النزول هو خلاف ما قاله في كتابه الأول.

وقد رجّح السيّد الطباطبائي أنّها نزلت في المدينة بالنظر إلى مضامينها ومحتوياتها^(٣). كما رجّح الشيخ مكارم الشيرازي أنّها مدنية بعد أن ذكر قرائن تدلّ على أنّها مكّية^(٤).

وعلى كلّ حال، فإنّ الأنسب لمقام البحث أن تكون السورة مدنية؛ لأنّها تتحدّث عن موضوع يتعلّق بمستقبل الرسالة بعد الفراغ من تثبيت أركانها العقائدية وتشديد معالم دولتها وكيانها السياسي.

ثانياً: أهمية سورة العاديات

وردت بعض الأخبار التي تبيّن أهمّية هذه السورة المباركة، وتعكس مدى رغبة الشارع المقدّس في الإلفات إلى معانيها من خلال تشريع استحباب تلاوتها مطلقاً، أو في بعض المناسبات العبادية، نذكر رواية واحدة منها على سبيل المثال:

(١) أنظر: الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الأصفي: ج ٢، ص ١٤١٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٥، ص ٣٦٠.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، القرآن في الإسلام: ص ١٣٢.

(٤) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢٠، ص ٢٨٩.

ذكر الشيخ الصدوق عليه السلام بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من قرأ سورة العاديات وأدمن قراءتها بعثه الله عز وجل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم القيامة خاصّة، وكان في حجره ورفقائه»^(١).

ثالثاً: سبب نزول السورة

ذكر المفسرون أسباباً عدّة لنزول هذه السورة الكريمة، فقد جاء في التفاسير الشيعية أنّها:

- ١- نزلت بعد غزوة ذات السلاسل^(٢).
- ٢- نزلت في الغزوة على بني سليم^(٣).
- ٣- نزلت في الغزوة على خثعم^(٤).

والظاهر أنّ الروايات التي أشارت إلى الغزوات الثلاثة أعلاه ذات مضمون متقارب، ولعلّها غزوة واحدة عبّر عنها بألفاظ مختلفة لاختلاف روايتها، أو لعلّها نزلت في هذه المناسبات جميعاً لحكمة يريد منها الباري عز وجل التأكيد على هذه السورة المباركة.

كان هذا ما ذكر في تفاسير الشيعة، وأمّا التفاسير الأخرى فقد ذكرت سببين آخرين لهذه السورة، هما:

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١٢٥. ومن أراد الأطلاع أكثر على الروايات التي بينت أهميّة سورة العاديات وفضلها واستحباب قراءتها في الصلوات اليومية، وبعض الصلوات المندوبة، فليراجع: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرّ المنثور: ج ٦، ص ٣٨٣. القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٦٠. ابن طاووس، علي بن موسى، جمال الأسبوع: ص ٩٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٤٦٦.

(٢) أنظر: القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ٢، ص ٤٣٤-٤٣٩. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ٥٩١. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٢١.

(٣) أنظر: الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات: ص ٥٩٢.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٩٣.

- ١- أُنزلت في إيل الحجيح. وقد ذكر سبب النزول هذا جلّ مفسّريهم^(١).
- ٢- أُنزلت في غزوة على حي من بني كنانة^(٢).

رابعاً: علاقة سبب النزول بتفسير الآيات

إنّ القرآن الكريم باعتباره الكتاب السماوي الخالد الذي يسعى إلى تلبية احتياجات الإنسان وما يتعلّق به في جميع العصور، لا يمكن تقييد مضامين آياته بزمان نزولها ومكانه، فقد رُوِيَ عن الفضيل بن يسار أنّه قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ما من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن. فقال عليه السلام: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر...»^(٣). وعليه؛ فلا توجد علاقة على نحو العلية والمعلولة بين النصوص القرآنية وبين أسباب نزولها، وإنّما يختار الله سبحانه وتعالى الحدث الأقرب والأكثر تعلقاً بها وقتاً لنزولها، أضف إلى ذلك فإنّ كثرة الروايات المتعارضة بشأن أسباب النزول يُضعف اعتمادها كأسباب واقعية لنزول الآيات، ويجعلها مجرد مناسبات وظروف لنزولها. وفي هذا الصدد قال العلامة الطباطبائي: «إنّ ما ذكره من أسباب النزول - كلّها أو جلّها - نظرية، بمعنى أنّهم يروون غالباً الحوادث التاريخية، ثمّ يشفّعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدّونها أسباب النزول»^(٤).

تبيين معاني مفردات السورة

قبل الخوض في تحديد المداليل الاستعمالية لمفردات السورة المباركة التي تُعدّ

- (١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣، ص ٣٤٥. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم: ج ١٠، ص ٣٤٥٧. الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٢٦٩.
- (٢) أنظر: الواحدي النيسابوري، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن: ص ٣٠٥.
- (٣) الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢١٦.
- (٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٧٤.

مفتاحاً لفهم المراد الجدّي منها، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ كلمات اللغويين - في حدّ نفسها - ليست حجّة في هذا المضمار؛ وذلك لتعدّدها واختلافهم في تحديد معاني المفردات القرآنية وفقاً لما ينسجم مع ما هم عليه من عقائد وميول؛ ولهذا سنعتمد بشكل أساسي - عند اختلاف معاني اللفظ الواحد عندهم - على كلام اللغوي الذي يعتمد منهجاً علمياً في استنباط المعاني كابن فارس في كتابه (معجم مقاييس اللغة).

وبعد هذه الملاحظة فلنشرع ببيان معاني مفردات السورة:

العاديات: جمع العادية، والمراد بها الخيل حين تعدو^(١)، أو الخيل المغيرة^(٢).
وذهب بعضهم إلى أنّ من معانيها أيضاً: الإبل^(٣).

وقال ابن فارس: «تقول: عدا يعدو عدواً وهو عاد... والعادي الذي يعدو على الناس ظمناً وعدواناً»^(٤).

وعليه؛ يكون معنى العاديات هي الخيول التي تسرع في عدوها وهي معتدية ظالمة نحو من تريد الاعتداء عليه، فإنّه تعالى لو أراد الخيل فقط، أو الخيل في حال السير أو الهرولة أو الجري عبّر عنها بالألفاظ المناسبة لها في لغة العرب.

ضبحاً: الضبح صوت الثعلب، ثمّ استعير للصوت الذي تخرجه الخيل مع أنفاسها حين ترهق من شدّة التعب والإعياء عندما تعدو بسرعة^(٥).

الموريات قدحاً: المراد بها: «الخيول توري النار سناكبها إذا وقعت على الحجارة»^(٦).

(١) أنظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث: ج٣، ص١٩٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٥، ص٣٢.

(٢) أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١٩، ص٦٦٤.

(٣) أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٦١، ص٢٤٢٢.

(٤) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٢٤٩.

(٥) أنظر: المصدر السابق ج٣، ص٣٨٥. ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث: ج٣، ص٧١.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٢، ص٥٢٣.

(٦) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٤٦١.

المغيرات: الخيل المغيرة، قال ابن فارس: «غور: الغين والواو والراء أصلان صحيحان، أحدهما خفوض في الشيء وانحطاط وتطامن، والأصل الآخر إقدام على أخذ مال قهراً أو حرباً... الإغارة، يقال: أغار بنو فلان على بني فلان إغارة وغارة»^(١). وهو يستبطن معنى السرعة عند الهجوم، قال ابن منظور: «وأغار الفرس إغارة وغارة: اشتدّ عدوه وأسرع في الغارة وغيرها»^(٢).

صباحاً: الصبح أوّل النهار^(٣)، وهو الفجر^(٤).

فأثرن: بتخفيف الثاء إمّا من مادّة (ثور)، بمعنى: انبعث الشيء، أو جنس من الحيوان^(٥). وإمّا من مادّة (أثر)، بمعنى: تقديم الشيء، أو ذكر الشيء، أو رسم الشيء الباقي^(٦). وورد أيضاً: أثر السيف بمعنى ضربته^(٧).

نقعاً: قال ابن فارس: «نقع: النون والقاف والعين أصلان صحيحان، أحدهما: يدلّ على استقرار شيء، كالمائع في قراره، والآخر: على صوت من الأصوات»^(٨). وقال ابن منظور: «ويقال: سمّ ناقع، أي: بالغ قاتل، وقد نَقَعَهُ، أي: قَتَلَهُ... ودم ناقع، أي: طري»^(٩).

لكنود: الكنود هو: الكفور للنعمة^(١٠).

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٤٠١.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ٣٦.

(٣) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٣، ص ١٢٦.

(٤) أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ١، ص ٣٧٩.

(٥) أنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٣٩٥.

(٦) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٣.

(٧) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٨، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٨) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٧١.

(٩) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٨، ص ٣٦٠.

(١٠) أنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ١٤٠.

لشَهِيد: من مَادَّة (شَهِد) التي تَدَلُّ على حُضُورِ وعِلْمٍ وإِعْلَامٍ^(١).

الخَيْر: وهو خِلافُ الشَّرِّ، ومن مَعَانِيهِ أَيْضاً الكَرَمُ^(٢).

لشَدِيد: من مَادَّة (شَدَّ)، التي تَدَلُّ «على قُوَّةِ في الشَّيْءِ...» ومن البَابِ الشَّدِيدِ
والمُتَشَدَّدِ: البَخِيلُ^(٣).

بِعَثْر: قال الجَوْهَرِيُّ «يُقَالُ: بَعَثَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ وَبَحَثَهُ إِذَا فَرَّقَهُ وَبَدَّدَهُ وَقَلَبَ بَعْضَهُ
عَلَى بَعْضٍ. وَيُقَالُ: بَعَثْتَ الشَّيْءَ وَبَحَثْتَهُ إِذَا اسْتَخَرَجْتَهُ وَكشَفْتَهُ»^(٤).

الطروحات في تفسير آيات سورة العاديات

ذُكِرَت لآيَاتُ هَذِهِ السُّورَةِ المَبَارَكَةِ عِدَّةُ تَفْسِيرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِيمَا بَيْنَهَا، يُشَمُّ مِنْهَا
دِخَالَةُ الوِلَايَاتِ الفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الَّتِي طَالَمَا لَعِبَت دَوْرًا خَطِيرًا فِي تَشْوِيهِ الصُّورَةِ
النَّاصِعَةِ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ، مِنْ خِلَالِ تَحْرِيفِ مَعَانِيهِ وَإِبْعَادِهَا عَنِ الوَجْهِةِ الحَقِيقِيَّةِ الَّتِي
أَنْزَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لهُدَايَةِ النَّاسِ، أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ نَظَرًا لِتَعَدُّدِ التَّفْسِيرَاتِ لِكُلِّ
مُفْرَدَةٍ مِنْ مَفْرَدَاتِهَا وَتَنَاقُضِهَا، فَإِنَّ المَتَابِعَ لَهَا يَجِدُ صَعُوبَةً بَالِغَةً فِي تَكْوِينِ أُطْرُوحَةٍ
مُتَكَامِلَةٍ وَمُتْرَابِطَةٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ؛ مِمَّا يَجْعَلُنَا مُضْطَّرِّينَ إِلَى إِيرَادِ هَذِهِ التَّفْسِيرَاتِ
تَحْتَ كُلِّ آيَةٍ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ المَبَارَكَةِ، وَالَّتِي هِيَ:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾

ذَكَرَ المَفْسَّرُونَ لَهُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ:

الأول: تَفْسِيرُ العَادِيَاتِ بِإِبْلِ الحَجِيجِ، وَأَنَّ السُّورَةَ جَاءَتْ لِتَنْقَلِ لَنَا صُورًا مِنْ
أَعْمَالِ حَجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ وَهُمْ يُؤَدُّونَ مَنَاسِكَهُمْ؛ تَأَكِيدًا عَلَى أَهْمِيَّةِ فَرِيضَةِ الحَجِّ

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ٣، ص ٢٢١.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق: ج ٣، ص ١٧٩.

(٤) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٥٩٣.

وترغيباً للمسلمين بها. وقد نسبوا هذا التفسير لأمر المؤمنين عليه السلام، ونسبه بعضهم إلى عبد الله بن مسعود^(١).

وردّه بعضهم وبيّن ضعفه، وذكر أنّه خلاف الظاهر^(٢)، وذهب آخرون إلى ضعف الرواية ونسبتها إلى الإمام علي عليه السلام بعد أن وجد أنّ ذلك لا يمكن أن يقوله عليه السلام لفرط ضعفه وهشاشته^(٣).

الثاني: تفسير العاديات بخيل المجاهدين، وهو التفسير الذي تبناه أغلب المفسّرين من الفريقين^(٤)، ويتلخّص بتفسير العاديات بخيل المجاهدين، وهي تغزو في سبيل الله. وقد نطق بهذا التفسير قداماء المفسّرين وتبعهم من جاء بعدهم أتباع الفصيل أثر أمّه، ولكن الملاحظ أنّ قداماء المفسّرين فسّروا العاديات بمطلق الخيل من غير تخصيص لها بخيل المجاهدين.

الثالث: تفسير العاديات بالنفوس^(٥)، وهذا التفسير طرحه الصوفية على طريقتهم في تبين معاني القرآن على خلاف ظاهره؛ لتتناغم مع خطّهم الفكري العام الهادف إلى تزكية النفس وتهذيب الروح. وهي مجرد تخيّلات صرفة لا تقوم على أساس علمي صحيح، وإن كانت غايتها نبيلة.

(١) هذا، وقد استفاض نقل المفسّرين للروايات الداعمة لهذا الطرح في كتبهم التفسيرية. أنظر: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن: ج ٣، ص ٣٩٠. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣، ص ٣٤٧. الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٣٢، ص ٦٤-٦٣. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢٠، ص ٣٩٣. ومن الجدير بالذكر أنّ مجاهد (ت ١٠٤ هـ) لم يذكر هذا الرأي في تفسيره.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٣٤٥.

(٣) أنظر: الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ج ٣٠، ص ٢١٧.

(٤) أنظر: المخزومي، مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد: ج ٢، ص ٧٧٦. الأزدي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل: ج ٣، ص ٥١١. الثعلبي، أحمد بن محمد، تفسير الكشف والبيان: ج ١٠، ص ٢٦٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٢١. الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج ٨، ص ٥٠٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير: ج ٥، ص ٤٨٢. الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ج ٣٠، ص ٢١٥.

(٥) أنظر: ابن عربي، محمد بن علي، تفسير ابن عربي: ج ٢، ص ٤٢٢.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾

اختلف المفسرون في هذه الآية الكريمة إلى ستة أقوال، كما نقلها الطبري، وهي:

- ١- الخيل توري النار بحوافرها.
- ٢- الخيل هجن الحرب بين أصحابهم وركبانهم.
- ٣- الذين يورون النار بعد انصرافهم من الحرب.
- ٤- مكر الرجال.
- ٥- الألسنة.
- ٦- الإبل حين تسير تنسف بمناسمها الحصى^(١).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَالْمَغِيرَتِ صَبْحًا﴾

اختلف المفسرون في تحديد المراد من هذه الآية، فهل هو الخيل التي تغير على عدوها في الصباح، أو الإبل التي تحمل ركبانا من جمع يوم النحر إلى منى؟ وقد نقل الطبري صفة زائدة للمغيرات وهي الإغارة علانية^(٢)، بينما أضاف الطباطبائي والآلوسي للخيل المغيرة صفة المباغثة في الهجوم^(٣).

رابعاً: قوله تعالى: ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾

أطبق المفسرون على تفسير النقع بالغبار؛ لأنه التفسير الوحيد الذي يتلائم مع طروحاتهم في تفسير السورة المباركة، وأهملوا المعنى الأصلي لكلمة النقع. قال الشوكاني: «النقع: الغبار الذي أثرته في وجه العدو عند الغزو...» وقال أبو عبيدة: النقع: رفع الصوت... والمعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرين أن النقع

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٣٤٦. الآلوسي، محمود بن عبد الله،

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ج ٣٠، ص ٢١٥.

الغبار، ومنه قول الشاعر:

يخرجن من مستطار النقع دامية
كأنّ أذناها أطراف أقلام

وقول عبد الله بن رواحة:

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع من كنفني كداء

وقول آخر:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وهذا هو المناسب لمعنى الآية. وليس لتفسير النقع بالصوت كثير معنى^(١). ومن الغريب أن يأتي الشوكاني وغيره من المفسرين بمثل هذه الأبيات الشعرية كشاهد على أن المراد من النقع هو الغبار، مع أن اصطلاح مثار النقع ومستطار النقع تداوله الشعراء قديماً وحديثاً وأرادوا به قطرات الدم المتطايرة عندما تهوي السيوف على الرؤوس!

ففي البيت الأوّل تخرج السيوف من مستطار النقع دامية، ولو كان المراد من النقع هو الغبار فكيف تخرج السيوف من الغبار وهو محيط بها ويعلوها بأمطار في جو المعركة؟! وكذلك البيت الثاني سيخلو من أيّ معنى للتفاخر إذا كان معنى قوله (تثير النقع) هو مجرد إثارة الغبار وتطايره من جهتي (كداء) وهو جبل من جبال مكّة. وكذلك معنى (مثار النقع) في البيت الثالث، فهو أشدّ وضوحاً، فإنّ الشاعر شبه قطرات الدم المتطاير من الرؤوس عندما تتهاوى عليها السيوف بالنجوم التي تهوي إلى الأسفل أثناء الليل وقد علاها ذنب مضيء.

(١) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير: ج ٥، ص ٤٨٢.

خامساً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾

اتَّفَقَ المفسِّرون على أنَّ المعنى المشهور لمفردة (كنود) هو كفور، ومع ذلك فقد ذكروا أنَّ له معنى آخر وهو البخيل، ومنه كذلك الأرض الكنود وهي التي لا تنبت بالزرع، وذكروا له أيضاً معانٍ أخرى كثيرة، ومن هذا القبيل ما ذكره الطبري تحت هذه الآية، فهو بعدما قال أنَّ معناها هو: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكُفُورٍ لِنَعْمِ رَبِّهِ»^(١)، نقل تفاسير عدَّة عن الصحابة والتابعين لهذه اللفظة، من قبيل ما أورده عن الحسن البصري: «إنَّ الإنسان لربه كنود قال: هو الكفور الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه»^(٢)، وعن الحسن: «إنَّه لَوَّامٌ لربه يعدُّ المصائب»^(٣)، وعن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنَّه قال في معنى الآية: «لكفور، الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفته»^(٤)، إلى غير ذلك من كلمات المفسِّرين^(٥) التي لا تنسجم مع الطروحات التي تبوَّها في تفسير سائر آيات هذه السورة.

سادساً: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾

اتَّفَقَ المفسِّرون على أنَّ معنى شهيد في الآية الكريمة: الشاهد، من الشهادة. واختلفوا في الشاهد مَنْ هو؟ فقال بعضهم: إنَّ الإنسان شاهد على نفسه في كنوده لربه^(٦). بينما نسب الثعلبي إلى أكثر المفسِّرين قولهم: إنَّ الله تعالى شاهد على الإنسان

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠، ص ٣٥٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٥٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أنظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٣٢، ص ٦٧. الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٢٧١. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٢٤٦.

(٦) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٠، ص ٢٥٥. الغرناطي الكلبي، القاسم بن أحمد، التسهيل في علوم التنزيل: ج ٤، ص ٢١٤. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج ٨، ص ٥٠٢. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٢٤٦.

في كنوده وصنائه^(١). وهناك مَنْ بينَ أنَّ شهيدَ في الآية من الشهود بمعنى العلم الحضورى^(٢).

سابعاً: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾

أطبِق المفسِّرون على أنَّ المراد بالخير في الآية الكريمة هو المال، وخصَّه بعضهم بالمال الكثير^(٣). نعم، نقل بعضهم كالطبري عن ابن زيد أنَّ المراد بالخير الدنيا^(٤)، ونسب الشنقيطي إلى مجاهد وغيره أنَّ المراد به في الآية العمل الصالح^(٥)، ونقل الطوسي عن المبرد والربيع أنَّ معنى الخير في الآية المال أو الملك^(٦). وقال الطباطبائي: «ولا يبعد أن يكون المراد بالخير مطلقه، ويكون المراد أنَّ حبَّ الخير فطري للإنسان، ثمَّ إنَّه يرى عرض الدنيا وزينتها خيراً، فتجذب إليه نفسه ويُنسيه ذلك ربَّه أن يشكره»^(٧).

تقييم الطروحات التفسيرية المتقدمة

لقد واجهت التفاسير المتقدمة لآيات سورة العاديات المباركة تهافتاً كبيراً واعتراضات لم تستطع الإجابة عنها، وتركت الميدان مخلَّفة وراءها مجموعة من الاحتمالات لكل مفردة ولكل ضمير ولكل فقرة ولكل آية من غير أن تحسم موقفها بتفسير واضح منسجم مع بعضه. هذا، ويمكن بيان التهافت المذكور على المستويات الآتية:

- (١) أنظر: الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٢٧٢.
- (٢) أنظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ج ٣٠، ص ٢١٨.
- (٣) أنظر: الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن: ص ١٦٠. الألويسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ج ٣٠، ص ٢١٨.
- (٤) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠، ص ٣٥٥.
- (٥) أنظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان: ج ٢، ص ٤٦.
- (٦) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٣٩٧.
- (٧) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٣٤٧.

١- معاني المفردات: فقد اتضح للقارئ الكريم جلياً من خلال ما نقلناه له من كلمات المفسرين بأن أكثرهم لم يصلوا إلى المعنى المختار، ويحسموا أمرهم بشأنه استناداً إلى دليل علمي أو مرجح منطقي، كما أنهم لم يركنوا إلى تفسير واحد لكل مفردة من مفردات هذه السورة ينسجم مع معاني المفردات الأخرى المذكورة فيها.

٢- إرجاع الضمائر: فقد اضطرب المفسرون بهذا الشأن اضطراباً كبيراً، ومن ذلك على سبيل المثال: اختلاف أقوالهم في مرجع ضمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾، فقد ذهب بعضهم إلى أنه المكان الذي وقعت فيه الإغارة^(١)، بينما ذهب بعض آخر إلى أنه الزمان الذي وقعت فيه الغارة، وهو وقت الصبح^(٢)، وكذلك هناك من ذهب إلى أنه العدو- أي: الركض- الذي دلّ عليه لفظ العاديات في صدر السورة^(٣). وهكذا دواليك بالنسبة إلى الضمير نفسه في الآيات اللاحقة التي هي: ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾** **﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾**.

٣- الربط بين القسم^(٤) وجواب القسم: لم يتعرّض أكثر المفسرين لهذا العنوان

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠، ص ٣٥١. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ١٠، ص ٥٢٤.

(٢) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج ٤، ص ٢٧٨. النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤، ص ٣٥٣. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ٥، ص ٥٢٠.

(٣) أنظر: الأزدي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل: ج ٣، ص ٥١٠. الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٣٢، ص ٦٣. الطباطبائي، محمد بن حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٢٤٦.

(٤) القسم هو: أسلوب قرآني مألوف ورد في عشرين سورة قرآنية ابتدأت بالقسم، وجلّها من السور المكيّة، وهو أسلوب يلفت الانتباه لتأكيد حقائق ما أقسم عليه، وقد صرح الله تبارك وتعالى بعظمة ودقّة القسم الإلهي الذي يذكره في كتابه الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْعِدِ النَّجْمِ﴾ **﴿وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾**، الواقعة: آية ٧٥-٧٦. بالإضافة إلى ذلك لا بدّ من وجود علاقة ومناسبة بين القسم والمقسم به، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾**، العصر: آية ١-٢، فالعصر هو آخر وقت من أوقات النهار، وعمر الإنسان هو مجموع ساعات الليل والنهار التي تتعاقب عليه منذ ولادته إلى حين وفاته، فهو في حالة خسران- أي: نقصان- مستمر لعمره.

بعد أن لم يجدوا الربط والعلاقة الصحيحة بين القسم وجوابه^(١)؛ ولذلك توجد محاولتان لبيان هذه العلاقة:

أولاهما: ما ذهب إليه السبحاني من أنّ هذه السورة جاءت لتهديد أولئك الناس الذين لا يصغون إلى قوّة المنطق، التي دعا إليها الأنبياء ﷺ في دعواتهم الرسالية، ويسعون في أحيان كثيرة إلى وضع العراقيل أمام هذه الدعاوى، فهؤلاء يحتاجون - بحسب رأي السبحاني - إلى منطق القوّة؛ ومن هنا جاء القسم الإلهي في هذه السورة لتأكيد هذا الأمر^(٢).

وأهمّ ما يرد على هذه المحاولة هو أنّه قسّم الناس إلى فئتين: أحدهما تقبل بمنطق العقل، والثانية لا تقبل إلاّ بمنطق القوّة، بينما السورة الكريمة استعملت لفظ الإنسان الذي يشمل الفئتين معاً. كما أنّه استند في محاولته هذه إلى الرواية المذكورة في سبب النزول، مع أنّنا أسلفنا فيما تقدّم بأنّه لا توجد علاقة على نحو العلية والمعلولية بين النصوص القرآنية وأسباب نزولها، وإنّما تكون الأسباب - على الأكثر - ظروفاً لتلك النصوص وأوقاتاً لنزولها.

ثانيهما: ما ذهب إليه الشيخ مكارم الشيرازي حيث يرى أنّ القسم وإن تعلّق بالخيال، إلاّ أنّه في الحقيقة قسم بجهد المجاهدين؛ وعليه تكون العلاقة بينه وبين جوابه عبارة عن أنّ «ثمة أفراد من بني الإنسان يضحّون على طريق الجهاد ويبدلون النفس والنفيس في سبيل الله، فكيف والحال هذه يستولي على بعض الناس البخل والكفران، فلا يؤدّون فريضة شكر النعم، ولا يبذلون في سبيل الله؟!»^(٣).

(١) اختلف المفسّرون في تحديد متعلّق القسم في سورة العاديات، فمنهم من ذهب إلى أنّه الآيات الثلاث الأولى، وبعض آخر ذهب إلى أنّه الآيات الخمس الأولى منها. أمّا جواب القسم فلم يتطرّق المفسّرون إلى نهايته بعدما اتّفقوا على بدايته، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

(٢) أنظر: السبحاني، جعفر، الأقسام في القرآن الكريم: ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢٠، ص ٤٠١.

ولا يخفى ما في هذه المحاولة من تكلف ظاهر، فهي قائمة على تنزيل القسم بخيل المجاهدين منزلة القسم بالمجاهدين أنفسهم.

الأطروحة المقترحة لتفسير السورة

إن من الواضحات - بل المسلّمات - وحدة الموضوع في السور القصار، وهذا يستلزم طرح الوجوه والتفاسير لمفرداتها وآياتها التي لا تتناسب مع وحدة موضوعها، فمثلاً: سورة الكوثر باعتبارها أقصر سورة في القرآن الكريم تتحدّث عن موضوع اتهام النبي ﷺ بأنه أتر، أي: ليس له ولد ذكر، فوعده الله عزّ وجلّ بأنه سيُعطيّه الكثير جدّاً من الذرّيّة الذكور من نسل ابنته فاطمة الزهراء ؑ. وحينئذٍ ستكون التفاسير الأخرى للكوثر بأنه - مثلاً - نهر في الجنّة، أو هو الخير الكثير المتمثّل بالنبوّة، غير صحيحة وينبغي أن تُطرح جانباً؛ وذلك لأنّها لا تتناسب مع وحدة الموضوع في السورة الكريمة.

وسورة العاديات هي أيضاً من السور القصار التي تتميّز بوحدة الموضوع الذي تتحدّث عنه، وحينئذٍ ستُطرح كلّ التفاسير الأخرى التي لا تتناسب مع موضوع هذه السورة المباركة.

وحينئذٍ لا بدّ من البحث عن الموضوع الذي تتحدّث عنه هذه السورة. وقد اعترف جميع المفسّرين بأنّ السورة تتألّف من قسم وجواب القسم، أي: إنّ لها موضوعاً واحداً، وحتّى على القول: بأنّ السورة تتألّف من ثلاثة مقاطع، وأنّ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ﴾ إلى آخر السورة غير داخل في جواب القسم فلا شكّ بارتباطه الوثيق بمعطيات القسم وجوابه، بحكم استعمال الاستفهام الاستنكاري في الآية أعلاه الذي يدلّ على ارتباط الكلام بسابقه.

إنّنا أمام مشهد فريد يقسم به الله تبارك وتعالى، إذ القسم في السورة ليس في العاديات والموريات والمغيرات؛ لأنّه لو أراد ذلك لكان العطف بينها بالواو وليس

بالفاء، بل بالخيال العادية فالمورية فالمغيرة، الذي يدلّ على تتابع حركة هذه الخيل نحو هدف محدّد، فهي تتسابق مع الريح وتجهّد نفسها للوصول إليه بسرعة فائقة قبل أن يفلت منها.

إنّها معركة حاسمة، وصيد ثمين يُحشى فواته، إنّ هذه العاديات قد حدّدت مكان فريستها، وهي تريد الوصول إليه بسرعة والانقراض عليه قبل أن تحول الأقدار بينها وبينه، وهي توحى بأنّها أمسكت به بعد عناء طويل، كلّ ذلك تفسّره الفئات العاطفة في الآيات الأربعة المتتالية، وقد أشار بعض المفسّرين إلى هذا المعنى، مستدلّين به على كون المقسم به واحداً غير متعدّد، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيدَاتِ...﴾^(١)، ولكنّ الصحيح أنّه قسم بالمشهد الفريد الذي صوّرته الآيات الخمس بتصوير إعجازي بليغ.

وذلك المشهد العظيم الذي يستحقّ أن يقسم به الخالق جلّ جلاله هو خيل تعدو مسرعة جدّاً، وهي تضبح وتتعالى أصوات أنفاسها من شدّة الجري لتصل إلى هدفها بأقصى ما تستطيع، وهي من شدّة عدوها تنقذ من سنابكها شرر النيران عندما تصطدم بالحصى والصخور، وعندما يكتمل تجمعها واستعدادها في الليل تقوم بالإغارة على خصومها صباحاً، فتفتك بهم فتكاً شديداً، ولا يُرى في ميدان المعركة بعد أن أشرفت على الانتهاء سوى الدم المتطاير من هامة رجل بقي صامداً لوحده لساعات عديدة، وهو النقيعة التي لم يستطع هذا الجيش العرمرم أن يتوسّطه ويطوّقه ويحيط به، إلّا بعد أن أنختته الجراحات، وسقط على الأرض ولم يستطع الحركة، هنالك فقط اجتمعوا بكلّ جمعهم حوله من كلّ ناحية ينظرون إليه.

ونذكر في المقام ما نقلته كتب التواريخ عن هذا المشهد الفريد الذي لم يكن له

(١) أنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ١، ص ٢٢٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ٣٤٤. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ج ٩، ص ١٩٠. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج ٨، ص ٥٠١.

نظير في تأريخ البشرية، مشهد مصرع الإمام الحسين عليه السلام حينما بقي وحيداً في ميدان القتال أمام عشرات الألوف من المقاتلين الأشداء، الذين امتلأوا حقداً وحنقاً عليه؛ لما فعله أبوه بآبائهم بيدر وحنين والنهران.

نقل الطبري وابن الأثير وابن كثير عن أبي مخنف عن حميد بن مسلم - مراسل البلاط الأموي الذي يدون أحداث المعارك ويرسلها إليه - أنه قال: «ومكث الحسين عليه السلام طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولّى قتله وعظيم إثمه عليه... [إلى أن يقول:] فشدّ عليه رجالة ممن عن يمينه وشماله، فحمل على من عن يمينه حتى ابدعروا، وعلى من عن شماله حتى ابدعروا... قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ويحبّ هؤلاء أن يكتفهم هؤلاء. قال: فنادى شمر في الناس: ويحكم ماذا تنظرون بالرجل؟! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم. قال: فحمل عليه من كل جانب، فضربت كتفه اليسرى ضربةً، ضربها زرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو. قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي، قطعنه بالرمح فوق، ثم قال خولي بن يزيد الأصبغي: احتز رأسه. فأراد أن يفعل فضعف فأرعد. فقال له سنان بن أنس: فتّ الله عضدك وأبان يدك. فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه، ثم دفع إلى خولي بن يزيد»^(١).

ورواه الشيخ المفيد والفتال النيسابوري بألفاظ قريبة من الرواية المتقدمة^(٢).

الأدلة والقرائن على صحة هذه الأطروحة

هنالك مجموعة من الأدلة والشواهد على صحة هذا التفسير نُجملها فيما يلي:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٤، ص ٣٤٢-٣٤٦. أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص ٧٥-٧٨. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص ٢٠٢-٢٠٤.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص ١١٠-١١٢. النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة

أولاً: تهافت الأطاريح الأخرى في تفسير السورة المباركة، كما مرّ في البحوث السابقة.

ثانياً: انسجام وتلاؤم هذا التفسير مع المعاني اللغوية لألفاظ السورة المباركة، كما مرّ في البحث اللغوي لمفردات السورة الكريمة، فمثلاً مفردة (كنود) الواردة في جواب القسم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، فقد واجه المفسرون معضلة في مجال تفسيرها بعد أن اتفقوا على أنّ المعنى اللغوي المشهور لها هو (كفور)؛ وذلك لأنهم واجهوا مشكلة في بيان سعة وضيق أفراد الإنسان - المذكور في الآية نفسها - في حال المصير إلى هذا المعنى بالشكل الذي ينسجم مع التناسب المذكور بين القسم وجوابه، فقد ذهب بعضٌ منهم إلى أنّ المراد بالإنسان فرد بعينه، وذهب آخرون إلى أنّ المراد به بعض أفراد الإنسان وهو الكافر، واعترف قسم ثالث بأنّ المراد به جنس الإنسان، ولكنهم لم يتطرّقوا إلى هذه المعضلة وجوابها.

أمّا على التفسير المقترح فإنّ هذه المعضلة سوف تتلاشى؛ وذلك من خلال المصير إلى الرأي القائل: بأنّ الآية تُشير إلى جنس الإنسان، وأنّ صفة (الكنود) الواردة فيها هي جزء من طبيعته وأنّه مجبول عليها. وقد استشهد على ذلك بجملة من الآيات التي تشير في حقيقتها إلى فشل هذا المخلوق في اختيار القيم النبيلة وترجيحه لاختيار طريق الانحراف والشرّ، قال تعالى: ﴿... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١).

هذا، وأنّ كون الإنسان مجبولاً على بعض الصفات السلبية لا يمنع من توجه التكليف إليه، وكونه محاسباً على ارتكاب الموبقات يوم القيامة؛ وذلك لأنّ الله عزّ وجلّ قد جعل الالتزام بالطاعات الشرعية والعقائد السليمة والأخلاق الفاضلة طريقاً إلى تزكية النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا

(١) البقرة: آية ٨٧.

مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ (١).

ثالثاً: إنَّ دلالة استعمال الفاء في الآيات الأربع المتتالية على التعاقب كما مرّت الإشارة إليه، يجعل تفسيرنا المقترح منفرداً في إيجاد المطابقة بين قوله تعالى: ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ وبين الواقع التاريخي لمذبحة كربلاء؛ إذ لم يُنقل في أيّ غزوة أو معركة أنّ الإحاطة بالعدو وقعت بعد انتهاء المعركة إلّا في هذه المذبحة المروّعة، كما دلّت النصوص التاريخية التي نقلناها فيما سبق؛ ممّا يجعلها المصدق الوحيد للآية أعلاه.

رابعاً: التناسب الأمثل بين القسم بالمشهد الدموي المقدّس وبين التهديد والوعيد الذي تضمّنه جواب القسم، وهو ما عجزت عنه التفاسير السابقة التي جمعت بين البشارة التي يحملها القسم بخيل المجاهدين وبين التهديد والوعيد الذي تضمّنه جواب القسم.

خامساً: تناسق إرجاع الضمائر في السورة المباركة على هذه الأطروحة، بينما لاحظنا سابقاً الاضطراب الشديد في الطروحات السابقة فيما يتعلّق بهذه القضية، فعلى الأطروحة الصحيحة ترجع الهاء في تركيب (به) - الذي اشتملت عليه آيات القسم - إلى شخص بعينه وهو سيّد الشهداء عليه السلام، وترجع الهاء في (وأنّه) - الذي اشتملت عليه آيات جواب القسم - إلى جنس الإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾؛ وحينئذٍ سيكون فهم السورة جلياً وواضحاً، لا لبس فيه ولا غموض.

سادساً: إنّ هذه الأطروحة تحافظ على المحور الواحد الذي تتحدّث عنه سورة العاديات، فجواب القسم بالمشهد المروّع بذبح الإمام الحسين عليه السلام هو أنّ الإنسان

مخلوق كنود لربّه، أي: قاطع لحبل موّدة العترة الطاهرة لرسول الله ﷺ، والذي دلّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، فقد استفاضت أحاديث الفريقين بأن المراد بالقربى هنا آل محمد ﷺ.

ثم إن الإنسان شهيد على هذا القطع لحبل الموّدة بقتله الحسين عليه السلام، وأن هذا الإنسان بسبب شدة حبه للمال قد أقدم على ارتكاب هذا العمل الشنيع، وهو يعلم بعظم منزلة هذا الإمام عليه السلام عند الله ورسوله، وأنه من المفروض عليه موّدة ونصرته. سابعاً: ورود الإشارة إلى وجود رابطة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين بعض السور القرآنية كالعاديات مثلاً، في بعض النصوص التي تُنسب إلى الإمام صاحب الزمان عليه السلام، والتي هي من قبيل دعاء الندبة الصادر من الناحية المقدّسة: «يابن يس والذاريات، يابن الطور والعاديات»^(٢).

ثامناً: فهم بعض الأدباء لسورة العاديات بأنها سورة مصيبة وحزن ولوعة، وتضمنهم إياها في أشعارهم، منها: ما ذكره الموصلي في إحدى موشحاته:

جفا الرقاد جفوني	وبالسهاد ولوعي
والعاديات شجوني	والنازعات ضلوعي
والذاريات شؤوني	والمرسلات دموعي ^(٢)

تاسعاً: إن مفردة العاديات - كما تقدّم في البحث اللغوي - تتضمن معنى العداوة، كما تتضمن معنى العدو. ولزيادة الإيضاح ننقل ما ذكره الفراهيدي، قال: «العدو: الحضر. عدا يعدو عدواً وعدواً - وهو التعدّي في الأمر، وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه... والعدوة عدوة اللص أو المغير. عدا عليه فأخذ ماله، وعدا عليه بسيفه

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٥١٠.

(٣) الصفدي، خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات: ج ٦، ص ٢٠٢.

فضربه، ولا يريد عدواً على الرجلين، ولكن من الظلم»^(١). وفي الآية الشريفة يريدان معاً: العدو والاعتداء؛ لأنه لا يمكن أن نختار معنى للفظ دون معنى آخر بلا مرجح أو قرينة تدل عليه، وهذا المعنى ينسجم مع تفسيرنا، فإن الخيل سوف تتصف بكلا الصفتين من دون أي إشكال يرد على ذلك.

وأما الاعتراض على صحة القسم بخيل المعتدين، فإنه يجاب عنه بأن الخيل لا خصوصية لكونها خيلاً للمجاهدين أو للكافرين؛ وذلك لأنها لا تثاب ولا تُعاقب، مع أننا أسلفنا بأن القسم ليس بها، بل إن الله تبارك وتعالى أقسم بالمشهد الذي تستعرضه الآيات الخمس في صدر السورة، وليست هي أقسام خمسة كما توهمه بعض؛ لمكان الفاء في الآيات الأربعة المتتالية. ولو كان التعبير بالواو بدل الفاء لصح كلامهم.

عاشراً: وهذا الوجه وإن لم يُشكّل دليلاً قطعياً على المدعى إلا أنه يمكن أن يكون شاهداً قوياً يعضد الأدلة المتقدمة، فقد روى السيوطي في تفسيره قائلاً: «وأخرج ابن عساكر من طريق البخاري بن عبيد عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، ما العاديات صباحاً؟ فأعرض عنه، ثم رجع إليه من الغد فقال: ما الموريات قدحاً؟ فأعرض عنه، ثم رجع إليه الثالثة فقال: ما المغيرات صباحاً؟ فرفع العمامة والقلنسوة عن رأسه بمخصرته فوجده مقرعاً رأسه، فقال: لو وجدتك حالقاً رأسك لوضعت الذي فيه عيناك. ففزع الملاء من قوله، فقالوا: يا نبي الله، ولم؟ قال: إنه سيكون أناس من أمتي يضرّبون القرآن بعرضه ببعض ليطلوه، ويتبعون ما تشابهه، ويزعمون أن لهم في أمر ربهم سبيلاً، ولكل دين مجوس، وهم مجوس أمتي وكلاب النار»^(٢).

واحتمال الوضع أو التلاعب في هذا الحديث قوي جداً، فإن السائل كان غرضه

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٢، ص ٢١٢-٢١٣.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: ج ٦، ص ٣٨٥. أنظر: المتقي الهندي،

علي بن حسام الدين، كنز العمال: ج ١، ص ٣٦٣.

الاستفهام عن معنى الآيات الثلاثة الأولى من سورة العاديات، ومن الواضح أنّ هذه الآيات لم تكن تُشكّل أرضية لوجود التضادّ الظاهري في القرآن، حتّى يُحتّم أنّ السائل كان يهدف من وراء سؤاله إلى ضرب القرآن ببعضه ببعض؛ ومن هنا يقوى لدينا أنّ المعاني الحقيقية للسورة المباركة قد وصلت إلى بعض الساعين إلى طمس الحقائق المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام، ولكنهم أخفوها لما فيها من فضيحة لهم. والجدير بالذكر أنّ جميع المفسّرين والمحدّثين قد أعرضوا عن ذكر هذا الحديث عدا من ذكرنا.

نتائج البحث

توصّلنا من خلال البحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: إنّ مفردة العاديات ومفردات السورة الأخرى المتعلقة بها - بحسب الاستقراء لأغلب كتب المفسّرين - تارة تُفسّر بخيل الجهاد، وأخرى بإبل الحجيج، وثالثة بالنفس الإنسانية وما يرتبط بتزكيتها.

ثانياً: بطلان كلّ التفسيرات المطروحة لهذه السورة، وخاصة فشلها الذريع في تقديم الربط الواضح والصحيح بين القسم وجواب القسم.

ثالثاً: إنّ التفسير الصحيح للسورة ينبغي أن يكون منسجماً مع المعاني اللغوية الصحيحة لمفرداتها، ومدعوماً بالأدلة والشواهد اللغوية والأدبية، وموجداً للربط المنطقي الواضح بين صدر السورة وذيلها، أي: بين المقسم به والمقسم له، وهذا ما توافرت عليه بالفعل أطروحتنا التفسيرية لهذه السورة المباركة.

رابعاً: توصّل البحث إلى أنّ المشهد الذي تحدّث عنه السورة لا يوجد له إلاّ مصداق خارجي واحد يستحقّ أن يفرد له الله تبارك وتعالى سورة كاملة ويكرّر القسم به، إلاّ مشهد مصرع الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ المأساوية.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي.
- ٢ - الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ٣ - أسباب نزول الآيات، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، نشر: مؤسسة الحلبي وأولاده، القاهرة - مصر، ١٣٨٨هـ.
- ٤ - الأصفى في تفسير القرآن، محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، نشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.
- ٦ - إقبال الأعمال، علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٧ - الأقسام في القرآن الكريم، جعفر السبحاني.
- ٨ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام الصادق، قم - إيران، طبعة جديدة منقحة مع إضافات.
- ٩ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٢هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٠ - بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- ١١ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ١٢ - بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار (ت ٢٩٠هـ)، نشر: دار الأعلمي، طهران - إيران، ١٤٠٤ هـ.
- ١٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ.
- ١٤ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ هـ.
- ١٥ - التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ١٦ - التسهيل لعلوم التنزيل، القاسم بن أحمد الغرناطي الكلبي (ت ٧٤٦هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ هـ.
- ١٧ - تفسير ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ١٨ - تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ١٩ - تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد التميمي (ت ٣٢٧هـ)، نشر: المكتبة العصرية، صيدا - لبنان.
- ٢٠ - تفسير القرآن، عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٢١ - تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)، مؤسسة دار الكتاب، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٢ - تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢هـ)، نشر: مؤسسة

الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد، طهران - إيران، الطبعة الأولى،
١٤١٠هـ.

٢٣ - تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٤هـ)، نشر: مجمع البحوث
الإسلامية، إسلام آباد - باكستان.

٢٤ - تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، نشر: مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٥ - تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٦ - تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان الأزدي (ت ١٥٠هـ)، دار إحياء التراث
العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٧ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

٢٨ - جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، نشر: مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم - إيران، الطبعة الأولى،
١٤١٨هـ.

٢٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي (ت ٩١١هـ)، نشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٣٠ - دعائم الإسلام، النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد المغربي (ت ٣٦٣هـ)،
تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، نشر: دار المعارف، القاهرة - مصر،
١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٣١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محمود بن عبدالله الألوسي
(ت ١٢٧٠هـ)، قرص مكتبة أهل البيت (عليه السلام).

٣٢- روضة الواعظين، محمد بن القتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق وتقديم:
السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان، نشر: منشورات الشريف الرضي،
قم - إيران.

٣٣- الصافي في تفسير القرآن، محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الفيض الكاشاني
(ت ١٠٩١هـ)، مؤسسة الهادي، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٣٤- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، نشر: دار العلم
للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٣٥- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين بن أحمد الأميني
(ت ١٣٩٠هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة،
١٣٩٧هـ.

٣٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي
ابن محمد الشوكاني (ت ١٢٥هـ)، نشر: عالم الكتب.

٣٧- القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، تعريب: السيد أحمد الحسيني،
قرص مكتبة أهل البيت عليه السلام.

٣٨- الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن
محمد المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، نشر: دار صادر، بيروت - لبنان،
١٣٨٦هـ.

٣٩- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، نشر: دار الهجرة، قم
- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٤٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله
محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، نشر: شركة ومطبعة مصطفى
الحلبي وأولاده، القاهرة - مصر، ١٣٨٥هـ.

٤١ - الكشف والبيان في تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

٤٢ - كنز العمال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩هـ.

٤٣ - لسان العرب، محمد بن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥هـ.

٤٤ - مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، نشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٤٥ - مدارك التنزيل، عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٥٣٧هـ)، قرص مكتبة أهل البيت (عليه السلام).

٤٦ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم - إيران، ١٤٠٤هـ.

٤٧ - مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثانية، قرص مكتبة أهل البيت (عليه السلام).

٤٨ - مفردات غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، نشر: دفتر نشر الكتاب، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٤٩ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ)، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

٥٠ - النهاية في غريب الحديث، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، مؤسسة إسماعيليان، قم - إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ش.

٥١ - الوافي بالوفيات، خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ.

توظيف آية التطهير بلسان الإمام الحسين عليه السلام

دراسة تفسيرية تحليلية

الشيخ وسيم راقم الوائلي *

مقدمة

اختار الله تعالى اللغة العربية من بين لغات كثيرة، لتكون جسداً لأشرف المعاني في كتاب سماوي سمّاه (القرآن) و(الكتاب) و(أحسن الحديث) و(أحسن القول)؛ ليدلّ على حيويته وديمومته، ويسرّ تبليغه على لسان خير الخلق عليه السلام؛ ليبشر المتقين، وينذر العاصين، واختار النبي عليه السلام آية التطهير من بين آلاف الآيات؛ فميّزها من حيث التبليغ، فكانت لها الحصة الكبرى من بين آيات القرآن الكريم، فقد استمر في قراءتها لأشهر^(١) قبل كلّ فريضةٍ وبعدها وبسياقٍ مميّز. ومن هنا تبرز اللبنة الأولى لأهمية الموضوع، وما يتعلّق به من متطلبات البحث؛ فمما تجدر الإشارة إليه في هذه المقدمة هو بيان: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهدافه وغايته.

أمّا أهمية الموضوع؛ فلكونه يتعلّق بأبرز نصّ في القرآن الكريم، ولكونه جاء على لسان الإمام الحسين عليه السلام في مقام التوظيف، ولأهمية النتائج المترتبة على دلالة هذه الآية الكريمة، وأمّا سبب اختياره؛ فلرغبة البحث في إبراز أهمية النصوص الموظّفة على لسان أهل البيت عليهم السلام بعامة، والإمام الحسين عليه السلام بخاصّة، وأمّا أهدافه وغايته؛ فهي إثبات جملة من الحقائق التي تطرّقت لها آية التطهير بأسلوب علمي ومنهجي.

* ماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية، من العراق.

(١) أنظر: ابن حنبل، أحمد، المسند: ج ٢٨، ص ٧٧. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج ٢، ص ١٥٠. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ج ١، ص ٤١٨.

التفسير لغة

التفسير: مأخوذ من مادة (ف س ر) المستعملة على صيغ عديدة ك: (فَسَّرَ يَفْسُرُ فَسْرًا)، و(فَسَّرَ يُفَسِّرُ تَفْسِيرًا)، و(اسْتَفْسَرَ يَسْتَفْسِرُ اسْتِفْسَارًا)، و(تَفَسَّرَ تَفْسِيرَةً تَفْسَرًا).

والتفسيرُ: «اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يستدلّ به على مرض البدن، وكلّ شيء يُعرف به تفسير الشيء فهو التفسيرُ»^(١) و«الفَسْرُ: كشفٌ ما عُطِّيَ»^(٢)، والتفسير: «بيان وتفصيل للكتاب»^(٣)، و«الفَسْرُ البيانُ... [و] كشفُ المَغْطَى»^(٤) و«الفَسْرُ: الإبانة وكشفُ المَغْطَى»^(٥): وهو: «بيانُ شيء وإيضاحه»^(٦).

والفَسْرُ في جميع هذه الاستعمالات يدور حول معانٍ ثلاثة، هي: (الإبانة، والكشف، والإيضاح).

التفسير اصطلاحاً

عُرّف التفسير اصطلاحاً بتعريفات عدّة في كلمات المفسرين، بيد أنّها تختلف إجمالاً وتفصيلاً:

منها: «... أنّ التفسير: هو كشف المراد عن المشكل»^(٧).

ومنها: «التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلّى الله عليه

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٢، ص ٦٢.

(٢) الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ١٢، ص ٢٨١.

(٣) المصدر السابق: ج ١٢، ص ٢٨١.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٣، ص ٦٣٢.

(٥) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ٧، ص ٣٤٩.

(٦) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٥٠٤.

(٧) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ١، ص ٣٧.

[وآله] وسلّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِهِ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات»^(١).

ومنها: «علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»^(٢).

ومنها: «هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومدلولها»^(٣).

التحليل لغةً

التحليل: متّخذ من (الحاء، واللام)، وهذه المادّة تأتي على صيغ عديدة كـ (حلّ) يَحُلُّ حلاً، و(حلَّل) يحلِّل تحليلاً، وغير ذلك.

والحلّ: فتح الشيء، وهو نقيض العقد، والتحليل والتحلة في الأصل: فكّ اليمين وحلّها، ثم جرى استعمالهما في غير ذلك، وتحليل الشيء: جعله هيئاً وسهلاً.

ومما قال أهل اللغة: «الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلّها عندي فَتَحَ الشيء، لا يشدُّ عنه شيء، يقال: حلَّلتُ العُقْدَةَ أحلُّها حلاً»^(٤). «والتحليل والتحلّة من اليمين، حلَّلت اليمين تحليلاً ومحلَّةً، وضربته ضرباً تحليلاً يعني شبه التعزير غير مُبالغ فيه، اشتقَّ من تحليل اليمين ثم أُجرِيَ في سائر الكلام حتى يقال في وصف الإبل إذا برَكَت: (نَجَائِبٌ وَقُعْهَا فِي الْأَرْضِ تحليل)، أي: هيئٌ»^(٥).

التفسير التحليلي اصطلاحاً

التفسير التحليلي بعامة: «هو تحليل النّص من الحرف إلى المنظومة السياقية عبر آلياتها الشمولية على وفق المناهج المختلفة»^(٦).

(١) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ١٤٨.

(٢) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن: ج ٢، ص ٤.

(٣) الصدر، إسماعيل، محاضرات في تفسير القرآن الكريم: ص ٤٠.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ١٥.

(٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ١، ص ٢١٩.

(٦) علي كاظم سميّسم، محاضرات في التفسير التحليلي ألقيت في جامعة الكوفة/ كلية الفقه.

التفسير التحليلي بخاصة: «هو تبين معاني الكلم القرآني أفراداً وتركيباً، بواسطة تفكيك الآيات والجمل إلى أجزائها؛ ليعطى كل جزء ما يستحقه من البيان»^(١).
وعرّف التفسير التحليلي بأنه: «تحليل الآية الكريمة إلى أبسط الوحدات اللغوية التي تتألف منها»^(٢).

المناسبة التاريخية لتوظيف آية التطهير بلسان الإمام الحسين عليه السلام

روى الفريقان أنّ الإمام الحسين عليه السلام وظّف آية التطهير في جداله مع مروان بن الحكم؛ إذ طلب الأخير من الإمام الحسين عليه السلام البيعة ليزيد بن معاوية، فردّ عليه الإمام الحسين عليه السلام ردّاً شديداً، «فغضب مروان من كلام الحسين فقال: والله، لا تفارقني حتى تباع ليزيد صاغراً، فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم شحناء، وأشربتم بغض آل أبي سفيان، وحقق عليهم أن يغيضوكم. فقال الحسين: إليك عني فإنك رجس، وإني من أهل بيت الطهارة قد أنزل الله فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٣). فنكس رأسه ولم ينطق. ثم قال له الحسين: أبشر يا بن الزرقاء! بكل ما تكره من رسول الله، يوم تقدّم على ربك، فيسألك جدّي عن حقّي وحقّ يزيد، فمضى مروان إلى الوليد، وأخبره بمقالة الحسين»^(٤).

ويتضح من هذا النصّ التاريخي أنّ الإمام الحسين عليه السلام وظّف آية التطهير في الجدل مع مروان بن الحكم؛ لذا ستكون هذه الوظيفة واضحة المعالم في سياق تحليل الآية الكريمة.

- (١) الكبيسي، شاكر نعمة، التفسير التحليلي للشطر الأوّل من سورة آل عمران: ص ١٢.
- (٢) المتولي، صبري، التفسير التحليلي للقرآن الكريم: ص ١٥-١٦.
- (٣) الأحزاب: آية ٣٣.
- (٤) الخوارزمي، أحمد بن محمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٩.

المبحث الأول: التفسير التحليلي للصوت في آية التطهير

تتكوّن آية التطهير من خمسين صوتاً؛ إلا أنّ البحث اختار واحداً من هذه الأصوات؛ لضيق مقام البحث عن تناول جميع الحروف.

وقد اختار البحث تحليل دلالة حرف (اللام) لأسباب عديدة؛ منها: «شروع اللام ١٢٧ مرة في كُلِّ ألفٍ من الأصوات الساكنة»^(١) في القرآن الكريم، في حين تأتي باقي الحروف بعده في الإحصاء، ومنها: اعتباره صوتاً إنسانياً عند المحدثين^(٢)، وأنّه «دال على الانطباع»^(٣)، ومنها: أنّه أحد أوضح الأصوات الصامتة في السمع^(٤)، ومنها: دوره في بيان التحوّل الدلالي^(٥) لدلالة الحرف الصوتية عبر «دراسة دلالاتها وأبعادها في إطار السياقات التي ترد فيها، وفي علاقاتها كذلك بالكلمات»^(٦)، فالمعاني «لا تكون من الأصوات وحدها، بل من وضعها في ترتيب معين»^(٧)، مع التركيز على الدلالة الأبرز في آية التطهير، سواءً أكانت لاماً (أصلية أم زائدة)^(٨)، (مرقّقة أم مفخّمة)^(٩)، وحرف اللام يعمل على إبراز معالم توظيف النصّ الكريم في (الجدال)؛ لما فيه من صفة الانحراف التي يتحقق فيها معنى الجدل من «دفع الخصم بحجّةٍ أو شبهة»^(١٠).

(١) الفرج، علي عبد الله، كائن اللغة: ص ١٦٧.

(٢) أنظر: حيدر، فاطمة، الصوت ووجوه الإعجاز القرآني: ص ١.

(٣) عبد الله، محمد فريد، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم: ص ١٢٩.

(٤) أنظر: ناجي، روعة محمد، علم الأصوات وأصوات اللغة العربية: ص ٥٣.

(٥) أنظر: رسن، أحمد، تفسير القرآن بالقرآن (دراسة دلالية): ص ٧٦.

(٦) بو نجمة، محمد، الرمزية الصوتية في شعر أدونيس (الدلالة الصوتية والصرفية): ص ٢٣.

(٧) عكاشة، محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: ص ٣٢.

(٨) الأسمر، راجي، المعجم المفصّل في علم الصرف: ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٩) الحلو، رحاب كمال، قاموس الأصوات اللغوية: ص ٤٥٦.

(١٠) صقر، خميس جابر، الإعجاز الجدلي في القرآن: ص ٣٥.

وُصِفَ حرفُ اللامِ بأنَّه صوت (لثويٌّ جانبيٌّ مجهورٌ منفتحٌ ذلقيٌّ)^(١)، وقد أسماه المحدثون باللثوي لاعتداده على اللثة في خروجه^(٢)، وقد عبّر القدماء عن الصوت الجانبي بالمنحرف^(٣)، وأبرز صفاته (الذلقُ والجهرُ والانحراف)^(٤)؛ لذا اختار البحث هذه الصفات الثلاث لبحث تناسبها مع دلالة النصِّ الكريم؛ إذ إنَّ ثمة علاقة «بين الصوت والفعل تارة، وبين الصوت والاسم تارةً أخرى»^(٥) وتحديد ذلك من خلال البحث عن الحدث المناسب للصوت في ذلك النصِّ^(٦)؛ وتشخيص مناسبة بين الصوت ومدلول الألفاظ في النصِّ^(٧)، «حَدَوْا لِمَسْمُوعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى مَحْسُوسِ الْأَحْدَاثِ»^(٨)؛ وكلُّ ذلك يهدف إلى إبراز وجهٍ من وجوه الإعجاز القرآني المتجدِّدة^(٩)، لأنَّ القرآن الكريم «معجزٌ بتناسُبٍ عظيمٍ بينَ أصواتِ الألفاظ والمعاني التي تؤدِّيها»^(١٠).

وقد ورد حرف اللام في هذا النصِّ الكريم سبع مرَّات (الله، ليذهب، الرجس، أهل، البيت)، ولصوت اللام بصفاته الثلاثة المتقدِّمة، علاقة بالنصِّ ودلالته بعامَّة،

(١) أنظر: الفاخري، صالح، الدلالة الصوتية في اللغة العربية: ص ١٤٣. الفاخري، صالح، دراسات في علم الأصوات عن العرب: ص ١٢٨. «لأنَّ الذلاقة في المنطق إنَّها هي بطرف أسلة اللسان والشفنتين».

(٢) أنظر: العبيدي، رشيد عبد الرحمن، معجم الصوتيات: ص ١٦٨. الموسوي، مناف مهدي، علم الأصوات اللغوية: ص ٤٢.

(٣) أنظر: أكثر من ألف عالم ومؤلف ومترجم ومحرر، الموسوعة العربية العالمية: ج ١، ص ٢٠٠.

(٤) أنظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية: ص ١٣٥. العبيدي، رشيد عبد الرحمن، معجم الصوتيات: ص ١٩٦.

(٥) الصغير، محمد حسين، الصوت اللغوي في القرآن: ص ٧١.

(٦) أنظر: ابن جني، عثمان، الخصائص: ج ٢، ص ١٦٢.

(٧) أنظر: أبركرومبي، ديفيد، مبادئ علم الأصوات العام: ص ٢٥٩.

(٨) ابن جني، عثمان، الخصائص: ج ٢، ص ١٥٨.

(٩) أنظر: حيدر، فاطمة، الصوت ووجوه الإعجاز القرآني: ص ١.

(١٠) بورويسة، زينة، الدلالة الصوتية في سورة مريم (دلالة الأصوات التركيبية): ص ٤٠.

وبالكلمات التي اقترن بها بخاصّة، سواءً أكانت اللام من أصل الكلمة أم لا؛ لأنّ الصوت القرآني لا يحدُّ بحدود الكلام العربي؛ لصدوره من الكامل المطلق؛ لـ«أن الله تعالى اللامتناهي يمكن أن يقصد معاني لا متناهية»^(١).

فمناسبة الدلالة^(٢) في اللام للكلمات الخمسة متمثلة باقتناء القرآن الكريم للكلمات المتناغمة صوتياً من حيث نُطقها، بحيث يكون نطقها سلساً وسهلاً على اللسان^(٣)، وأمّا صفة الجهر في الكلمات فقد جاءت على نحوين: مجهور مفتخّم في (الله، أهل، البيت)، ومجهور مرّقّق في (ليذهب)، وجاءت اللام مخفّفة في (الرجس)؛ وذلك لمجيء حرف الراء بعدها^(٤).

وقد جاءت اللام في كلمة (الله) مجهورة مفخمة «لأجل تضخيم لفظ الجلالة؛ إذ لو جاء مكسوراً كان لفظ الجلالة مخفّفاً، والتضخيم هنا ذو مصلحة؛ لأجل إبراز أهمية المعنى الذي تتحدّث الآية الكريمة عنه»^(٥)، وقد جاءت اللام مجهورة مفخمة في كلمة (أهل) بدرجة أقلّ من لفظ الجلالة؛ لأنّها مفتوحة وغير مشدّدة، وهو يتناسب مع منزلة أهل البيت عليهم السلام، وتضخيمها جاء لنفس الغرض، وأمّا لام (البيت) فقد جاءت مجهورة مفخمة، ولكن بدرجة دون (أهل)؛ وذلك لمجيئها ساكنة^(٦)، وتضخيمها لنفس الغرض، وبهذا تتحقّق «دقة اختيار اللفظ»^(٧)، وهو أوّل ملامح الإعجاز البياني، فالخالق العظيم، ثمّ أهل البيت، ثمّ البيت، وجاءت اللام مخفّفة في

(١) الصدر، محمد، مئة المئان في الدفاع عن القرآن: ج ١، ص ٦٤. أنظر: الصدر، محمد باقر، السنن التاريخية في القرآن: ص ٣٧.

(٢) أنظر: قدّور، أحمد محمد، دراسات في علم الأصوات عند العرب: ص ١٢٨.

(٣) أنظر: منقور، عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص ١٤٤.

(٤) أنظر: عبد الله، محمد فريد، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم: ص ١٣١.

(٥) الصدر، محمد، ما وراء الفقه: ج ٢، ص ١١٦.

(٦) أنظر: عبد الله، محمد فريد، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم: ص ١٣٠.

(٧) أبو سعدي، سالم بن سعيد، الموجز في القرآن وعلومه: ص ٦٩.

كلمة الرجس، وهو ما يتناسب مع إذهاب الرجس عنهم؛ إذ إنه لم يُصِبهُم البتّة، بينما جاءت اللام في (ليذهب) مرققة^(١) لبيان سهولة فعل الإذهاب (ليُذهَب) عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

أمّا صفة الانحراف في لفظ الجلالة (الله) فتناسب انحراف الفكر فيما لو تفكّر شخص في ذات الله تعالى، إذ عليه أن يتفكّر في آلائه لا في ذاته، وفي (أهل) تدلّ على انحراف من ابتعد عن نهج أهل البيت عليهم السلام؛ إذ جاءت اللام متطرّفة في الكلمة، وفي (البيت) جاءت ابتدائية؛ لتبين أن للبيت حدوداً، وكلّ من لم يدخله فليس منهم، ولا تصحّ نسبتهم للبيت، بل ينبغي حرفهم عنه.

وأمّا صفة الانحراف في (ليُذهب) فقد جاءت لتبين عملية حرف مسار الرجس عنهم لا منهم؛ لأنهم طاهرون، ولكنّ الرجس موجود في هذا الكون، وقد يتعرّض له الشخص من دون إرادته؛ كما أخبر الله تعالى عن النبيّ يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٣)، فهو لم يفعل السوء والفحشاء، ولكنها كانت محيطّة به، ولولا تخلصه من قبل الله تعالى لأوقعوه بها إجباراً لا إرادةً منه لها؛ كما جاء خبره في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فاستجاب له ربه، فصرف عنه كيدهنّ، **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**^(٤)، فصرف عنه كيدهنّ الذي لو بقي لأجبره على أن يصبو إليهنّ، وليس بإرادته عليه السلام.

أمّا الصفة الذلقية للام بعامة فتتناسب مع تيسير القرآن الكريم على لسان

(١) «اللام المُرَقَّقة (ل) هي صوت مجهور متوسط». الحلو، رحاب كمال، قاموس الأصوات اللغوية:

ص ٤٥٧.

(٢) يس: آية ٨٢.

(٣) يوسف: آية ٢٤.

(٤) يوسف: آية ٣٣-٣٤.

النبى ﷺ؛ «لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفقتين»^(١)، وهو مخرج حرف اللام، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾^(٢)، فقد كان النبي ﷺ أفصح العرب لساناً، كما أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان أفصح الناس في زمانه^(٣)، وذلك يتناسب مع صفة الذلاقة في اللام.

وأما الصفة الجهرية فتتناسب مع إعلان القرآن وجهه بما يريد الله تعالى، ولولا هذا الإعلان لكانت تلك الإرادة غير معلومة للمخاطبين بالنصّ الكريم، ثم إنّ الصفة العامّة للنصّ الكريم هي صفة الجهر، حيث وردت حروف الهمس في آية التطهير ثمانية مرّات، متمثلةً بحرفي (الماء، والكاف)^(٤)، وقد جاءت باقي الحروف مجهورة. كما أنّ صفة الجهر تتناسب مع ما رواه الفريقان^(٥) من جهر النبي ﷺ بتبليغ آية التطهير بشكل مميّز عن كلّ القرآن الكريم، وعلى مدى أشهر، ولأكثر من مرّة في اليوم الواحد وبمرأى الصحابة، فيكون الجهر قد تحقّق فيه عاملان أساسيان، وهما: عامل (الإسراع)، وعامل (الإبصار)؛ وذلك أنّ الـ «جهر» يقال لظهور الشيء بإفراط لحاسة البصر أو حاسة السمع^(٦)، وفعلاً فقد أعلن النبي ﷺ للناس بعامّة والصحابة بخاصّة شأن أهل البيت عليهم السلام.

وأما صفة الانحراف في اللام فتتناسب مع حدث إذهاب الرجس وصرفه (عنهم) لا (منهم) من خلال حرف مساره عن أهل البيت عليهم السلام، كما قال تعالى:

(١) قدّور، أحمد محمد، دراسات في علم الأصوات عند العرب: ص ١٢٨.

(٢) مريم: آية ٩٧.

(٣) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٨٨.

(٤) أنظر: الخولي، محمد علي، معجم علم الأصوات: ص ١٨٤.

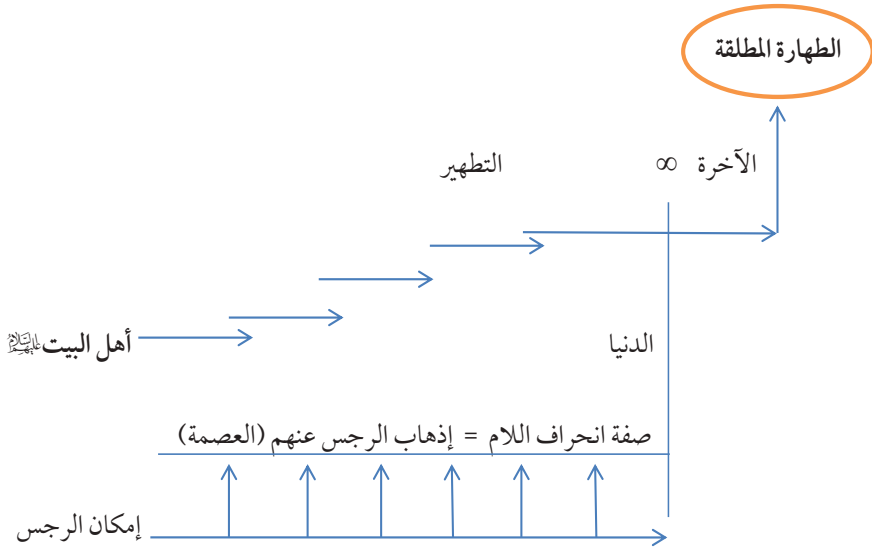
(٥) ابن حنبل، أحمد، المسند: ج ٢٨، ص ٧٧. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج ٢، ص ١٥٠.

(٦) الإصفيهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٢٢.

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١)، وهذا

المعنى له علاقة بأهل البيت عليهم السلام الذين يمثّلون الطهارة وطريقها، ويحيد عنهم طريق آخر يمثّل الرجس والانحراف، وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بوصفه مروان بالرجس^(٢)، فنكّس مروان رأسه، مما أكّد هذا المعنى؛ لأنّه لم يرد بأي كلمة مع كونه من رجال السلطة.

ويمكن إيضاح ما تقدّم من دلالة صوتية لحرف اللام في آية التطهير بناء على قاعدة «كلّ صوتٍ قادرٌ على إيجاد تغييرٍ دلالي»^(٣)، ومن خلال طريقة «التمثيل الهندسي للملامح الصوتية»^(٤)، كما في المخطط الآتي:



(١) يوسف: آية ٢٤.
 (٢) أنظر: الخوارزمي، أحمد بن محمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٩.
 (٣) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي: ص ١٧٩.
 (٤) بو عناني، مصطفى، الفونولوجيا التوليدية المتعددة الأبعاد (المائلة والتناغم في اللغة العربية): ص ٣٧.

المبحث الثاني: تحليل دلالة كلمة (تطهيراً)

احتوت آية التطهير على أكثر من كلمة يضيق المقام عن تناولها، إلا أن البحث اختار أبرزها وهي كلمة (تطهيراً)؛ وذلك لما لها من أثر بليغ في استدلال العلماء^(١) على عصمة جماعة من الخلق ممن أساهم القرآن الكريم بـ (أهل البيت).

أولاً: التحليل المعجمي لكلمة (تطهيراً)

ذكر علماء اللغة^(٢) معاني عديدة لمادّة (طَهَّرَ)، وملخصها سبعة معانٍ معجمية، هي: (الطُّهْرُ: نَقِيضُ الْحَيْضِ)، و(تَطَهَّرْتُ أَي: اغتسلت)، و(الاستِنْجَاءُ بِالْمَاءِ)، و(التَّطَهَّرُ: التَّنْزَهُ وَالْكَفُّ عَنِ الْإِثْمِ)، و(فَلَانٌ طَاهِرٌ الثِّيَابِ، أَي: لَيْسَ بِصَاحِبِ دَنَسٍ فِي الْأَخْلَاقِ)، و(التَّوْبَةُ: طَهُورٌ لِلْمُذْنِبِ تُطَهِّرُهُ تَطْهِيراً)، و(المُطَهَّرُونَ أَي: الملائكة).

ثانياً: التحليل الصرفي لكلمة (تطهيراً)

اشتقَّ المصدر (تطهيراً) من (طَهَرَ يُطَهِّرُ) المضعَّف العين على وزن (فَعَّلَ) (تفعيلاً)^(٣)، وأصله من (طَهَرَ يُطَهِّرُ) على وزن (فَعَّلَ يَفْعُلُ) وهو الباب الخامس من أبواب الفعل الماضي الثلاثي المجرد^(٤)، والدلالة الصرفية في المصدر (تطهيراً) تنشأ تارة من صيغته الأصلية، وأخرى من صيغته التي جاءت (مصدرًا رباعياً)^(٥)

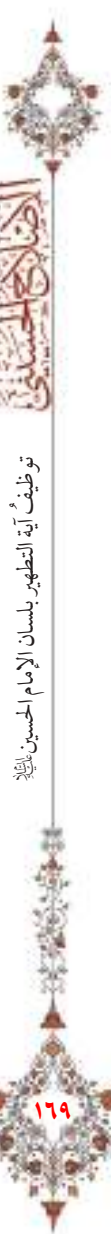
(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات: ص ٥٦. الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٣٦.

(٢) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ١، ص ٢٦٣. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٦، ص ٩٩. الطالقاني، إسماعيل بن عبّاد، المحيط في اللغة: ج ١، ص ٢٩٦. ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص: ج ١، ص ٦٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٥٠٤. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١، ص ٣١١٤. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ١، ص ٤٣١.

(٣) أنظر: الضامن، حاتم، الصرف: ص ١٣٠.

(٤) أنظر: الراجحي، عبده، التطبيق الصرفي: ص ٣٣.

(٥) أنظر: الضامن، حاتم، الصرف: ص ١٣٢.



على وزن (تَفْعِيلًا)^(١)، وأما بناؤه فقد زيدت فيه ثلاثة حروف، وهي (التاء، والياء، والألف)، ولهذا الصيغ والزيادات دلالة صرفية مهمة في النصّ الكريم. أما زيادة التاء فقد أفادت (القوّة، والشدّة، والتكثير)^(٢)، وحيث إنّ الزيادة تفيد معنىً خاصّاً إلى جنب المعنى العام^(٣) فالقوّة والشدّة والتكثير تتعلّق بالطهارة؛ فالطهارة في آية التطهير أفادت طهارةً شديدةً ومركزةً وكثيرة، ف«إنّ التطهير المشار إليه في الآية الكريمة شديد ومركّز ومهم، وهذا يعرف من الدال عليه»^(٤)، أمّا الياء فقد أفادت (المبالغة والتأكيد)^(٥)، فثمة فرق بين قول القائل (ويطهركم تطهراً) وبين ما جاء في القرآن الكريم، أمّا الألف فقد أفاد «دلالة الكثرة والمبالغة»^(٦).

أما صيغة (فَعَلَّ يَفْعَلُ) فتدلُّ على طبيعة أو غريزة^(٧) لذا جاء هذا الوزن لازماً^(٨)، فالطهارة صفة وسجية موجودة في أصل طبيعة أهل البيت عليهم السلام، ومَن تلوّث بالدنس ولو مرّة في حياته لا يمكن أن يكون منهم، فضلاً عن كثر من ذلك^(٩).

أما صيغة (فَعَلَّ) فتدلُّ على «التكثير والمبالغة»^(١٠)، و«التكثير إمّا أن يكون في الفعل، أو في الفاعل، أو في المفعول»^(١١) والتكثير في آية التطهير في الفعل؛ وذلك أنّ

- (١) أنظر: النجار، أشواق، المعجم المفهرس للأوزان الصرفية في القرآن الكريم: ج ١، ص ٦١٨.
- (٢) أنظر: أندريه، رومان، رؤية فرنسية في النحو العربي: ص ٥١. العيداني، جلال الدين، دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار: ص ٢٥٢.
- (٣) أنظر: الضامن، حاتم، الصرف: ص ٧٤.
- (٤) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٧٣.
- (٥) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب: ج ١، ص ٥٠٢.
- (٦) أنظر: العيداني، جلال الدين، دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار: ص ١٥١.
- (٧) أنظر: الأسمر، راجي، المعجم المفصل في علم الصرف: ص ٣٨٩.
- (٨) أنظر: الجرجاني، عبد القاهر، المفتاح في الصرف: ص ٤٨.
- (٩) أنظر: أنظر: دينيه، أتيين، محمد رسول الله: ص ١٤٨.
- (١٠) أنظر: الزجراوي، نسرین عبد الله، معاني الأبنية الصرفية في ضوء مجمع البيان: ص ٩٣.
- (١١) المصدر السابق: ص ٩٤.

أهل البيت عليهم السلام سجيتهم الطهارة. وهي تتزايد على نحو «تكامل ما بعد العصمة»^(١).
 الوصف بالمصدر يفيد أموراً عديدة، منها: أنه يدلّ على حدث غير مقيد بزمن^(٢)؛
 بخلاف الأفعال التي تكون مقيدة بزمن إلا أن تأتي قرينة صارفة؛ لذا فإنّ (تطهيراً)
 في آية التطهير تحمل دلالة أعمق من (طَهَّرَكِ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ
 يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)؛ فطهارة السيّدة
 مريم واصطفائها على نساء العالمين في الآية الكريمة مقيدان بزمن قد مضى؛ وذلك
 لدلالة الأفعال الماضية - في الآية الكريمة - على حدث مقيد بزمن قد مضى^(٤)، بيد
 أنّ (تطهيراً) جاءت لتؤكد تجدّر حقيقة الطهارة واستمرارها في أهل البيت عليهم السلام، مما
 يؤهلهم أن يكونوا أطهر الخلق أجمعين من الأولين والآخرين، وليس الأمر خاصاً
 بعالمهم، والوصف بالمصدر يفيد المبالغة في الوصف، ف«الموصوف يصير كأنه في
 الحقيقة مخلوقاً من ذلك الفعل، لكثرة تعاطيه له واعتباره إيّاه»^(٥)، فالطهارة ملازمة
 لأهل البيت عليهم السلام، ولم ولن تنفك عنهم، بل هي في زيادة ونماء، وهو ما يُصطلح عليه
 بـ «تكامل ما بعد العصمة»^(٦).

وإذ يوظف الإمام الحسين عليه السلام آية التطهير باعتباره أحد مصاديقها، فإنّ ذلك
 يعني علو مقامه وطهارته العالية المتجدّرة فيه، والتي عصمها الله تعالى عن دنس
 الآخرين؛ فالدنس إذا لم يصدر من الشخص فقد يؤذيه دنس الآخرين كالبيعة ليزيد،
 والخضوع له، إلا أن الله تعالى عصمه عن ذلك، وطهره تطهيراً بالشهادة المميّزة زماناً
 ومكاناً وحالاً.

(١) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٨١.

(٢) أنظر: الضامن، حاتم، الصرف: ص ١٢٥.

(٣) آل عمران: آية ٤٢.

(٤) أنظر: الحدِيثِي، خديجة، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ص ٣٧٧.

(٥) الزجراوي، نسرین عبد الله، معاني الأبنية الصرفية في ضوء مجمع البيان: ص ٣٦.

(٦) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٨١.

ثالثاً: التحليل النحوي لكلمة (تطهيراً)

أُعرِبت كلمة (تطهيراً) في النصِّ الكريم مفعولاً مطلقاً^(١)، وهو: «مصدرٌ يُذكر بعد فعل من لفظه أو من غير لفظه؛ تأكيداً لمعناه، أو بياناً لنوعه، أو بياناً لعدده»^(٢). وقد جاء المفعول في النصِّ الكريم مؤكّداً لمعناه، وهو الطهارة، أمّا نوع الطهارة وعددها فلم ينصَّ عليه القرآن الكريم، مما أفاد (الإطلاق)^(٣) في نوع الطهارة، فأهل البيت عليهم السلام طاهرون من كلّ الجهات بناءً على هذه الدلالة النحوية؛ لأنّ النصِّ الكريم لم يحدّد طهارة أهل البيت بكمية محدّدة، فتكون الطهارة مطلقة من العدد، فلا يصح أن يقال: طهّرهم الله مرّتين أو ثلاث؛ لأنّ تطهيرهم مستمر ودائم.

رابعاً: التحليل الإيحائي لكلمة (تطهيراً)

توحي كلمة الطهارة في آية التطهير إلى معنيين رئيسين^(٤):
أحدهما: الطهارة المطلقة.
الثاني: مطلق الطهارة.

أمّا (مطلق الطهارة) فهي «التي تنطبق على الكثير، بما فيها الطهارات المتدنية أو القليلة»^(٥)، وللمفسّرين في ذلك أقوال كثيرة منها: «﴿وَيُطَهِّرُهُمْ﴾ من الأرجاس والأدناس ﴿تَطْهِيراً﴾، وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ، وزجرٌ لفاعلها شديد»^(٦)، ومنها: «... واستعار للذنوب الرجس وللتقوى

(١) أنظر: صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن ج ٢٢، ص ١٦٠.

(٢) لجنة إعداد الكتب الدراسية لطلاب العلوم الإسلامية، الهداية في النحو: ص ٢٩.

(٣) أنظر: الجنابي، سيروان، مناهج تفسير النصِّ القرآني: ص ٧١.

(٤) أنظر: الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٦٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) البخاري (الفنّوجي)، محمد صديق خان، حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة:

الطهر؛ لأنَّ عرض المقترف للمُتقبّحات يتلوّث بها ويتدنّس كما يتلوّث بدنه بالأرجاس، وأمّا المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر، وفي هذه الاستعارة ما يُنفّر أُولي الألباب عمّا كرهه الله لعباده ونهاهم عنه»^(١)، ومنها: «**وَيُطَهِّرُكُمْ**»، أي: يلبسكم خلع الكرامة»^(٢).

وأما (الطهارة المطلقة) فهي «التي لا تنطبق إلّا على أعلى المقامات من الطهارة»^(٣) وهذا المعنى هو المناسب لمقام أهل البيت عليهم السلام.

ومن الجدير ذكره أنّ (الرجس) الذي يُقابل (الطهر) يدلّ على (مطلق الرجس)، وليس الرجس المطلق؛ «أي: يذهب عنكم كلّ رجس، وأيّ رجس، لكي تحصل الطهارة المطلقة. فلو فسّرناها بالرجس المطلق، لكان المعنى أنّ الرجس المطلق ذهب وزال، وأمّا ما هو أدنى منه فهو موجود، ولا دليل على نفيه، فبقريئة أنّنا نفهم التطهير المطلق، فلا بدّ أن نفهم مطلق الرجس»^(٤)؛ ويؤكّده دخول لام الجنس^(٥) على صيغة (رجس)، فأفادت (مطلق الرجس)؛ وجاءت (تطهيراً) بصيغة الأفراد، فدلّ على أكمل أفرادها، وهو (التطهير المطلق)، فلو جاءت صيغة (التطهير) أو (تطهيرات) لم يمكن إثبات (التطهير المطلق).

وقد وظّف الإمام الحسين عليه السلام هذا النصّ الكريم ليرز لنا دلالة الطهارة المطلقة وذهاب (مطلق الرجس) اللذين جاءت أكثر الروايات موافقة لهما؛ كروايات السيادة على كلّ الخلق^(٦).

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف: ج ٥، ص ٣٢٥.

(٢) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ١٢، ص ٣٥٠.

(٣) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٦٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٤.

(٥) أنظر: المصدر السابق.

(٦) أنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٣، ص ٨٢. ابن حنبل، أحمد، المسند:

المبحث الثالث: التفسير التحليلي للمركّب في آية التطهير

اختر البحث المركّب (عنكم) ويبحث دلالاته نحويّاً، لما لذلك من أهمية في تحديد مصاديق (آية التطهير)، وبيان معنى إذهاب الرجس، ومدى علاقة ذلك بالإمام الحسين عليه السلام.

يتكوّن المركّب (عنكم) من حرف الجر المشترك^(١) (عن) وضمير المخاطب المتصل الـ(الكاف) وحرف الـ (ميم) الدال على الجماعة، ويشترك هذا التركيب بمجموعه في إعطاء دلالة نحوية مهمّة في معنى النصّ الكريم.

وقد أعرب المركّب (عنكم) جاراً ومجروراً^(٢)، ولذلك أكثر من دلالة نحوية: أولاً: إنّ جملة الجار والمجرور جاءت متقدمة على مفعول (يُذَهَبُ)، فأصل الكلام - في غير القرآن الكريم - (يُذَهَبُ الرجس عنكم)؛ ومن أغراض هذا التقديم التأكيد^(٣)، ومنه أنّ «تقديم الظرف والجار والمجرور.. في الغالب يفيد الاختصاص»^(٤)، ومن أغراضه أن لا يسبق إلى الذهن^(٥) - بسبب التأخير - وجود الرجس؛ لأنّه لم يوجد فيهم البتة، ويؤكد دلالة الحرف (عن) على التجاوز^(٦)؛ فالقرآن الكريم لم يقل:

ج ٤٧، ص ٣٠٩. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ج ٥، ص ٨١. الشيباني، أحمد بن عمرو، الأحاد والثاني: ج ٨، ص ٣٢٠. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة: ج ٨، ص ١٣٣. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، معرفة الصحابة: ج ٢٢، ص ٢٠٢. النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک بتعليق الذهبي: ج ٣، ص ١٦٤.

(١) أي: إنّّه يدخل على الظاهر والمضمّر. أنظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، شرح قطر الندى وبل الصدى: ص ٣٤٢.

(٢) أنظر: صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن: ج ٢٢، ص ٢.

(٣) أنظر: الصدر، محمد، مئة المثان في الدفاع عن القرآن: ج ٣، ص ٦٨.

(٤) الضايف، لطيفة، النصّ القرآني وآفاق الدلائليات: ص ١٥١.

(٥) أنظر: الكفومي، أيوب بن موسى، كتاب الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ص ٣٩٠.

(٦) أنظر: ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ص ٥٥.

(منكم)، بل قال: (عنكم)، ومنها: الحصر، أي: حصر الطهارة المطلقة، وإذهاب مطلق الرجس بهم ﷺ؛ ف«القاعدة العامة للتقديم تقتضي الحصر، وهذا ما تسالم عليه أهل النحو»^(١)، وللتقديم غرض آخر، وهو مسرّة المخصوصين بالتقديم^(٢).

وقد صار هذا التقديم - الفاصل بين الفعل والمفعول الأول - سبباً في ترجيح نصب جملة (أهل البيت) على الاختصاص^(٣) الذي يفيد المدح والتشريف؛ لأنّ ثمة من أعرها بدلاً أو منادى^(٤)، فلا يتحقّق معنى المدح كما في النصب على الاختصاص. ثانياً: إنّ الجار والمجرور (عنكم) لا بدّ أن يكون متعلقاً بفعل أو نحو ذلك^(٥)، وفي آية التطهير جاء متعلقاً بالفعل (يذهب) الذي تعدّى إلى مفعولين مع إمكان الاقتصار على أحدهما بحسب الصناعة^(٦)، فيمكن القول - في غير القرآن الكريم - يذهب الرجس، ويكون المعنى تاماً، إلّا أنّ المفعول الثاني جاء لبيّن المخصوصين بالتطهير.

المبحث الرابع: التحليل السياقي لآية التطهير

لآية التطهير سياق لفظي وآخر معنوي يشتركان في بيان دلالة هذا النصّ الكريم الذي اتسم بظاهرة (التكثيف الدلالي)؛ لذا تناوله الباحثون تحليلاً ودراسةً بشكل

(١) الصدر، محمد، مئة المثان في الدفاع عن القرآن: ج ٣. ص ٦٨.

(٢) أنظر: الكفومي، أيوب بن موسى، كتاب الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): ص ٣٩٠.

(٣) أنظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز: ج ٣، ص ٤٤٨. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ٩، ص ٦٢. النيسابوري، حسن بن محمد، تفسير النيسابوري: ج ٤، ص ٣١٧.

(٤) أنظر: القيسي، مكّي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن: ص ٣٨٣. ياقوت، محمود سليمان، إعراب القرآن الكريم: ج ٨، ص ٣٧٣٦.

(٥) أنظر: الأزهري، خالد بن عبد الله، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ص ٧٥.

(٦) أنظر: ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو: ج ١، ص ١٧٧.

موسّع^(١)، وكلُّ ذلك يُساهم في بيان سبب توظيف الإمام الحسين عليه السلام له في جداله مع مروان بن الحكم؛ وبيان مدى علاقة النصِّ الكريم بالإمام الحسين عليه السلام.

أمّا (السياق اللفظي) لآية التطهير فقد جاء متناسقاً في دلالة (حرفه، وكلمته، وتركيبه)، بحيث اشترك المجموع في تكوين المنظومة السياقية اللفظية المتناسكة تركيباً ودلالة؛ فقد جاء هذا النصُّ الكريم متكوّناً من ١٤ مفردة، منها ثلاثة أفعال جاءت بصيغة المضارع، وهي (يُرِيدُ، يُذْهَبُ، يُطَهَّرُ)، وخمسة أسماء، وهي (الله، أهل، البيت، تطهيراً، الرجس)، وأربعة حروف، وهي (إنّما، واللام، عن، الواو)، وضمير الجمع (كم) جاء مرّتين.

ولو حاول أيّ شخص في الكون صياغة هذه الكلمات على غير الصيغة التي جاءت في النصِّ الكريم، فلن يُحسن تركيبها كما جاء في الصياغة الإلهية للنصِّ الكريم من حيث «سياقات التقديم والتأخير»^(٢)، كتقدّم (عنكم) على كلمة (الرجس)، ومن حاول تبديل أو رفع أيّ حرف من السياق اللفظي فسيختلّ المعنى، فلو جاء النصُّ من دون أداة الحصر (إنّما) لأمكن القول بإرادة التطهير وإذهاب الرجس عن غير أهل البيت عليهم السلام، ولم يكن الأمر محصوراً بهم، ولو جاء حرف الجر (من) مكان (عن) لكان الرجس موجوداً سلفاً ثمّ أُزيل، أمّا استعمال (عن) فقد دلّ على إبعاد الرجس بحيث لا يصل إليهم البتة، وهذا الأمر سارٍ في كلّ المفردات الأخرى من آية التطهير؛ وذلك يتناسب مع الدلالات الأخرى للكلمات التي جاءت في السياق اللفظي للنصِّ الكريم. ثمّ إنّ صياغة الألفاظ جاءت متظافرة يعضد بعضها بعضاً؛ كمجيء الأفعال الثلاثة بصيغة المضارع، ولهذا الزمن تأثير كبير في السياق^(٣)، ثمّ إنّ فاعلها الله تعالى،

(١) أنظر: الحسيني، راضي، معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسنة (دراسة تحليلية): ج ١، ص ١٥-١٤٤.

(٢) المصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين: ص ١٢٦. الميدي، محمد فاجر، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) أنظر: الوزير، محمد رجب، السياق اللغوي ودراسة الزمن في اللغة العربية: ص ٢٣.

وفي ذلك دلالة على أهمية مضمون هذا النصّ الكريم وخطره؛ بحيث لا يوجد فاعل غير الله تعالى فيه، هذا فضلاً عن تَصَدَّرُ فعل الإرادة على فعل الإذهاب للرجس وفعل التطهير، ثمَّ إنَّ دلالة الفعل المضارع على التجدد والحدوث والاستمرار تفيدهُ استمرار عملية الإذهاب والتطهير لأهل البيت عليهم السلام، ثمَّ إنَّ إذهاب الرجس يدلُّ على العصمة عن الرجس؛ لدخول لام الجنس، إذاً «فلا بدَّ أن نفهم مطلق الرجس»^(١)، أمَّا التطهير بعد ذهاب الرجس فيدلُّ على التطهير المطلق، وهو «على قسمين: تطهيرٌ مادي، وتطهيرٌ معنوي، فالتطهيرُ الماديُّ يُحْصَى البدن، والتطهيرُ المعنويُّ يُحْصَى الروح»^(٢) وفي ذلك تفصيل يطول شرحه^(٣).

وأما السياق المعنوي للنصّ الكريم، فأوَّلُه سياق النزول الخاصّ بالآية، وهو بإجماع الفريقين من محدّثين ومفسرين ينصُّ على نزول الآية في الخمسة أصحاب الكساء، وأحدهم الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنَّ الخلاف وقع في شمول الآية لغيرهم^(٤)، وإذا «يأخذ السياق القرآني جانباً مهماً من جوانب الترجيح الدلالي»^(٥)، فلا بدَّ من تتبُّع السياق المعنوي بدقة لترجيح ما من شأنه الترجيح، ومن ذلك^(٦) مدى شمول النصّ الكريم للتسعة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام، فقد استدلَّ الإمامية على شمولها لهم^(٧)، أمَّا الباقيون فقد دلَّت عليهم الروايات كسلمان المحمدي^(٨)، أو غيره، ولا يسع

(١) الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٧-٨٦.

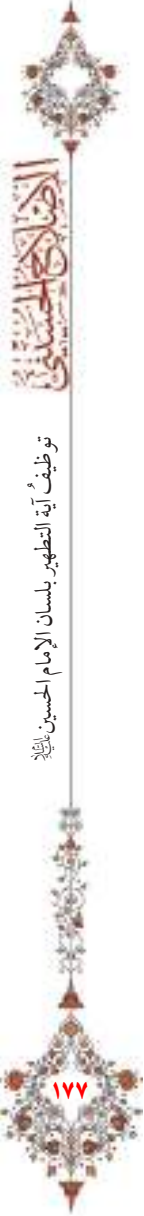
(٤) أنظر: الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج ٥، ص ٢٣٧. العسكري، مرتضى، آية التطهير في مصادر الفريقين: ص ١١-٥٦.

(٥) المثني، عبد الفتاح محمود، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي: ص ٢٧٥.

(٦) أنظر: الناصر لدين الله، عبد الله بن الحسن، الأنموذج الخطير في ما يرد من الإشكال على آية التطهير: ص ٥٤.

(٧) أنظر: الصدر، محمد، ما وراء الفقه: ج ١٠، ص ٣٦٩. الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٦٢.

(٨) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص ١.



البحث نقل النصوص في ذلك، وإنما نكتفي بالإشارة إلى ما يتعلّق بالسياق المعنوي
لآية التطهير.

والقاعدة العامّة نصّت على أنّ خصوص المورد لا يخصّص الوارد؛ ف«السياق
لا يأبى عن حصر آية التطهير في أصحاب أهل الكساء عليهم السلام»^(١)، فإذا جاء دليل من
السنة الشريفة دالّ على شمول الآية لأناسٍ آخرين، ولو بعموم لفظها، صحّ نسبتهم
إلى هذا البيت، وإن لم يوجد فلا تصحّ النسبة إليه، فضلاً عن الأخبار النافية لشمول
الآية للغير^(٢).

وقد فرّق بعض العلماء^(٣) بين أهل الكساء عليهم السلام وغيرهم من أهل البيت عليهم السلام،
بأنّ الخمسة من أهل الكساء عليهم السلام دلّ القرآن الكريم على كونهم من أهل البيت عليهم السلام
بالمطابقة؛ لذا فهم في المرتبة العليا دون غيرهم، ثمّ يأتي بعدهم من دونهم في الدرجة،
وهم المعصومون التسعة عليهم السلام من ذرية الإمام الحسين عليه السلام ممّن دلّت الروايات على
كونهم من أهل البيت عليهم السلام، ومن ثمّة يأتي سلمان المحمدي، ثمّ الأمثل فالأمثل، كلّ
بحسب درجته.

ومن السياق المعنوي مجموع ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله في خصوص آية التطهير،
في نزولها وبعده^(٤)، وهي أمور مهمّة في تحديد دلالة النصّ الكريم، لدفع الإيهام في
معنى أهل البيت عليهم السلام، والتأكيد على الأمة في المعنى المناسب لأهل البيت عليهم السلام، كتبليغ
آية التطهير بأكثر من كيفية.

إذاً، فقد اشتركت أجزاء السياق اللفظي بمجموعها؛ لإعطاء دلالة نصّية
متكاملة، يدعمها سبب النزول، وأجواء النصّ التاريخية، كمصطلح (أهل البيت)،

(١) العاملي، جعفر، أهل البيت في آية التطهير (دراسة وتحليل): ص ١٤٩.

(٢) أنظر: الغريفي، محيي الدين، آية التطهير في الخمسة أهل الكساء: ص ١٢-٢٠.

(٣) أنظر: الصدر، محمد، شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام: ص ٦٢.

(٤) أنظر: الموسوي، حيدر، أهل البيت في آية التطهير: ص ٤٣.

و(أصحاب الكساء)، و(عترتي أهل بيتي)، وغير ذلك^(١)، فضلاً عن سيرة الخمسة من أصحاب الكساء على مرّ التاريخ، المؤكّدة لهذا الاستحقاق، في إذهاب الرجس، أي (العصمة)^(٢)، والتطهير المستمر (تكامل ما بعد العصمة)^(٣)، كما اشترك السياق الداخلي من خلال اختلاف الضمائر السابقة على النصّ مع الضمائر اللاحقة^(٤) في إخراج آخرين من عنوان (أهل البيت).

والإمام الحسين عليه السلام قد وظّف هذا النصّ الكريم؛ لأنّه من مصاديقه في سياق نزول النصّ وتوظيفه، فالآية تنطبق عليه في كلا السياقين بلا شك.

نتائج البحث

للباحث أن يُقدّم جملة من أبرز النتائج التي توصل لها في بحثه لتوظيف آية التطهير بلسان الإمام الحسين عليه السلام:

١ - إنّ طريقة التفسير التحليلي توقّر للنصّ الكريم مساحة مناسبة في استشارة مكوناته المكتنزة في ألفاظه المكثّفة.

٢ - إنّ لكلّ جزء في النصّ القرآني طريقة في التحليل، تميّز عن الأجزاء الأخرى؛ فالمعاني التي تفيدها الأصوات لا يمكن القطع بها؛ بل تؤخذ على نحو الاستيناس والتناسب الدلالي، وتأتي بعدها المعاني التي تفيدها الدلالة الصرفية والنحوية والمعجمية والإيجائية والسياقية؛ إذ تتفاوت هذه الأجزاء فيما بينها شدةً وضعفاً، ويشترط في جميعها عدم مخالفة الظاهر القرآني الداعي للهداية.

٣ - إنّ طريقة توظيف النصّ الكريم بلسان الإمام الحسين عليه السلام تعطي معاني جديدة لآية التطهير، تدعو إلى ضرورة متابعة النماذج الأخرى في سياق التاريخ.

(١) أنظر: اللنكراني، محمد فاضل، آية التطهير (رؤية مبتكرة): ص ٣٤-٣٥.

(٢) أنظر: الأسكوثي، محمد باقر، طهارة أهل البيت في آية التطهير: ص ١٣٦.

(٣) الصدر، محمد، مئة المتأن في الدفاع عن القرآن: ج ٥، ص ٥٥.

(٤) أنظر: العاملي، جعفر، أهل البيت في آية التطهير (دراسة وتحليل): ص ٩٠-٩١.

- ٤ - إن آية التطهير تتحدّث عن موضوعين أساسيين: أحدهما (العصمة)، والآخر (تكامل ما بعد العصمة)، والأوّل مستدلٌّ عليه بإذهاب الرجس عنهم لا منهم، والثاني مستدلٌّ عليه بالمصدر (تطهيراً) الدال على تجذّر الطهارة ودوامها بشكل تصاعدي.
- ٥ - إن الوظيفة الأساسية لتوظيف آية التطهير، تحديد القدوة الكاملة التي ينبغي للمكلفين التأسّي بها، لما لها من دور كبير في هداية البشرية إلى أفضل الطرق للتكامل والطهارة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الأحاد والمثاني، أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٧٢هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢ - الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ.
- ٣ - الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤ - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧١م.
- ٥ - الإعجاز الجدلّي في القرآن، خميس جابر صقر، الصحابة للدراسات القرآنية والعربية بطنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ٦ - إعراب القرآن الكريم، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الأزهرية - مصر.
- ٧ - الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٨ - الأنموذج الخطير في ما يرد من الإشكال على آية التطهير، عبد الله بن الحسن الناصر

لدين الله (ت ١٢٥٦هـ)، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة - اليمن، الطبعة الأولى،
١٤١٩هـ.

٩ - أهل البيت في آية التطهير (دراسة وتحليل)، جعفر مرتضى العاملي، دار الأمير للثقافة
والعلوم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٠ - أهل البيت في آية التطهير، حيدر الموسوي، تحقيق: الشيخ باقر شريف القرشي.

١١ - آية التطهير (رؤية مبتكرة)، الشيخ محمد فاضل اللكراني، تحقيق: مركز فقه الأئمة
الأطهار عليه السلام، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

١٢ - آية التطهير في الخمسة أهل الكساء، محي الدين الغريفي، المطبعة العلمية في النجف
الأشرف - العراق، ١٣٧٧هـ.

١٣ - آية التطهير في مصادر الفريقين على مائدة الكتاب والسنة، سلسلة (٥)، مرتضى
العسكري، بيروت - لبنان.

١٤ - البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد
المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى،
١٤٢٤هـ.

١٥ - البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو
الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة -
مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

١٦ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٠٢٥هـ)، تحقيق:
علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.

١٧ - التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية
والنحوية والمعجمية)، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة - مصر، الطبعة
الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٨ - التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، انتشارات العطار، قم المقدّسة - إيران، الطبعة
الأولى، ١٤٣٥هـ.



١٩ - التفسير التحليلي للشطر الأوّل من سورة آل عمران، شاكر نعمة بكري الكبسي، ديوان الوقف السنّي، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٢٠ - التفسير التحليلي للقرآن الكريم، صبري المتولي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة - إيران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

٢١ - تفسير القرآن بالقرآن (دراسة دلالية)، أحمد رسن، دار السياب، لندن - بريطانيا، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.

٢٢ - تفسير النيسابوري، حسن بن محمد النيسابوري (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٢٣ - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٤ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ.

٢٥ - الجدول في إعراب القرآن، صافي محمود عبد الرحيم (ت ١٣٧٦ هـ)، مؤسسة الإيمان، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ.

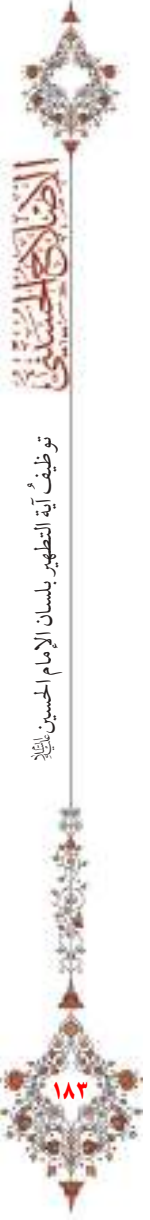
٢٦ - حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، محمد صدّيق خان البخاري (القنوجي).

٢٧ - الخصائص، عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي نجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨ - دراسات في علم الأصوات عند العرب، أحمد محمد قدّور، دار القلم العربي، دار الرفاعي للنشر، حلب - سورية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ.

٢٩ - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

- ٣٠- دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار، جلال الدين العيداني، دار الولاية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ٣١- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن - بريطانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- ٣٢- الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية - مصر.
- ٣٣- الدلالة الصوتية في سورة مريم (دلالة الأصوات التركيبية)، زينة بورويسة، دار الآفاق العربية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.
- ٣٤- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٣٥- الرمزية الصوتية في شعر أدونيس (الدلالة الصوتية والصرفية)، محمد بنو نجمة، مطبعة الكرامة، فاس - المغرب، ٢٠٠٠م.
- ٣٦- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٣٧- السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، عبد الفتاح محمود المثني، إشراف: فضل حسن عباس، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، أطروحة دكتوراه، ١٤٢٦هـ.
- ٣٨- السياق اللغوي ودراسة الزمن في اللغة العربية، محمد رجب الوزير، عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ٣٩- شذرات من فلسفة تاريخ الحسين عليه السلام، محمد محمد صادق الصدر (ت ١٤١٩هـ)، تحقيق: أسعد الناصري، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- ٤٠- شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد جعفر الكرباسي، دار الاعتصام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٤١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)،



تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٤٢ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض - السعودية، ١٤١٩هـ.

٤٣ - الصرف، حاتم صالح الضامن، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، كلية الدراسات الإسلامية، دبي - الإمارات العربية المتحدة.

٤٤ - الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٥ - الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٤٦ - طهارة أهل البيت في آية التطهير، محمد باقر الأسكوئي، تحقيق: صالح أحمد الرباب، مؤسسة شمس هجر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٤٧ - علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي الموسوي، دار الكتب العلمية، بغداد - العراق، ١٤١٩هـ.

٤٨ - علم الأصوات وأصوات اللغة العربية، روعة محمد ناجي، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٤٩ - علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠١٠م.

٥٠ - الفونولوجيا التوليدية المتعددة الأبعاد (المماثلة والتناغم في اللغة العربية)، مصطفى بو عناني، عالم الكتب الحديث، عمّان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٥١ - قاموس الأصوات اللغوية، رحاب كمال الحلو، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٥٢ - قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر المييدي، المجمع العلمي للتقريب بين

المذاهب الإسلامية - المعاونة الثقافية - مركز التحقيقات والدراسات العلمية، طهران -
إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.

- ٥٣ - كائن اللغة، علي عبد الله الفرج، دار أطياف، الطائف، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.
- ٥٤ - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي،
وإبراهيم السامرائي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢ هـ.
- ٥٥ - كتاب الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أيوب بن موسى
الكفومي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، دار النشر مؤسسة الرسالة،
بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.
- ٥٦ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار
الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
- ٥٧ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧٧١ هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- ٥٨ - ما وراء الفقه، محمد صادق الصدر رحمته الله (ت ١٤١٩ هـ)، دار ومكتبة البصائر،
بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- ٥٩ - مبادئ علم الأصوات العام، ديفيد أبركرومبي، ترجمة: محمد فتيح، كلية دار العلوم،
مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ٦٠ - محاضرات في التفسير التحليلي أُلقيت في كلية الفقه قسم علوم القرآن الكريم
والحديث الشريف، علي سميسم.
- ٦١ - محاضرات في تفسير القرآن الكريم، إسماعيل الصدر (ت ١٣٨٨ هـ)، تحقيق: سامي
الخفاجي، دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة - إيران، ١٤١٣ هـ.
- ٦٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية (ت ٥٤١ هـ)،
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

- ٦٣ - محمد رسول الله، أتين دينيه، وسليمان بن إبراهيم، ترجمة: عبد الحلیم محمود، ومحمد عبد الحلیم، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان.
- ٦٤ - المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد الطالقاني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٦٥ - المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٦٦ - المستدرک بتعليق الذهبي، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٦٧ - المسند، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- ٦٨ - مشكل إعراب القرآن، مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- ٦٩ - معاني الأبنية الصرفية في ضوء مجمع البيان، نسرین عبد الله الزجراوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م.
- ٧٠ - معجم الصوتيات، رشيد عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد - العراق، ١٤٢٨ هـ.
- ٧١ - المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٧٢ - المعجم المفهرس للأوزان الصرفية في القرآن الكريم، أشواق النجار، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ.
- ٧٣ - معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، جامعة الرياض، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.

٧٤ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ.

٧٥ - معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٦ - معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسنة (دراسة تحليلية)، راضي الحسيني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٧٧ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، قم المقدسة - إيران، الطبعة الخامسة، ١٣٧٨هـ.

٧٨ - مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٧٩ - المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: علي توفيق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٨٠ - مفردات ألفاظ القرآن مع ملاحظات العاملي، الحسين بن محمد الإصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، دار المعروف للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٣٢هـ.

٨١ - المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٨٢ - مقتل الحسين عليه السلام، أحمد بن محمد المعروف بالخورزمي (ت ٥٦٨هـ)، انتشارات أنوار الهدى، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.

٨٣ - مناهج تفسير النص القرآني، سيروان الجنابي، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٨٤ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- ٨٥ - مَنَّة المَنَّان في الدفاع عن القرآن، محمد محمد صادق الصدر رحمته الله (ت ١٤١٩ هـ)، هيئة تراث السيّد الشهيد الصدر رحمته الله، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ.
- ٨٦ - الموجز في القرآن وعلومه، سالم بن سعيد البوسعيدي، رؤى مكتبة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ.
- ٨٧ - الموسوعة العربية العالمية، أكثر من ألف عالم ومؤلف ومترجم ومحرر، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.
- ٨٨ - موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله الأزهرى، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ٨٩ - النصّ القرآني وآفاق الدلائليات، لطيفة الضاييف، دار تموز، دمشق - سورية، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.
- ٩٠ - الهداية في النحو، لجنة إعداد الكتب الدراسية لطلاب العلوم الإسلامية، المجمع العلمي الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ.

المجلات

- ٩١ - الصوت ووجوه الإعجاز القرآني، فاطمة حيدر، مجلّة كليّة التربية للبنات، جامعة بغداد، العدد ٣، المجلد ٢٢، ٢٠١١ م.

الاقْتِباسُ القرآني في زيارات الإمام الحسين عليه السلام

م. م. حسن جميل الربيعي*

تمهيد

إن منظومة المرويَّات الصحيحة لأهل البيت عليهم السلام هي دائرة معارف كاملة، ترشد الإنسان إلى الطريق القويم في كلِّ جوانب حياته؛ فهي الامتداد الطبيعي للقرآن الكريم، كتاب الله تعالى الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١).

إنَّ الزيارات الشريفة هي من ضمن هذه المنظومة الكاملة، وهي من أصحَّ النصوص وأهمَّها، ولعلَّ الرواة كانوا يحافظون عليها أكثر من غيرها؛ لأنَّها نصٌّ تعبديٌّ يتعبَّدون به في مشاهد المطهَّرين؛ ولذلك يكتسب قدسية قد لا توجد في غيرها من الأحاديث.

ولأنَّ القرآن الكريم نزل على الرسول الأعظم ﷺ، وتلقَّته عترته الطاهرة عليهم السلام تلقياً كاملاً؛ فالنصَّ القرآني بمفرداته وأساليبه وآلياته اللغوية كان مسيطراً وحاكماً على أسلوب كلامهم، ويجري على لسانهم جرياً طبيعياً بصورة قد لا يشعر بها المتلقِّي. إنَّ الاستعانة بالقرآن الكريم هو ما سُمِّي في الاصطلاح بـ (الاقْتِباس)، وهذا البحث هو لإظهار هذا الفنَّ اللغوي في زيارات الإمام الحسين عليه السلام المرويَّة عن الإمام الصادق عليه السلام، والوقوف على دوره الكبير في تعميق معاني تلك الزيارات.

* ماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب/ جامعة الكوفة.

(١) فضَّلت: آية ٤٢.

مفهوم الاقتباس

يدلّ الجذر اللغوي لمفردة الاقتباس على ضوء النار، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «القاف والباء والسين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على صفة من صفات النار، ثمّ يستعار من ذلك القبس شعلة النار... ويقولون: أقبستُ الرجلَ علماً، وقبستُهُ ناراً»^(١)، وهذا القبس الناري أو القبس العلمي هو الذي يُفيد الآخذُ منه بما يفتح له الطريق المظلم، مادياً كان أو معنوياً؛ فالأصل في هذه المفردة «هو سَيْلانٌ شيءٌ له نورٌ، وأكثر استعمالها في جهة المعنى»^(٢)؛ وبناءً على ما تقدّم فإنّ المعنى اللغوي لهذه المفردة يجتمع في معنيي الأخذ والاستفادة^(٣).

أمّا اصطلاحاً؛ فقد وضع الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) (الاقتباس) ضمن وجوه النظم وأقسامه، وعرفه قائلاً: «هو أن تُدرجَ كلمةً من القرآن أو آيةً في الكلام؛ تزييناً لنظامه، وتفخيماً لشأنه»^(٤)؛ فقد حدّه بالأخذ من القرآن بكلمة أو آية، وهو ما أورده صفي الدين الحليّ (ت ٧٥٢هـ)، والشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) أيضاً^(٥)، ولكنّه تميّز عنهما بأنّه علّل سبب الإتيان به للتزيين في نظم الكلام، والارتفاع والتفخيم لشأنه.

وقريب منه ما أورده الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) حين حدّه في الإيضاح، إلّا أنّه أضاف إليه فقرةً غير موجودة في تعريف الرازي، فقال: «أن يُضمّنَ الكلامُ

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٨.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٩، ص ١٩٩.

(٣) أنظر: مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج ١، ص ٢٧٠. المولى الموسوي، كاظم عبد فريح، الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: ص ١٤.

(٤) الفخر الرازي، محمد بن عمر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص ١٧٣.

(٥) أنظر: الحليّ، صفي الدين، شرح الكافية البدعية: ص ٢٧٩. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات:

شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه»^(١)، فقد حدّد أن لا يُشير المقتبس إلى الكلام المقتبس على أنه من القرآن أو الحديث، بل يُدرجه ضمن كلامه، فإذا أشار إليه فهو ليس من باب الاقتباس، وقد ذكر هذا الأمر أيضاً الكفويّ (ت ١٠٩٤هـ)، وابن معصوم (ت ١١٢٠هـ)، وبعض المُحدثين^(٢).

والباحث يميل إلى الرأي الأوّل الذي لم يُحدّد الإشارة من عدمها؛ فالمبدع أو الأديب - في الأحوال كلّها - قد أفاد من القرآن الكريم في نصّه؛ أشار إلى ذلك أو لم يُشر. ويُقسّم الاقتباس على نوعين^(٣):

١- اقتباس نصّي: يلتزم فيه المنشئ بنصّ القرآن الكريم وتركيبه من دون أن يغيّر شيئاً منه.

٢- اقتباس إشاري: لا يلتزم فيه المنشئ بنصّ القرآن الكريم بلفظه أو تركيبه، بل هو يفيد منه في بناء النصّ، ويقوم بتغيير بعض التراكيب أو الأبنية بما يتلاءم مع سياق نصّه، كأن يغيّر بين المخاطب والمتكلّم والغائب، أو يبدّل المضمّر بالظاهر، أو الظاهر بالمضمّر، أو غير ذلك، على أن لا يؤدّي ذلك إلى تحريف معنى القرآن الكريم، أو الإتيان بمعنى يخالفه.

ومن المصطلحات القريبة لهذا المصطلح هو مصطلح (التضمين)، ولكنّه مخصوص بالشعر لا بالنثر^(٤).

وظهر في العصر الحديث مصطلحٌ جديدٌ قد تكون له علاقة بالمصطلحين

(١) القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: ص ٥٧٥.

(٢) أنظر: الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات: ص ١٢٩. المدني، علي صدر الدين، أنوار الربيع في أنواع البديع: ج ٢، ص ٢١٧. الفكيكي، عبد الهادي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي: ص ١٢.

(٣) أنظر: الفكيكي، عبد الهادي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي: ص ١٣-١٤.

(٤) أنظر: مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج ٢، ص ٢٦٢-٢٦٣. يعقوب، إميل بديع، وعاصي، ميشال، المعجم المفصّل في اللغة والأدب: ج ١، ص ٤٢٦.

السابقين، وهو (التناص)، وهو من المصطلحات الحديثة التي تعني الإحالة إلى نصوص سابقة أو معاصرة من خلال قراءتها وتأويلها، ثم إعادة كتابتها بأسلوب جديد^(١)؛ فهو يكون في الجوهر لا في المظهر.

فالاقْتباس والتضمين هو إحضار للنص بنفسه أو بتغيير بسيط فيه؛ أما التناص فهو وجود مضمون فكرة النص السابق في النص الجديد؛ ولهذا لا يمكن أن يكون هذا المصطلح بديلاً عن المصطلحين السابقين، بل هو «امتداد، واستمرار لهما»^(٢)؛ لاشتراكهما في بعض الصفات الجزئية لا كلياً.

وتكمن الغاية من الاقتباس في النصوص في تزيينها بالقرآن الكريم، الذي هو أسمى بلاغة لغوية في مختلف اللغات، وفي مختلف العصور، فإن «التعبير القرآني تعبيرٌ فريدٌ في علوه وسموه، وأنه أعلى كلام وأرفعه، وأنه بهر العرب، فلم يستطيعوا مداناته والإتيان بمثله»^(٣)؛ ولذا فإن الاقتباس منه تفخيم لشأن النص الجديد بالإفادة من لغة القرآن الكريم.

وبناءً على ما تقدم؛ تتضح أهمية الاقتباس، فهو شاهد على «السمو بأساليب المقتبسين، ورفعة فنون قولهم؛ لأن المقتبس من القرآن الكريم الذي هو أعلى رتبة من البلاغة، والآخذ من أحاديث النبي الكريم ﷺ - وهو أفصح العرب - يزيد قدر ثمار قريحته، ويزينها بأجمل العبارات، وأبلغ الصياغات»^(٤).

إن الاقتباس من القرآن الكريم يمنح النصّ جمالاً فنياً، وبلاغة عالية؛ ويفتح الدلالات الموجودة في النصّ بالإفادة من دلالات اللفظ القرآني، فهو «يمنح النصّ الإبداعي بُعداً دلاليّاً لمساحةٍ أوسع، فهو استمدادٌ دلاليٌّ يرفد العملية الأدبية»^(٥)، وإن

(١) أنظر: المولى الموسوي، كاظم عبد فريح، الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: ص ٢١-٢٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٥.

(٣) السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني: ص ٩.

(٤) مطلوب، أحمد، والبصير، حسن، البلاغة والتطبيق: ص ٤٤٣.

(٥) المولى الموسوي، كاظم عبد فريح، الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: ص ١٣.

هذا البُعد الدلالي الواسع يتأتى من خلال الدلالات القرآنية الموجودة في الآيات المباركة، فيرتقي النصّ إلى درجات فنية دلالية مكتسبة من القرآن الكريم. ثم إن هذا الفنّ يؤكد على أنّ المنشئ متعمّق في النصّ القرآني بشكله وألفاظه وتراكيبه ودلالاته، ومن خلال هذا العمق الفكري في القرآن استطاع توظيف الألفاظ والآيات والدلالات القرآنية في تراكيب ودلالات جديدة في نصّه الإبداعي؛ ومن خلال هذا التبخرّ في القرآن تكون ألفاظ القرآن الكريم هي الغالبة على أسلوبه. إنّ الاقتباس - إضافة إلى ما تقدّم - يوجّه النصّ الوجهة القرآنية التي يريدّها الله تعالى، فيمنح النصّ قوّة أسلوبية، ودلالة قرآنية بلاغية منفتحة، تعطي النصّ أبعاداً أخرى؛ ولما كانت نصوص الزيارات هي من جنس الدعاء، يقترب النصّ من الدلالة الإلهية التعبدية.

وبناءً على ما تقدّم؛ سنقوم بدراسة الاقتباس من القرآن الكريم في الزيارات في محورين رئيسين:

المحور الأوّل: الاقتباس القرآني المباشر

في هذا النوع من الاقتباس من الآيات المباركة في الزيارات المباركة يعمد الإمام الصادق عليه السلام إلى إدراج آية كاملة، أو جزء منها في نصّ الزيارة. والهدف من هذا الأسلوب من الاقتباس هو العودة بالنصّ إلى القرآن الكريم؛ ليكون القرآن هو الحاكم على النصّ بما له من قدسية ومكانة عقائدية ولغوية؛ فيكون هو النصّ الأساسي الذي يتعبّد به الزائر في مشهد من مشاهد الله تعالى على أرضه، فمن خلال المكان والزيارة المقروءة التي يُقتبس فيها من القرآن تتولّد الطاقة الدلالية للنصّ، وتمنحه آفاقاً جديدةً، يأخذ منها كلٌّ بحسبه، فيصير البناء القرآني شكلاً أدائياً شائعاً في عباراته^(١).

(١) أنظر: المولى الموسوي، كاظم عبد فريح، الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: ص ٣١.

ومن هذا الاقتباس قوله عليه السلام: «وأشهد **﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾**»^(١)، فقد اقتبس الإمام عليه السلام الآية المباركة المؤكدة لبيان شهادة الزائر الحقة، فحين تكون الشهادة من القرآن تكتسب قيمة أكبر، وحين تكون الآية مؤكدة بعدة آليات لغوية هي: (أنّ، ضمير الفصل، التعريف في الخبر) يكتسب النصّ قوّته الدلالية.

وفي بيان صفاته تعالى قال عليه السلام: «الحمد لله الذي لم **﴿يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ﴾**»^(٣)،^(٤) فقد نفى عليه السلام من خلال هذا الاقتباس كلّ ما يمكن أن يُنسب له عليه السلام، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً؛ ولذا كان مستحقاً للحمد. وقد بيّن عليه السلام صفة الله تعالى من خلال الاسم الموصول (الذي)، فأراد أن يبيّن أنّ هذا الأمر معروفٌ عند الزائر، وهو يريد أن يحمده تعالى بما يعرفه منه، ويستيقن به، ويؤكد هذا اليقين وروده في القرآن الكريم.

وفي مقام تأكيد الوعد الإلهي الذي هو حتمي الوقوع قال عليه السلام: «أَبَشُرُوا بِمَوْعِدِ اللَّهِ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ إِنَّهُ **﴿لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾**»^(٥)،^(٦) فمن خلال الاقتباس حصل النصّ على دلالة واسعة هي أنّ هذا الوعد صادرٌ من الله تعالى في وقت معلوم؛ إذ ذكره في القرآن الكريم.

ولمّا كان الوعد الإلهي متحقّقاً لا ريب فيه، فإنّ الزائر ينتظره، ويعدّ له العدة، قال عليه السلام: «وَنُصِرْتِي لَكَ مُعَدَّةً **﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾**»^(٧) لِدِينِهِ وَيَبْعَثَكُمْ»^(٨)،

(١) النور: آية ٢٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٤.

(٣) الفرقان: آية ٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦١.

(٥) آل عمران: آية ٩. الرعد: آية ٣١.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٥.

(٧) يونس: آية ١٠٩.

(٨) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٨.

فوظف عليه السلام الآية المباركة ضمن الزيارة ليزيد إيمان الزائر بالوعد الإلهي الذي يحكم الله تعالى به.

ومن ضمن الإيمان بالوعد الإلهي هو الإيمان بالبعث والنشر والحساب، قال عليه السلام: «وَأَنْكَ بَاعِثٌ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنْكَ ﴿جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(١)»^(٢)، فاقْتبس عليه السلام من الآية المباركة ما يعضد به نصّ الزيارة قوّة ودلالةً.

وفي بداية بعض الزيارات يبدأ الزائر بآية مباركة وردت في القرآن الكريم على لسان الخالدين الذين نزع الله تعالى ما في صدورهم من غلٍّ؛ قال عليه السلام: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾^(٣)»^(٤)، كأنّ الزائر حين يستفتح زيارته بهذه الآية المباركة يريد أن يكون من الخالدين في الجنة، ويريد أن ينزع الغلّ من صدره، ويظهر نفسه من كلّ آفة وعاهة، فيكون زكيّ النفس، طاهر السريرة، وحينئذٍ يكون مهياً لتلقّي ما في الزيارة من معارف، ويستعدّ نفسياً لقبولها والعمل بها.

وفي بيان قدرة الله تعالى على كلّ شيء يقْتبس الإمام الصادق عليه السلام آية مباركة في سبعة موارد من الزيارات، وهي قوله تعالى: «﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥)»، وهذه الموارد هي:

«وَحَبَّبَ إِلَيَّ شَهَادَتَهُمْ وَمَشَاهِدَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦)».

(١) آل عمران: آية ٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٠.

(٣) الأعراف: آية ٤٣.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٠. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجّل: ص ٧١٩. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٢٩.

(٥) آل عمران: آية ٢٦. التحريم: آية ٨.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٦.

«اللَّهُمَّ، الْعَنِ الْجِبْتَ وَالطَّاعُونَ وَالْفَرَاعِنَةَ ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(١).
 «حَتَّى توردني مواردَهُمْ، وتُصَدِرني مَصادِرَهُمْ، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(٢).
 «وإن كُنْتَ عَلَيَّ سَاحِطاً قُتِبَ عَلَيَّ، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(٣).
 «اللَّهُمَّ، ابعثهُ مَقاماً مَحموداً، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(٤).
 «وآتِنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(٥).
 «اللَّهُمَّ، اجْعَلْهُ لي شاهِداً يَوْمَ حاجَتِي وفُقْرِي وإِنِّي لَإِنيكَ يا رَبَّ العالَمينَ، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(٦).

فالإمام عليه السلام اقتبس الآية المباركة في هذه الموارد كلها، لبيان قدرة الله تعالى في الأحوال كلها. وفيما يخص المزور (الإمام الحسين عليه السلام) فقد كان عليه السلام يورد بعض صفاته من خلال القرآن الكريم؛ لكي يُثبت هذه الصفات، ولكي يربط المزور بالقرآن الكريم، وربطه بالقرآن يعني ربطه بالخطّ الإلهي الذي لا ريب فيه، قال عليه السلام: «وَدَعَوْتُ ﴿إِنِّي سَبِيلُ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾»^(٧)،^(٨) فيبين أخلاقية الدعوة القرآنية الموجودة في المزور.

وفي وصف أنصار الإمام الحسين عليه السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

(١) المصدر السابق: ص ٤٠٨.
 (٢) المصدر السابق: ص ٤١٠.
 (٣) المصدر السابق: ص ٤٢٤.
 (٤) المصدر السابق: ص ٤٣٩.
 (٥) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧١٨.
 (٦) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٢٨.
 (٧) النحل: آية ١٢٥.
 (٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٤. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٣، و ص ٥٢٥.

يَا أَهْلَ الْقُبُورِ مِنْ أَهْلِ دِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ ﴿عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١) ﴿٢﴾،
فقد سلّم عليهم بسلام الملائكة على المؤمنين؛ ليثبت لهم مقاماً عالياً كبيراً.

وفي نصّ ثانٍ بين عليّ عليه السلام موقعهم في الجنان بقوله: «أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِيَنِيكُمْ عَلَى الْحَوْضِ
وَفِي الْجَنَانِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﴿وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣) ﴿٤﴾،
فقد منحهم عليّ عليه السلام بهذا الاقتباس منزلة الذين أنعم الله تعالى عليهم نفسها.

وفي ما يريد أن يحصل عليه الزائر قال عليّ عليه السلام: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ،
وَدَلَّتْ عَلَيْهِ، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٥) ﴿٦﴾، فاقْتَبَسَ عليّ عليه السلام
الآية المباركة التي جاءت على لسان الحواريين للدلالة على الانتساب إلى هذا الخطّ
المبارك، وليبين أن الزائر يسير على هدى هذه الثلثة المؤمنة (أنصار الله).

ويلجأ المنشئ عليّ عليه السلام إلى آية الاسترجاع: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٧)؛ وذلك في
مواقف معيّنة، وهذه الآية ترد في الأماكن التي تحل بها مصيبة كبيرة، فيلجأ فيها إلى
الله تعالى لجوءاً كاملاً، وذلك لما تشتمل عليه من التأكيد بـ(إن) ولمرتين؛ وقد عمد
إليها الإمام الصادق عليه السلام لبيان عظم الفجعة، التي ينبغي للزائر أن يرجع إلى الله تعالى
فيها، ويستلهم منه الصبر على ذلك، مضافاً إلى أنه عليه السلام أراد أن يُعَبَّرَ عن الأسلوب
الصحيح للتعامل مع المصيبة؛ ولأجل جميع ذلك قال عليّ عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ
اللَّهِ، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٨)».

(١) الرعد: آية ٢٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٢٠.

(٣) النساء: آية ٦٩.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٢٢.

(٥) آل عمران: آية ٥٣.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٦.

(٧) البقرة: آية ١٥٦.

(٨) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٢.

وفي زيارة ثانية يذكر عليه السلام أن الزائر لا بد أن ينكب على القبر، ويردد هذه الآية^(١)، وفي نهاية إحدى الزيارات المباركة ينهيهما عليهما السلام بقوله: «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**»، ولا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ^(٢)، فبيّنت هذه الآية عِظَم المصاب، وهول الفجعة، بما لا يستطيع معه الإنسان أن يفعل شيئاً إلا الرجوع الكامل إلى الله تعالى؛ ليستلهم منه القوة الإيمانية.

وفي مقام الرحمة للوالدين يلجأ الإمام الصادق عليه السلام إلى الدعاء القرآني للوالدين، قائلاً: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي، وَارْحَمْهُمَا **كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**»^(٣)؛ فإن الدعاء القرآني له خاصية مميزة، وقد يكون ضمان الإجابة معه أكثر.

أمّا في مقام بيان ما يخصّ الظالمين فقد قال عليه السلام: «وَاحْشُرْهُمَا وَأَشْيَاعَهُمَا وَأَتْبَاعَهُمَا **يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكَمَا وَصَمًّا مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا**»^(٥)، وقال عليه السلام في نصّ آخر: «الحمد لله الذي جعل النار مثواهم، ويئس وزد الواردين، **وَيئس الورد المورود**»^(٧)، وقال عليه السلام في نصّ ثالث: «ويوم يقول أهل الضلالة: **فمآلنا من شفعين ولا صديق حميم**»^(٩).

إن اقتباس هذه الآيات المباركة في بيان وجوه العذاب للظالمين يدل على شدة

(١) أنظر: المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٣١.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٣٤.

(٣) الإسراء: آية ٢٤.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٢٤.

(٥) الإسراء: آية ٩٧.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٢٦.

(٧) هود: آية ٩٨.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣١٣.

(٩) الشعراء: آية ١٠٠-١٠١.

(١٠) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤١٢.

العذاب عليهم، فإن الصورة القرآنية شديدة على الكافرين، تزيد في الفضاة عليهم؛ ولهذا وظف الإمام الصادق عليه السلام النصّ القرآني المبارك في الزيارات.

المحور الثاني: الاقتباس غير المباشر

يكون هذا الاقتباس في الزيارات على نوعين:

النوع الأول: اقتباس التركيب القرآني

في هذا النوع يعمد الإمام الصادق عليه السلام إلى توظيف تركيب قرآني يقتبسه في الزيارة؛ ليفيد منه في دلالتها، ولا يقتبس عليه السلام النصّ نفسه، بل يغيّر فيه تغييرات بسيطة بما يتلاءم مع السياق الموجود، ولكنه يبقى محافظاً على الفكرة القرآنية الموجودة في النصّ المقتبس.

وبالنتيجة يتداخل التركيب القرآني غير المباشر في الزيارة، ويمنحها طاقةً دلاليةً كامنةً لإنتاج دلالةٍ ما، ولكلّ متلقٍ مستوى في مقدار استخراج هذه الدلالة، والإفادة منها، فهذا الأسلوب هو من أوجه إظهار طاقة النصّ^(١). هذا، وإنّ التراكيب القرآنية التي وظّفها الإمام عليه السلام في الزيارات على صنفين: تراكيب تامّة، وتراكيب ناقصة (لا تُشكّل جملاً تامّة المعنى).

الصنف الأول: اقتباس التركيب القرآني التام

ومن هذا الصنف قوله عليه السلام في ذكر الله تعالى: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»^(٢)، وقد اقتبسها من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣)؛ وغاية هذا الاقتباس هي جعل الزائر من المؤمنين به تعالى، فالخطاب موجه لهم، وهذا الذكر الكثير في الأوقات كلّها ممّا يُشعر الإنسان

(١) أنظر: المولى الموسوي، كاظم عبد فريح، الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: ص ٦٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد: ص ٧١٩.

(٣) الأحزاب: آية ٤١-٤٢.

بكون الله تعالى قريباً منه، فلا يخاف شيئاً في الوجود بعد ذلك.

ومنه قوله **عَلَيْهِ** في الانقطاع إلى الله تعالى: «إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ»^(١)؛ وهو مستمد من آيتين مباركتين، هما: قوله تعالى: «إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ»^(٢)، وقوله: «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ»^(٣)، وهو بهذا الاقتباس منح نصّ الزيارة دلالة مفادها ضرورة اللجوء إلى الله تعالى ضمن الجماعة المؤمنة، وأكد ذلك عن طريق أداة التوكيد (إِنَّ)، وعن طريق «تقديم المجرور لإفادة القصر، أي: إلى الله راغبون لا إلى غيره»^(٤).

أمّا فيما يخصّ المزور، فقد قال **عَلَيْهِ** في الزيارة: «اللَّهُمَّ، ابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً»^(٥)، وقد اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً»^(٦)، والزيارة بربطها مع الآية المباركة المقتبس منها صارت لها دلالة على أنّ المزور كان ممن لا يترك نافلة الليل، وهو **عَلَيْهِ** ممن ينالون هذا المقام المحمود ببركة وفضل من الله تعالى عليهم، وهذا المقام هو مقام الشفاعة^(٧)؛ إذ إنّ المزور يصل إلى درجة عالية يوم القيامة يشفع فيها للمؤمنين، وهذه الشفاعة قد تكون لزيارته أيضاً، فهم قد زاروه لأجل أن يتقربوا إلى الله تعالى بزيارته وحبّه، وإعلان الولاء له، والبراءة من عدوّه.

ومن موارد الاقتباس الأخرى في هذا الصدد قوله **عَلَيْهِ**: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ عَنِ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** مَا أُمِرْتَ بِهِ، وَلَمْ تَخْشَ أَحَدًا غَيْرَهُ»^(٨)، فإنّه اقتباس من قوله تعالى: «الَّذِينَ

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد: ص ٧١٨.

(٢) التوبة: آية ٥٩.

(٣) القلم: آية ٣٢.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ج ١٠، ص ١٢٧.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٦.

(٦) الإسراء: آية ٧٩.

(٧) أنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف: ج ٢، ص ٦٨٧. الفخر الرازي، محمد بن عمر،

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٢١، ص ٣١.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٢.

يُبْلِغُونَ رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿١﴾، وقد دلّ هذا

على أن المزور حمل الصفة القرآنية التي وصف الله تعالى بها أنبياءه ورسله في كتابه.

ومنها أيضاً قوله ﷺ: «وَتَلَوْتَ الْكِتَابَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ»^(٢)، فهو اقتباس من قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(٣)، فالإمام الحسين ﷺ

بتلاوته الكتاب حقّ تلاوته كان من المؤمنين به حقاً بدلالة تكملة الآية؛ إذ إن من

يتلوه حقّ تلاوته هو المؤمن الحقيقي به، الحامل له عن وعي وبصيرة وهدى، وقد

حصرت الآية المباركة التاليين له حقّ تلاوته بالمؤمنين، ولا بدّ من الإشارة إلى أن

هؤلاء ليسوا هم الذين يقرؤونه فقط، بل هم القارئون لحروفه، المطبقون لأحكامه،

قال ابن مسعود: «والذي نفسي بيده إن حقّ تلاوته أن يحلّ حلاله، ويحرّم حرامه، ويقرأه

كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله»^(٤).

وهذا المفهوم مأخوذ من الجذر اللغوي لمفردة (التلاوة)، قال ابن فارس

(ت٣٩٥هـ): «التاء واللام والواو أصلٌ واحدٌ، وهو الاتباع»^(٥)، وبهذا دلّ على أن

المزور ﷺ هو من المتبعين أتباعاً كاملاً لمنهج القرآن الكريم، ولم يجد عنه قيد أنملة،

وهذا هو تذكير وتنبية للزائر على أن يسير على خطّ المزور، وأن يهتدي بهداه، وأن

يتحوّل بعد زيارته إلى أفضل ممّا كان عليه قبل الزيارة، ومع كلّ زيارة يزداد هدًى،

وبصيرة، واقتداءً بنهج المزور.

ومنها كذلك قوله ﷺ: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ وَعِثْرَةَ آبَائِكَ الْأَخْيَارِ

الْأَبْرَارِ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً»^(٦)؛ فهو اقتباس من قوله

(١) الأحزاب: آية ٣٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٤.

(٣) البقرة: آية ١٢١.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج ١، ص ٥٢٠.

(٥) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٣٥١.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٤.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، وقد أكد عليه السلام الطهارة الإلهية لهم من خلال اقتباس هذا التركيب القرآني، وتغيير بعض ألفاظه بما يتناسب مع النص.

وأما في مقام التأكيد على حياتهم المباركة بعد شهادتهم فقد جاء في الزيارة: «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَمَنْ قُتِلَ مَعَكَ شُهَدَاءُ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّكَ تُرْزَقُونَ»^(٢)، وهو توظيفٌ للآية المباركة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٣)، ودلّ هذا الاقتباس على أنهم ممن قُتلوا في سبيل الله، وضمنوا الحياة الدائمة، والرزق الوافر عند الله تعالى؛ إذ يُغمرون برحمته الواسعة وفيضه المتواصل.

وبشأن السلام على المזור في كل أوقات حياته المباركة، قال عليه السلام: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَوْمَ وُلِدْتَ، وَيَوْمَ تَمُوتُ، وَيَوْمَ تُبْعَثُ حَيًّا»^(٤)، وقد اقتبسها من قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٥)، وهذا الاقتباس يعكس أن الرسائل السماوية كلها واحدة حتى في ألفاظها، فعيسى المسيح عليه السلام يرّد هذه الكلمات، وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام يرّدها بحق جدّه؛ وهو السلام الإلهي نفسه.

ومّا جاء في وصف المזור عليه السلام - مضافاً إلى ما تقدّم - قول الإمام الصادق عليه السلام: «أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالْقِسْطِ»^(٦)، حيث أثبت عليه السلام أنّ جدّه الحسين عليه السلام من الأمرين بالقسط، وبقتله ومن معه على يد الظالمين انطبقت عليهم إحدى الآيات المباركة، وقد اقتبس منها المنشئ هذه الصفة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٣.

(٣) آل عمران: آية ١٦٩.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩١.

(٥) مريم: آية ٣٣.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٠.

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِيْنَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَت أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿١﴾.

إنّ هذا الاقتباس مع توظيف السياق القرآني الوارد فيه يدلّ على شكل عذاب مَنْ يقتل الأمّرين بالقسط، فالآية جمعتهم في حكم واحدٍ مع الكافرين بآيات الله تعالى، ثم جعلت مصيرهم العذاب الأليم؛ لأنّهم حبطت أعمالهم في الدّنيا والآخرة؛ والنتيجة نفسها يصل إليها بالنسبة إلى مَنْ قام بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك كلّ مَنْ سار على نهج قاتله في قتل الأمّرين بالقسط.

ومن دعاء الزائر لنفسه ولمن معه من المؤمنين، ورد في الزيارة: «اللَّهُمَّ، اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُمْ»^(٢)، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)، فاتّباع النور النازل مع الإمام عليه السلام يؤدّي إلى الفلاح، وهذا ما يريده الزائر، وهو أن يكون من المفلحين، وهذا الفلاح يكبر حين يكون متّبعا للنور الإلهي المتمثّل في المزور.

ومن هذا الباب ما ورد في لعن الذين يبدّلون نعمة الله تعالى، قال عليه السلام: «اللَّهُمَّ، الْعَنِ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَكَ»^(٤)، وقد أفاده من الآية المباركة: ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥)، فقد اقتبس هذا التركيب لكي يثبت اللعن أكثر، فإنّ تكملة الآية المباركة أثبتت شدة عقاب الله تعالى لمن يبدّل نعمته جزء بعد أن يعرفها.

(١) آل عمران: آية ٢١-٢٢.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٥.

(٣) الأعراف: آية ١٥٧.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٣.

(٥) البقرة: آية ٢١١.

وأما بشأن ماهية هذه النعمة فقد قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «و **نِعْمَةَ اللَّهِ**» آياته، وهي أجلُّ نعمة من الله؛ لأنَّها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة، وتبديلهم إياها: أنَّ الله أظهرها لتكون أسباب هُداهم، فجعلوها أسباب ضلالتهم^(١)؛ ومن المعلوم أنَّه ليس هناك نعمة أكبر من المزور وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، الذين جاء الله تعالى بهم هدايةً لبني الإنسان، ورحمةً بهم، ومع هذه النعمة والمنَّة الإلهية لبني الإنسان هناك من كفر بها، وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، فاستحقَّ اللعن، واستحقَّ العقاب الشديد.

الصف الثاني: اقتباس التركيب القرآني الناقص

ومَّا ورد في الزيارات من هذا الصنف قوله عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله: «مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ»^(٢)، فإنَّه اقتبس التركيب الوصفي النبي الأمي من قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِنَّا لَنَجِئِلُ﴾**^(٣)؛ وذلك لربط الزائر بالوصف القرآني للنبي صلى الله عليه وآله الذي يعني أُمِّيَّة النبي صلى الله عليه وآله، وليس اختصاصه بالإسلام فقط، بل هو في التوراة والإنجيل، وهذا اللعن الصادر على لسانه يصدر عنه وهو نبيٌّ من الله تعالى، منصوص عليه في القرآن والتوراة والإنجيل، وليس مختصاً بطائفة معيَّنة، فهو نبيٌّ في كلِّ الأمم، وهذا يدلُّ على توسيع دائرة اللعن بسعة رسالة الله تعالى على وجه الأرض، وليس اختصاصها بجهة واحدة.

ومنها أيضاً قوله عليه السلام في وصف المزور: «لَمْ تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ»^(٤)، فهو عليه السلام

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشَّاف: ج ١، ص ٢٥٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٣. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات:

ص ٣٩١، و ص ٤٠٧. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤١٥.

(٣) الأعراف: آية ١٥٧.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٦.

قد اقتبس التركيب (لومة لائم) من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(١)؛ وقد وظّفه لبيان وصف المزور عليه السلام بما يتناسب مع السياق القرآني الذي ورد فيه الحديث عمّن يتّصف بهذه الصفة، فبالمطابقة بينهما تتبيّن صفة المزور، وهي أنّ الله تعالى يُحبّه، وهو يُحبّ الله تعالى، ذليل على المؤمنين، عزيز على الكافرين، مجاهد في سبيل الله، ولا يخاف لوم أحد.

ومنها كذلك قوله عليه السلام في زيارة الشهداء من أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام وصحبه: «وَرَضُوا بِالْمَقَامِ فِي دَارِ السَّلَامِ»^(٢)، فإنّ تركيب (دار السلام) قد اقتبسه عليه السلام من قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، وقد أكد عليه السلام من خلال توظيفه لهذا التركيب على الوصف القرآني للجنة بأنّها (دار السلام) التي يحصل عليها المذكورون الذين ساروا على صراط الله المستقيم، وأنّ الشهداء المشار إليهم هم السائرون على صراط الله تعالى، المذكورون، المؤمنون بحقيقة الربوبية.

النوع الثاني: اقتباس اللفظ القرآني

يعمد الإمام الصادق عليه السلام في هذا النوع من الاقتباس إلى المفردة القرآنية، ويوظّفها في الزيارة؛ ليعطي النصّ دلالة أقوى، وذلك بالإفادة من سياق الآية المباركة، ومن دلالة المفردة فيها.

ومن استعمال المفردة القرآنية في الزيارات قوله عليه السلام في وصفه لله تعالى: «خالق الخلق، فلم يعزّب عنه شيء»^(٤)، فقد استعمل الفعل (يعزّب) الوارد في القرآن الكريم

(١) المائدة: آية ٥٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٢١.

(٣) الأنعام: آية ١٢٦-١٢٧.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٦، وص ٣٩٨.



في موردين، هما: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢)؛ إن الجذر اللغوي (عزب): «يدلُّ على تباعد وتنجُّ... وكلُّ شيءٍ يفوتك حتى لا تقدر عليه فقد عزب عنك»^(٣)؛ وبناءً على هذا فما نفهمه من الآيتين الشريفتين هو أن هناك أمر بعيد لا يكاد يُعرف ويُعلم لبُعده، إلا أنه لم يفت الله عزَّ وجلَّ وذلك لقدرته على الإحاطة بالخفايا مهما صغرت؛ وبتوظيف الإمام عليه السلام لهذه المفردة أعطى النصُّ هذا المعنى القرآني الذي يوقف الزائر على مقدار الرقابة الإلهية له، فيعمد إلى تصحيح فعله.

ومن هذا الباب أيضاً وصفه عليه السلام للمزور عند السلام عليه بأنَّه وارث لبعض الأنبياء عليهم السلام الذين يملكون صفات مميَّزة، قائلاً: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ»^(٤)، فقد أورد صفات الأنبياء كما هي في القرآن الكريم، ففي وصف إبراهيم عليه السلام بخليل الله قال تعالى: ﴿وَإِتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٥)، وفي وصف موسى عليه السلام بكليم الله قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٦)، وفي وصف عيسى عليه السلام بروح الله قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ؛ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٧).

(١) يونس: آية ٦١.

(٢) سبأ: آية ٣.

(٣) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٣١٠-٣١١.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٥.

(٥) النساء: آية ١٢٥.

(٦) النساء: آية ١٦٤.

(٧) النساء: آية ١٧١.



إن هذه الأوصاف الواردة في الزيارة تُعطي النصّ قوّةً ودلالةً على الثبوت، وذلك حين يرتبط الزائر بالمزور ارتباطاً مبدئياً متصللاً بخطّ الرسالات الإلهية، ماراً بالأنبياء عن طريق صفاتهم الإلهية المذكورة في القرآن الكريم، وهذا له دلالة كبرى على أحقيّة المزور بالزيارة؛ لأنّه الامتداد الطبيعي الرسالي، والوارث الحقيقي لخطّ الدعوة إلى الله تعالى.

ومنه كذلك قوله عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنَّ دَعْوَتَكَ حَقٌّ، وَكُلَّ دَاعٍ مَنصُوبٍ غَيْرِكَ فَهُوَ بَاطِلٌ مَدْحُوضٌ»^(١)، فوصف الباطل بـ(المدحوض) هو اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَيَجْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾^(٣)، إنّ الدّحض يعني: الرّلُق^(٤)، وقد وُصفَ الباطل بهذا الوصف لأنّه لا يثبت بوجه الحقّ في أيّ درجة، بل هو زلّقٌ يهوي بصاحبه بسرعة، «بحيث يكون منتهياً إلى الزوال، كالحجّة المنتهية إلى البطلان»^(٥)، وبهذا الوصف تكون الدعوة التي سار عليها الإمام الحسين عليه السلام في حياته كلّها حين استشهاده هي دعوة حقّة لا تقف بوجهها شبهة، وإن حاولت شبهة أن تقف بوجهها فهي من الضعف بمكان، حتّى كأنّها زلّقة لا ثبات لها.

ومن استعمال الألفاظ القرآنية - في المقام - قوله عليه السلام في وصف المحاربين للإمام الحسين عليه السلام: «وَقَدْ أَمَهَلْتَ الَّذِينَ اجْتَرَّوْا عَلَيْكَ وَعَلَى رَسُولِكَ وَحَبِيبِكَ، فَأَسْكَنْتَهُمْ أَرْضَكَ، وَغَدَوْتَهُمْ بِنِعْمَتِكَ، إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوْه، وَوَقَّتْ هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، لِيَسْتَكْمِلُوا الْعَمَلَ الَّذِي قَدَرْتَ، وَالْأَجَلَ الَّذِي أَجَلْتَ، لِتُخَلِّدَهُمْ فِي مَحَطٍّ وَوِثَاقٍ، وَنَارٍ وَحَمِيمٍ

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٠٤.

(٢) الكهف: آية ٥٦.

(٣) غافر: آية ٥.

(٤) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٣، ص ١٠١.

(٥) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٣، ص ١٩٨.

وَعَسَاقٍ، وَالضَّرِيعِ وَالْإِخْرَاقِ، وَالْأَغْلَالِ وَالْأَوْثَاقِ، وَغَسْلِينَ وَزَقُومٍ وَصَدِيدٍ، مَعَ طَوْلِ الْمَقَامِ فِي أَيَّامِ لَطْيٍ، وَفِي سَقَرٍ، الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَدْرُ، وَفِي الْحَمِيمِ وَالْجَحِيمِ»^(١)، فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْمَجْرُمُونَ كُلُّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. قَالَ تَعَالَى فِي صِفَاتِ الْمَجْرُمِينَ فِي آيَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ: ﴿فِيَوْمٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا﴾^(٢)، ﴿هَذَا فَلْيَذوقوه حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾^(٣)، ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾^(٤)، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥)، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾^(٦)، ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ﴾^(٧)، ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾^(٨)، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَطَيٌّ * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾^(٩)، ﴿سَأَصْلِيه سَقَرًا * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرًا * لَا تُبْقِي وَلَا تَدْرُ﴾^(١٠).

إِنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَطَفَّ هَذِهِ الْمَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي الزِّيَارَةِ، وَيَبَيِّنُ مَا سَيُصِيبُ الْمُتَجَرِّئِينَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، وَمَجْمِئٍ جَمِيعِ الصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي سِيَاقِ وَاحِدٍ يَزِيدُ فِي فِطْرَةِ الْعَذَابِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَجْرُمِينَ.

وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ؛ فَإِنَّ الْاسْتِعَانَةَ بِالْمَفْرَدَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَدَّى إِلَى تَوْسِيعِ دَائِرَةِ الضَّوِّءِ الدَّلَالِيِّ^(١١) فِي الزِّيَارَاتِ؛ إِذِ إِنَّمَا قَدْ اِكْتَسَبَتِ الدَّلَالَةُ الْوَاسِعَةَ الْعَمِيقَةَ مِنْ خِلَالِ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ، عِلَاوَةً عَلَى السِّيَاقِ الْخَاصِّ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤١٨.

(٢) الفجر: آية ٢٥-٢٦.

(٣) ص: آية ٥٧.

(٤) الغاشية: آية ٦.

(٥) سبأ: آية ٣٣.

(٦) الحاقة: آية ٣٦.

(٧) الواقعة: آية ٥٢.

(٨) إبراهيم: آية ١٦.

(٩) المعارج: آية ١٥-١٦.

(١٠) المدثر: آية ٢٦-٢٨.

(١١) أنظر: المولى الموسوي، كاظم عبد فريح، الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة: ص ٣٦.

ومن خلال النظر إلى جميع موارد الاقتباس المتقدمة وغيرها من نصوص الزيارات والمرويات الأخرى للأئمة الطاهرين عليهم السلام، يتّضح مدى تعمّقهم في القرآن الكريم، حتّى غدا من ضمن كلامهم؛ ويتّضح أيضاً وحدة منهجهم في ذلك، سواء أكانوا زائرين أم مزورين، فهم السائرون على نهج القرآن الكريم، ولن يجيدوا عنه بمقدار أنملة، وإن أدّى ذلك إلى ما أدّى.

نسأل الله تعالى أن نكون من السائرين على نهج القرآن الكريم وعدله (أهل البيت عليهم السلام)، وأن نكون ممن يعي القرآن وعي رسالة إلهية يُراد منها التطبيق على المعمورة لإصلاحها والنهوض بها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ - الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، عبد الهادي الفكيكي، دار النمير للنشر والتوزيع، دمشق - سورية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.

٢ - الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، كاظم عبد فريح المولى الموسوي.

٣ - أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ)، حقّقه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

٤ - الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم الخفاجي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت - لبنان، ١٩٨٩ م.

٥ - البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، وكامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

٦ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

٧ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، القاهرة - لندن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٨ - التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار البشائر، الأردن.

٩ - التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦هـ)، ضبط نصوصه وعلّق عليه: محمد علي أبو العباس، دار الطلائع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

١٠ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة.

١١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٢ - شرح الكافية البدعية، صفى الدين الحلبي (ت ٧٥٢هـ)، قدّمه للشرح وحقّقه وعلّق عليه: رشيد عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٣ - الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: قسم إحياء التراث، مركز بحوث دار الحديث، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

١٤ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القمي، مؤسسة نشر الفقاهة.

١٥ - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

١٦ - الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود

بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٧ - الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات ذوي القربى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

١٨ - المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي (ت ٦١٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٩ - مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٢٠ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢١ - المعجم المفصل في اللغة والأدب، إميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، نشر ناب مصطفى، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

٢٢ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٢٣ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، محمد بن عمر بن الحسين الرازي المعروف بالفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

النصح في القرآن الكريم.. دراسة في المفهوم والأساليب الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً

نسرین شاکر الحکیم*

المقدمة

النُّصْحُ أو النصيحة وظيفة إلهية اضطلع بأدائها الأنبياء عليهم السلام، وتلاهم الأوصياء عليهم السلام وصالح الخلق، ومَنْ صلحت سريرته من الناس، تعبّر في واقعها عن حبّ الخير للآخرين، ومساعدتهم في بلوغ ذلك، وكشف الأستار التي تحول بينهم وبين ما ينبغي أن يصلوا إليه.

تعتبر النصيحة أحد أساليب المساعدة النفسية التي يُوظّفها المرشد النفسي في إعانة الفرد للتغلّب على مشاكله والظروف الصعبة التي يمرّ بها^(١). والنصيحة في واقعها عملية تفاعلية تعتمد على أمور أربعة، هي:

١- الفرد الذي يشخّص وجود انحراف أو وضع غير طبيعي بحسب الموازين العقلية والشرعية.

٢- الوضع غير المرغوب فيه.

٣- الفرد الذي يتوجّه للنصح إليه.

٤- الوضع المطلوب وما ينبغي أن يُصار إليه.

* ماجستير في التفسير وعلوم القرآن - علم نفس تربوي، مؤسّسة بنت الهدى للدراسات الإسلامية،
جامعة المصطفى عليه السلام العالمية.

(١) أنظر: المساعد النفسي، طرق الإرشاد النفسي (مقال باللغة الفارسية): <http://elaherahnama.ir/>

أما النصيحة في بُعدها الإسلامي، فهي عبارة عن عملية توجيه وهداية للأفراد، ولا تختصّ بقوم دون غيرهم، فكلّ إنسان مؤمن هو ناصح لغيره من المؤمنين، طالب لصالحهم وفلاحهم، فالناصح يعمل على تغيير الواقع المعاش معتمداً على بصيرة وعمق رأي في إنقاذ الخلق دون استثناء ومساعدتهم على تجاوز المشاكل والأزمات. هذا، وإنّ المقال - الذي بين يديك عزيزي القارئ - يصدد البحث عن مفهوم النصيحة، والأساليب التي تمّ بها أداء هذه الوظيفة الإلهية في القرآن الكريم، والبحث أيضاً عن مدى انسجام النصائح التي جاءت في كلمات الإمام الحسين عليه السلام وكلمات أصحابه الكرام يوم عاشوراء مع أساليب النصيحة المبيّنة في القرآن. ولأجل أن نقف على مدى الانطباق وعدمه بين مفهوم النصيحة قرآنياً وبين استعمالاته في المجالات الأخرى، كان من المفترض علينا أن نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه المفردة؛ ومن هنا فإنّ حديثنا في هذا المقال سوف يكون في نقاط عدّة.

النقطة الأولى: النصيحة لغة واصطلاحاً

أمّا لغةً: فقد ذكر بعض أصحاب المعاجم اللغوية أنّ (نصح) يدلّ على: «ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما، أصل ذلك الناصح الخياط»^(١)، وقال آخرون: إنّ (النصح) هو: «بدلّ المودّة والاجتهاد في المشورة»^(٢)، بينما نقل بعض آخر أنّ (النصيحة) أو (النصح) هما: «بمعنى الإخلاص والتصفية، من نصحت له القول والعمل: أخلصته، ونصحت العسل: صقيته»^(٣).

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٣٥.

(٢) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة: ج ١، ص ٥٤٤.

(٣) التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ج ٢، ص ١٧٠١.

وبالنظر إلى ما ذكر يمكننا أن نخرج بمعنى جامع لهذه المفردة وهو إرادة الخير وطلبه للمنصوح.

أما اصطلاحاً: فقد عرّفَتْ بأنها: «كلمة جامعة يُعبّر بها عن جملة، وهي: إرادة الخير للمنصوح له، أو حيازة الحظّ للمنصوح له»^(١)، ويمكن أن تعرّف بأنها عملية يتمّ من خلالها طلب تغيير فكر الفرد أو عمل الفرد أو مجموعة الأفراد إلى جهة الخير والصالح من خلال التوجيه والموعظة والتذكير.

النقطة الثانية: النصيحة في مفهومها القرآني

وردت النصيحة في آيات قرآنية متعددة يمكننا أن نصنّفها إلى نوعين:

١- نصيحة الأنبياء ﷺ

ونجد هذا النوع من النصيحة في الآيات التي تحدّثت عن إبلاغ الأنبياء ﷺ ومحاورتهم لأقوامهم، وذلك من قبيل الآيات التي اشتملت على خطابات كلّ من: النبي نوح ﷺ، كقوله تعالى: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعَلَّمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والنبي صالح ﷺ، كقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ﴾^(٣).

والنبي شعيب ﷺ، كقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(٤).

والذي نلاحظه في الآيات الكريمة أنّ مجيء النصيحة بعد الإبلاغ يمكن أن يُستفاد منه:

(١) كاشف الغطاء، عباس، الدين النصيحة: ص ٣.

(٢) الأعراف: آية ٦٢.

(٣) الأعراف: آية ٧٩.

(٤) الأعراف: آية ٩٣.

أولاً: أن الغرض من الإبلاغ هو لأجل الناس أنفسهم ولمصلحتهم، وليس
للأنبياء أيّ عائد ومردود يُصيبهم.

ثانياً: أن هذا الإبلاغ تمّ بأفضل صورة، وتوخّى فيه الأنبياء ﷺ خير الناس،
وراعوا فيه شؤونهم وأحوالهم؛ وذلك لأنّ النصيحة يُراد منها - كما تقدّم - خير
الأفراد وصالح حالهم.

٢- نصيحة عموم الناس

بعض الآيات القرآنية وردت فيها النصيحة وصفاً لمجموعة من الأفراد، مثل
قوله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِیحُونَ﴾^(١)، فالآية تذكر أن العمل الذي قامت به أخت
موسى ﷺ هو لمصلحة آل فرعون؛ وذلك لأنّ (الأهل) الذين قالت: بأنهم سوف
يُرضعون موسى هم مخلصون يؤدّون العمل بأفضل صورة، فعملهم عمل خالص
من الغشّ والفساد، ولا شائبة فيه، يقصدون فيه صلاح الرضيع وخيره^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَا تَمِيمُونَ
بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَآخْرَجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّصِیحِينَ﴾^(٣)، إذ تُبين الآية الكريمة حال مؤمن آل
فرعون وهو ينصح موسى ﷺ بأن يترك مصر لوجود مؤامرة ضده، ومن الواضح
أنّ فعل هذا الشخص ليس إلاّ لسلامة موسى ﷺ وصلاحه^(٤).

حتّى إبليس قد وصف نفسه بالناصح؛ وذلك لكي يتشبه بالدعاة الإلهيين،
فلا يشكّ آدم وحواء بأمره، إذ يقول تعالى حكاية عنه: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَ

(١) القصص: آية ١٢.

(٢) أنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج ٢٠، ص ٨٤.

(٣) القصص: آية ٢٠.

(٤) أنظر: النهاوندي، محمد، نفحات الرحمن في تفسير القرآن: ج ٥، ص ١٦.

النَّصِيحَاتُ (١)، أي: إنه مخلص في نصيحته لهم، ولا يريد من وراء ذلك إلا نفعهم وخيرهم (٢).

هذا، وإنَّ الجامع بين المعاني المذكورة أعلاه يوافق المعنى اللغوي في أنَّ الداعي وراء النصح هو إرادة الخير والصلاح للأفراد.

النقطة الثالثة: خصائص النصيحة قرآنيًا

على الرغم من أننا عرفنا أنَّ لمفهوم النصيحة على الصعيد اللغوي والاصطلاحي والقرآني وجه اشتراك هو إرادة الخير وخلص تلك الإرادة، إلا أنَّ المفهوم القرآني للنصيحة يتميز بمجموعة من الخصائص، أهمها:

الخصوصية الأولى: إنَّ النصيحة هي نهج الدعاة الإلهيين

وهذا ما نشاهده بالدرجة الأولى في الآيات الكريمة - المتقدمة - التي ذكرت النصيحة عقيب إبلاغ الرسالة الإلهية من قِبَل النبي لقومه، كما نجد كذلك أنَّ النصيحة كانت وصفاً لأناس مخلصين، قد محضوا النصيحة، وصدقوا في أقوالهم (٣)؛ وهذا ما تذكره وتؤيده الروايات الشريفة لأهل بيت العصمة عليهم السلام:

منها: ما نسب إلى الإمام الصادق عليه السلام في وصف العلماء الربانيين إذ قال عليه السلام:
قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: «وَتَقَرَّبُوا إِلَى عَالَمٍ يَدْعُوكُمْ إِلَى التَّوَاضُّعِ مِنَ الْكِبَرِ وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَمِنَ الشُّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الرَّهْدِ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ، وَلَا يَصْلُحُ لِمَوْعِظَةِ الْخَلْقِ إِلَّا مَنْ جَاوَزَ هَذِهِ الْأَقَاتِ بِصِدْقِهِ» (٤).

ومنها: ما أخبرنا به أمير المؤمنين عليه السلام عن صفات النبي صلى الله عليه وآله الذي أوجد تغييراً

(١) الأعراف: آية ٢١.

(٢) أنظر: شحاته، عبد الله، تفسير القرآن العظيم: ج ٤، ص ١٤٩.

(٣) طبعاً، ما عدا إبليس الذي ادعى كونه صادقاً لإفناع آدم وحواء بدعواه ومقالته.

(٤) منسوب للإمام الصادق عليه السلام، مصباح الشريعة: ص ٢١.

كبيراً في حال الناس الذين كانوا يعيشون حياة الجاهلية العمياء؛ وذلك نتيجة مبالغته ﷺ بالنصيحة لهم، إذ قال الإمام علي عليه السلام: «بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ ﷺ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»^(١).

ومنها: ما نجده في زيارة المولى أبي الفضل العباس عليه السلام، التي يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام: «أَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصَدِيقِ وَالْوَفَاءِ وَالنَّصِيحَةِ لِخَلْفِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ»^(٢).

إنّ الدعاة الإلهيين ينطلقون من نقطة الحبّ الإلهي، والإشفاق على الخلق، وإرادة الخير لهم، وبالتالي فالنصيحة الصادرة عنهم في بعدها النفسي، هي تعبير عن طلب خير الأفراد والأمة وصلاحها، والمصطلح الذي ينسجم مع هذا المعنى هو ما يعبر عنه اليوم في علم النفس بالتعاطف^(٣)، والأنبياء والأوصياء الإلهيين عليهم السلام هم الذين يتحلّون بالتعاطف وحبّ الخير للناس بأعلى درجاتها^(٤).

الخصوصية الثانية: البصيرة بواقع الأمور

إنّ الآية الكريمة التي شرحت لنا حال النبي نوح عليه السلام وهو يناشد قومه والتي يقول فيها تعالى حكاية عنه عليه السلام: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَنَا لَوْ أُرِيدُ أَنْ بَعَثَ مِنْكُمْ طَائِفَتًا لِيُحَاذِرُوا الْبَغْيَ أَذِلَّةٍ وَرَجُلًا مِمَّنْ بَدَّ يَوْمَهُمْ إِذْ يَسْتُرُونَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٥).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢١٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٦.

(٣) أنظر: مرسلي، زهراء، التعاطف: ص ٥، على الموقع:

<https://www.sbu.ac.ir/Adj/farhangi/ConsultCenter/Documents>

(٤) نجد هذا التعبير صريحاً في الروايات التي هي من قبيل: «الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأمّ البرّة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية الناد». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٠٠.

مَا لَا نَعْمُونَ ﴿١﴾، يلاحظ فيها أن هذا الإبلاغ والنصيحة ختما بتعليل، وهو أن نبي الله نوحاً عليه السلام له معرفة وعلم بالأمر يختلف عما هم عليه، فهو عالم بما لا يعلمون ولا يحيطون به؛ وهذا نتيجة امتلاك الأفراد الناصحين لبصيرة ومعرفة إلهية، ومن هنا؛ نجد في الخبر أن علينا أن نقبل نصيحة الناصح الذي وُصف بالمتيقظ، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «واقبلوا نصيحة ناصح متيقظ»^(٢)، بمعنى أنه قد أصاب من العلم والمعرفة ما لم يُدرکه غيره من الناس، فهو يقظ وسط نيام، كما ورد عنه عليه السلام أيضاً: «من أكبر التوفيق الأخذ بالنصيحة»^(٣).

الخصوصية الثالثة: عمومية المخاطب

لا تختص النصيحة في الاستعمال القرآني بفرد دون آخر، فهي عامة، فالحس الذي يحمله الفرد الناصح يجعل منه لا يستثنى شخصاً في نصحه دون غيره، فهو يجب الخير والصلاح لكل الناس، فخطاب النبي صالح عليه السلام كان لعموم قومه ولم يستثنى أو يختص شخصاً دون آخر بنصحه، قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُمْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾^(٤).

وبهذا يتبين لنا السبب في حث الروايات على كون النصيحة وظيفة المسلم تجاه أخيه المسلم، ولا يوجد أي قيد أو شرط في البين، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن أخو المؤمن، يحق عليه نصيحته ومواساته، ومنع عدوه منه»^(٥)، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لِيُنْصَحِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ كَنَصِيحَتِهِ لِنَفْسِهِ»^(٦)، وعن أبي

(١) الأعراف: آية ٦٢.

(٢) التميمي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٧٤.

(٤) الأعراف: آية ٧٩.

(٥) الكوفي، الحسين بن سعيد، المؤمن: ص ٤٢.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٦، ص ٣٥٨.

عبد الله ﷺ قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْشَاهُمْ فِي أَرْضِهِ بِالنَّصِيحَةِ لِخَلْقِهِ»^(١).

الخصوصية الرابعة: رفض الواقع

النصيحة في واقعها طلب لتغيير أمرٍ في الواقع، فالفرد الناصح يلحظ انحرافاً أو خطأً ما فيبادر إلى إصلاحه من خلال تقديم النصح، ومن هذا نفهم سبب اعتراض الناصح على قومه بعد تقديمه النصيحة وعدم أخذهم بها، كما حصل في قصة النبي صالح ﷺ، قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾^(٢).

فالنصيحة إذًا - كما يعرضها البيان القرآني - شكل من أشكال الرفض والانقلاب على الواقع المعاش، وقد يكون هذا الرفض تجاه فعل من الأفعال، أو تصرف من التصرفات الفردية التي يقوم بها الأفراد، ويغفلون عن خطئها، أو لا يعرفون خطأها؛ ولهذا نجد الروايات تبين أن عدم قبول النصيحة فيه الهلاك، وعلى الإنسان أن يقبل نصيحة من يقوم بنصيحته وإرشاده، ففي الرواية عن الإمام الصادق ﷺ لهشام بن الحكم: «يَا هِشَامُ، مَجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّينِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمُشَاوَرَةُ الْعَاقِلِ النَّاصِحِ يُمْنٌ وَبَرَكََةٌ وَرُشْدٌ وَتَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ الْعَاقِلُ النَّاصِحُ، فَإِيَّاكَ وَالْخِلَافَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَطَبَ»^(٣).

الخصوصية الخامسة: الهداية الإلهية

إنَّ الغرض الذي يترتب على النصيحة قرآنيًا هو الهداية إلى الله تعالى، وإنَّ عدم قبولها وعدم الالتزام بها هو الغواية والبُعد عنه ﷻ، ففي قصة النبي نوح ﷺ -

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٥٣١.

(٢) الأعراف: آية ٧٩.

(٣) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٣٩٨.

مثلاً - نجد أنه يُخبرهم بعدم جدوى نصحه لهم؛ لأنهم لا يهتدون، وقد جازاهم الله بكفرهم، وجعلهم من الغاوين^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

فنصيحة العاقل هي باب من أبواب التوفيق ونيل السعادة لمن أخذ بها وقبلها من أهلها، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ أَكْبَرَ التَّوْفِيقِ الْأَخْذُ بِالنَّصِيحَةِ»^(٣)، وورد عنه عليه السلام أيضاً: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِنْ نَصَحَكُمُ، وَتَلَقَّوْهَا بِالطَّاعَةِ مِنْ حَمَلَهَا إِلَيْكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَمْدَحْ مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا أَوْعَاها لِلْحِكْمَةِ، وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أَسْرَعَهُمْ إِلَى الْحَقِّ إِجَابَةً»^(٤).

النقطة الرابعة: أساليب النصيحة في القرآن الكريم والنهج الحسيني

إن النصيحة هي طريقة تعامل ثنائية الطرف، ففيها طرفان ناصح ومنصوح، ولأن الظروف التي يعيشها الأفراد والحالات النفسية التي يمرّون بها مختلفة، اقتضى ذلك اختلاف طرق النصيحة وأساليبها وتنوعها؛ ومن هذا المنطلق نجد أن النصيحة في القرآن الكريم قد اتخذت أشكالاً وأساليب متنوعة؛ وذلك لضمان التأثير والنفوذ في روح المخاطب وإقناعه، وهذا الأمر نلاحظه أيضاً في المواعظ والنصائح التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه للناس بغيّة هدايتهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم.

وفي هذا الجانب من البحث نوّد أن نوقف القارئ العزيز على الطرق والأساليب المختلفة للنصيحة في القرآن الكريم والفكر الحسيني، ومن أهمّها:

(١) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٢١٧.

(٢) هود: آية ٣٤.

(٣) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٧٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٥٥٢.

١- بيان طريق الصواب

هذا هو الأسلوب الأوّل من أساليب النصيحة وهو طريق مباشر، يتمثّل ببيان طريق الصواب الذي يجب على الناس اتّباعه، فالناصح يبيّن للأفراد ما عليهم اتّباعه والأخذ به، وفي هذا الصدد نجد في الآيات الكريمة أنّ النبي شعيباً عليه السلام يبيّن للناس ما عليهم فعله والطريق الذي يجب عليهم سلوكه، قال تعالى: ﴿وإلى مدينت أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ قد جاءكم بينة من ربكم فاقفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا أنفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين*... فنولّى عنهم وقال ياقوم لقد أبغضتكم رسالت ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾^(١)، كما نجد الأسلوب نفسه في قصّة النبي هود عليه السلام، وذلك من خلال نصحه لقومه، ووصفه لهم طريق النجاة، فقال تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿ياقوم استغفروا ربكم ثمّ توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾^(٢).

وأما بالنسبة للنصيحة في الفكر الحسيني، فإننا نجد هذا الأسلوب بصورة جلية في خطاب الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه يبادر عليه السلام القوم بتقديمه النصح لهم، وإنّ نصيحته إليّاهم هي حقّ وواجب إلهي، فبعد أن صفّ ابن سعد جيشه للحرب، دعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بصوت عالٍ يسمعه جُلّهم: «أيّها الناس، اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتّى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد...»^(٣). فنصيحته عليه السلام تتمحور حول بيان سبيل نجاة أولئك القوم، وطريق فلاحهم وسعادتهم.

(١) الأعراف: آية ٨٥-٩٣.

(٢) هود: آية ٥٢.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٢.

٢. الإنذار بالمخاطر المترتبة

أسلوب آخر في النصيحة عن طريق بيان الآثار السلبية والمخاطر المترتبة على عدم الأخذ بها والعمل وفقها، وهو أسلوب له أثر واضح في إقناع المخاطب والتأثير فيه، والحوول دون ما يريد الإقدام عليه، أو تشجيعه على عمل لا يريد الإحجام عنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا نَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّ فِي آخَافِ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلْيَمِ﴾^(١)، كما نجد أن هذا الأسلوب قد اتبعه أيضاً مؤمن آل فرعون، فقد كان ينصح قومه بإنذارهم وتحذيرهم من عذاب يوم القيامة وأهواله، قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمِ إِنَّ آخَافِ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ * يَوْمَ تُولُونَ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾^(٢).

وقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام الأسلوب نفسه في موعظة القوم ونصيحتهم، فقد قام بتعريفهم بنتائج وآثار ما يقدمون عليه من أفعال قائلاً: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمرور من غرته، والشقي من فتنه، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتحيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نعمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم»^(٣). فمن النصّ المتقدّم نجد أنّه عليه السلام يُعرّف القوم بالسبب الذي يدفعهم لقتاله، وهو انكبابهم على حطام الدنيا، وانخداعهم بها، فيعرفهم واقعها، ويبين لهم حقيقتها؛ حتّى يرتدعوا ويكفّوا عنها، فإنّ تكالبهم عليها سبب لحلول نقمة الله تعالى عليهم وبعده رحمته عنهم، وهذا كفيلاً بتحريك القلوب واستمالتها لطريق الحقّ، وحثّها على قبول القول الحقّ والأخذ به.

(١) هود: آية ٢٥-٢٦.

(٢) غافر: آية ٣٢-٣٣.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٢.

٣- بثُّ روح الأمل في النفوس

وهو أسلوب مهمّ من أساليب النصيحة، يتمّ فيه التذكير بالنعم والإيجابيات والمنافع الحاصلة من خلال عمل شيء ما أو ترك عمل معيّن، وهذا الأسلوب له أثر نفسي مهم في التشجيع والحثّ على أمر من الأمور. وقد تمّ استخدامه في القرآن الكريم، فنرى - مثلاً - في قصّة النبي موسى عليه السلام مع بني إسرائيل أنّه يُذكّرهم بنعم الله تعالى عليهم، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ تُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، كما نجد هذا اللون من النصح في موعظة الجنّ الذين استمعوا القرآن الكريم لقومهم، فيقول تعالى حكاية عن قولهم في المقام: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَعَايَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٢).

إنّ الإنسان عندما يرتكب الأخطاء يشعر بأنّه بعيد عن الله تعالى، وليس بإمكانه تدارك ما فاتته، فيشعر باليأس والإحباط؛ لذلك كان دأب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هو التذكير بأنّ الأفراد بإمكانهم الرجوع إلى ربّهم واستغفاره واللجوء إليه، وبهذا الأسلوب نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام دعا القوم في المعسكر المقابل له يوم عاشوراء إلى طريق الحقّ، والرجوع إلى الله عزّ وجلّ في قبول الحقّ واتباعه، قائلاً: «أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتّى أعذر إليكم، فإنّ أعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد»^(٣).

٤- حثّ الأفراد على الإقرار

من الأساليب المهمّة أيضاً في تأكيد النصح والنفوذ به داخل الروح الإنسانية

(١) المائدة: آية ٢٠.

(٢) الأحقاف: آية ٣١.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٢.

جعل الفرد يقرّ ويعترف بمجموعة من الحقائق التي يؤمن بها، ويربط ذلك بما يمرّ به من أحداث سلبية، أو ما يفعله من أفعال غير صحيحة، فإنّ وصول الأفراد إلى مرحلة الإقرار يجعل من قبولهم النصح أمراً سهلاً للغاية وأقلّ مؤونة، فيعترف الفرد بخطئه وقبح ما كان يفعله، وقد لا يعترف الأفراد بذلك ظاهراً، لكنهم يُقرّون في باطنهم، فيكونون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجحدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

وهذا الأسلوب نجده يتكرّر بكثرة في القرآن الكريم، خذ على سبيل المثال الحوار الرائع الذي تنقله الآيات الشريفة بين النبي إبراهيم عليه السلام وقومه، فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلَ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، ثمّ إنه عليه السلام بعد قيامه بتكسير جميع أصنامهم ما عدا كبيرهم، وعند إلقاء القبض عليه، جرى بينه وبينهم الحوار الآتي، حوار يسحب منهم الاعتراف بعدم نطق الإلهة التي كانوا يعبدونها، وعدم قدرتها على دفع الضرر عن أنفسها فضلاً عن غيرها، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

وفي سياق الحديث عن هذا الأسلوب نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام يقول مقررّاً مخاطبيه يوم عاشوراء بحقائق يدعون الالتزام بها، أو داعياً لهم إلى التفكير فيما

(١) النمل: آية ١٤.

(٢) الأنبياء: آية ٥١-٥٤.

(٣) الأنبياء: آية ٦٢-٦٧.

يعتقدونه وما يفعلونه؛ فيكون ذلك سبباً لتغيير سلوكهم واعتقادهم، إذ يقول ما نصّه: «أقرتم بالطاعة، وأمتتم بالرسول ﷺ، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعتوته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنا ساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين... ثم قال: أمّا بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي، وانتهاك حرمتي؟! أأست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء من عنده؟! أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟! أو ليس جعفر الطيّار عمّي؟! أو لم يبلغكم ما قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟!»^(١).

فهذا تقرير واضح من الإمام في جعل القوم يعترفون ويُقرّون في قرارات أنفسهم بأنّ الذي يفعلونه لا يتناسب مع راية الإيمان التي يرفعونها، ويقاثلون تحتها، وأنّ الدين الواقعي والإيمان الحقّ عنده ﷺ، ولا يكون إلّا من خلاله وآله ﷺ.

٥. التعريف بالواقع المعاش

يُعدّ هذا الأسلوب من الأساليب الضرورية التي يُتمكّن بواسطتها من تبين ما عليه الأفراد من انحراف وضلال، فمن دون بيان الواقع الذي يعيشه الناس يصعب عليهم قبول النصيح، أو تغيير ما هم عليه، فالإنسان الذي يرى أن واقعه جيّد، وهو راضٍ عنه، فإنّه لا يسعى إلى تغييره؛ لذلك كانت أولى مهامّ الأنبياء ﷺ هي بيان خطأ الواقع الذي تعيشه أقوامهم وضحاله، فنرى - مثلاً - النبي إبراهيم ﷺ يواجههم بصراحة فائقة، ويقول لهم كما يحكي ذلك عنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢)، وكذلك النبي لوط ﷺ الذي يقول تعالى حكاية عنه:

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٠٢.

(٢) الصافات: آية ٩٥-٩٦.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(١). فيعمد هذا الأسلوب إلى بيان الباطل الذي يعيشه الناس، والردّ على الشبهات والطعون الموجهة ضدّ الصواب؛ وذلك لإقامة الحجّة على المخالف، ولإظهار الباطل على حقيقته حتّى يحذره الآخرون، ولتستبين طريق الضلالة^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣).

وانطلاقاً من ضرورة هذا الأسلوب عند تقديم النصيحة للآخرين نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام بلسان صريح يصف لمعسكر عمر بن سعد ضلالهم وانحرافهم، فيقول عليه السلام: «فَسُحِقًا لَكُمْ يَا عبيد الأُمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن! ويحكم أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون؟! أجل والله غدرٌ فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزّرت فروعكم؛ فكنتم أخبث ثمرة، شجى لناظر، وأكلة للغاصب»^(٤).

٦- أسلوب النقاش والمحاورة

إنّ هذا الأسلوب يُعدّ من أهمّ أساليب الحوار الناجح، فالنقاش وسماع رأي الطرف الآخر يُعبّر عن قدرة الفرد على التعامل مع الآخرين، وعدم إقصائهم، أو إجبارهم على أمر لا يريدونه، وإنّما يتمّ ذلك من خلال ترغيب الطرف الآخر في قبول الحقّ واتباعه، وزيادة قناعته بذلك، ورفع الوهم وسوء الظنون عنه.

ومن هنا؛ نجد الأولياء الإلهيين قد اعتمدوا هذه الطريقة في التعامل مع أقوامهم، فالنبي إبراهيم عليه السلام في حوارهِ مع عمّه آزر يوضّح لنا أهمية هذا الأسلوب في التعامل مع الآخرين، فينقل لنا القرآن الكريم أحداث تلك المحاورّة، وذلك كما جاء في قوله

(١) الأعراف: آية ٨١.

(٢) أنظر: الزمزمي، يحيى بن محمد، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص ٤٥.

(٣) الأنعام: آية ٥٥.

(٤) البيهقي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص ٣١٠-٣١١.

تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ * لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمْنَاكَ وَهَجَرْنَا مَلِيًّا﴾ (١).

وقد استخدم الإمام الحسين عليه السلام هذه الطريقة مع عمر بن سعد لحثه على قبول الحق واتباعه، وإقامة الحجّة عليه، فابن سعد كان يتحجّج بالبيت والعيال، ف«أرسل الإمام الحسين عليه السلام عمرو بن قرظة الأنصاري إلى عمر بن سعد يطلب الاجتماع معه ليلاً بين المعسكرين، فخرج كلّ منهما في عشرين فارساً، وأمر الحسين عليه السلام أن يتأخّر إلاّ العباس وابنه عليّاً الأكبر، وفعل ابن سعد كذلك، وبقِيَ معه ابنه حفص وغلّامه. فقال الحسين عليه السلام: يا بن سعد، أتقاتلني؟! أما تتقي الله الذي إليه معادك، فأنا ابن من علمت! ألا تكون معي وتدع هؤلاء؛ فإنه أقرب إلى الله تعالى، قال عمر بن سعد: أخاف أن تهدم داري، قال الحسين عليه السلام: أنا أبنيتها لك، قال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، قال عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي من الحجاز...» (٢).

النقطة الخامسة: مواضع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

لقد نصح أصحاب الإمام الحسين عليه السلام القوم، واحتجّوا عليهم، وذلك سيراً من قبلهم على نهج مولا هم الحسين عليه السلام في توجيه الموعدة والنصح والاحتجاج على القوم؛ ولهذا نجد أنّ الإمام عليه السلام يُرسل شخصاً لبرير بن خضير - شيخ القراء في الكوفة - بعدما حاجج القوم، وهم عمي لا يعون شيئاً من الحق، يقول له: «رَحِمَكَ اللهُ يَا بُرَيْرُ، إِنَّ أبا عَبْدِ اللهِ يَقُولُ لَكَ: ارجع إلى مَوْضِعِكَ ولا تُحَاطَبِ القَوْمَ، فَلَعَمْرِي لَئِن كَانَ مُؤْمِنٌ

(١) مريم: آية ٤١-٤٦.

(٢) البيهقي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص ١٧٥.

أَلِ فِرْعَوْنَ نَصَحَ لِقَوْمِهِ وَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ، فَلَقَدْ نَصَحَتْ وَأَبْلَغَتْ فِي النُّصْحِ»^(١).

هكذا كان ديدنهم، وهم الموصوفون على لسان الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي»^(٢)، وسأخذ صوراً من مواقف الأصحاب ونصحهم للطرف المقابل.

١- الحرّ الرياحي

لم يكتفِ الحرّ بالالتحاق بركب الحسين عليه السلام بنفسه وحسب، وإنما بذل جهداً كبيراً في سبيل إنقاذ المغرّر بهم في معسكر يزيد؛ بغيّة إنقاذهم من الضلالة التي هم فيها، وقد تجلّى هذا السعي الحثيث من خلال ما جاء في خطبته التي نصح فيها أولئك القوم، فقد جاء فيها: «يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهبل [الثكل] والعبر... أدعوتم هذا العبد الصالح، حتّى إذا جاءكم أسلمتموه؟! وزعتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطّتم به من كلّ جانب لتمنّوه التوجّه في بلاد الله العريضة؛ حتّى يأمن ويأمن أهل بيته، فصار كالأسير في أيديكم، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، وحلائمته ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري، فها هم قد صرعهم العطش، بسّسا خلفتم محمداً في دينه، لا سقاكم الله يوم الظمّ إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه من يومكم هذا، في ساعتكم هذه»^(٣). ومن خلال ملاحظة هذا الكلام نجد بأنّ الشهيد الحرّ الرياحي قد استخدم أسلوب المواجهة النفسية المباشرة من خلال ذكره للأفعال التي يفعلها الناس، وتذكيرهم ومواجهتهم بها؛ حتّى يرتدعوا عن المضي في غيئهم، وينزجروا عن قبيح أفعالهم، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يأتِ إلاّ استجابة لطلبهم، وهم الآن يقاتلونه وأهل بيته وصحبه عليهم السلام.

(١) الريشهري، محمد، الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه عليهم السلام: ص ٦٣٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢٠.

(٣) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٣٥.

٢- زهير بن القين

لقد استخدم الشهيد زهير أسلوب الرفق في الدعوة والتذكير بأنهم والقوم من ملّة واحدة ودين واحد، وهذا النوع من التذكير بالمشتركات يُعدّ من الأمور التي لها تأثير في استمالة القلوب، وتغيير المواقف؛ كما أنّه كان يذكر لهم عاقبة أمرهم، وعِظَم البلاء الذي هم فيه، وطريق النجاة الذي عليهم سلوكه، ويذكرهم كذلك بالسلف الصالح، فيقول لهم: «إنّ حقاً على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا نحن أُمَّة وأنتم أُمَّة. إنّ الله قد ابتلانا وإياكم بذريّة محمد ﷺ؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد... يا عباد الله، إنّ ولد فاطمة أحقّ بالوَدِّ والنصر من ابن سميّة، فإن كنتم لم تنصروهم، فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، فلعمري إنّ يزيد يرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ﷺ»^(١).

٣- حبيب بن مظاهر

يُبادر الشهيد حبيب بن مظاهر قومه ببيان طريق نجاتهم، وأنّه عبارة عن الالتحاق بقافلة النور الإلهي، والكون في هذا الركب المبارك، وبيان الخصائص التي تتحلّى بها هذه العصابة المؤمنة، وذكر المنافع، وما سيُصيبهم من الفلاح والنجاح فيما لو التحقوا بالإمام الحسين ﷺ، وفي هذا الصدد قال المحدث عبد الله البحراني: «وأقبل حبيب بن مظاهر إلى الحسين ﷺ، فقال: يا بن رسول الله، ههنا حيّ من بني أسد بالقرب منّا، أتأذن لي في المصير إليهم فأدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك. قال: قد أذنت لك، فخرج حبيب إليهم في جوف الليل متنكراً، حتّى أتى إليهم، فعرّفوه أنّه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك؟ فقال: إنّني قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيكم، فإنّه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٣٣.

ألف رجل، لن يخذلوه، ولن يسلموه أبداً، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتكم بهذه النصيحة، فأطيعوني اليوم في نصرته تناولوا بها شرف الدنيا والآخرة، فإنّي أقسم بالله لا يُقتل أحد منكم في سبيل الله مع ابن بنت رسول الله صابراً محتسباً إلاّ كان رفيقاً لمحمد ﷺ في عليين. قال: فوثب إليه رجل من بني أسد يُقال له: عبد الله بن بشر، فقال: أنا أوّل من يجيب إلى هذه الدعوة... ثمّ تبادر رجال الحي حتّى التأم منهم تسعون رجلاً، فأقبلوا يريدون الحسين عليه السلام...»^(١).

نتيجة البحث

إنّ النصيحة وظيفة إلهية تعبّر عن خلوص الشيء وصفائه وإرادة الخير، وقد تميّزت في ضوء الآيات القرآنية بخصائص عدّة، جعلت من مفهومها القرآني هذا واسعاً ومتميّزاً عمّا هو عليه بحسب الاستعمال العرفي لها، فهي أداة للمبليّغين والدعاة الإلهيين، وهي نتيجة البصيرة والمعرفة بواقع الأمور، كما أنّها لا تختصّ بفرد دون آخر، فهي عامّة لكلّ الناس، ترفض الواقع، وتريد تغييره، وتهدف إلى الهداية الإلهية. أمّا فيما يرتبط بأساليب النصيحة، فإنّه من خلال جولة في الآيات القرآنية وكلمات الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، نجد أنّ هذه الوظيفة يمكن أدائها بصور متنوّعة، أهمّها: بيان طريق الصواب، بيان المخاطر المترتبة، حثّ الأفراد على الإقرار، التعريف بالواقع المعاش، أسلوب النقاش والمحاورة.

هذا، وقد مارس أصحاب الامام الحسين عليه السلام أسوة بقائدهم التبليغ والنصيحة للقوم الذين لم ينضمّوا معهم إلى معسكر الحقّ، وقدموا لهم النصح والإرشاد بأبهى صورهما.

(١) البحراني، عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والأحوال: ص ٢٣٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الأخلاق الحسينية، جعفر البيّاتي، أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢ - أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٣ - الأمالي، محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (مؤسسة البعثة)، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٤ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠ هـ)، تحقيق: جمع من المحققين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ٥ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر، م ٢٠٠٨.
- ٦ - تحف العقول، حسن بن علي المعروف بابن شعبة الحرّاني (توفي في القرن الرابع الهجري)، تحقيق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرّسين، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ٧ - تفسير القرآن العظيم، عبد الله شحاته (ت ١٤٢٣ هـ)، دار غريب، القاهرة، ١٤٢١ هـ.
- ٨ - جمهرة اللغة، محمد بن حسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٨ م.
- ٩ - الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد الزمزمي، رمادي للنشر، الدمام - السعودية، ١٤١٣ هـ.
- ١٠ - الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه عليهم السلام، محمد الريشهري، دار الحديث، قم - إيران، ١٤١٦ هـ.
- ١١ - عوالم العلوم والمعارف والأحوال، عبد الله البحراني (ت ١١٣٠ هـ)، مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران، ١٤٠٧ هـ.

١٢ - عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (توفي في القرن السادس الهجري)، تحقيق وتصحيح: حسين الحسنيني البيرجندي، دار الحديث، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣ - غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي (ت ٥٥٠هـ)، تحقيق وتصحيح: مهدي الرجائي، دار الكتاب الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١٤ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح ونشر: دار الحديث، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٥ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٧هـ)، دار المرتضوية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٦٥هـ.

١٦ - لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام، محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، دار الكتاب، قم - إيران، ١٤٠١هـ.

١٧ - مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، دار الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ.

١٨ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

١٩ - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

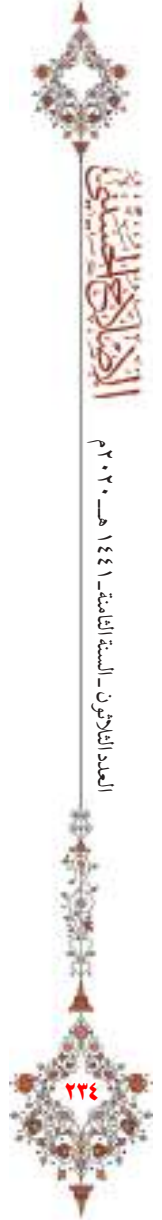
٢٠ - المؤمن، حسين بن سعيد الكوفي الأهوازي (توفي بعد سنة ٢٥٤هـ)، مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام، قم - إيران، ١٤٠٤هـ.

٢١ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، دار الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ.

٢٢ - نفحات الرحمن في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحيم النهاوندي (ت ١٣٧١هـ)، مؤسّسة البعثة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

المواقع الإلكترونية

- 23- <https://www.sbu.ac.ir/Adj/farhangi/ConsultCenter/Documents>
- 24- <http://abbaskashifalgetaa.com/>
- 25- <http://elahehrahnama.ir/>



كبريات حسنينتها

◆ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام... الدوافع والمسوغات

◆ سمات قادة الثورات الحسينية في العهد الأموي

◆ إطلالة على آثار الثورة الحسينية

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

الدوافع والمسوّغات

الشيخ كاظم القره غولي*

المقدمة

يمثّل كلّ مقطع زمني - ولو كان غاية في القصر - ظرفاً لكثير من الأحداث في هذه الدنيا المترامية، فالدنيا دار التحوّل والتغيّر المستمرين، فهي محلّ الحوادث، والإنسان جزء من هذا العالم الذي سمته التغيّر والتبدّل. وعادةً ما تكون الحوادث أسيرة ظرفها، تغرق بمجرد انقطاع زمانها في بحر من النسيان لا قرار له، لكن هذا القانون ليس شاملاً؛ إذ تُبدي بعض الحوادث إباءً عن أن تتحدّد بإطار زمني أو ظرف مكاني، فتعوم فوق بحر النسيان، لا تتأثر بمساحتها ولا بعمق قراره، ومن أبرز تلك الحوادث التي شكّلت منعطفاً في تاريخ النوع الإنساني: هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض وبداية مسيرة نوع الإنسان عليها، وطوفان نوح عليه السلام فقد جرى حكم التكوين بقطع دابر الكافرين إغراقاً بطريقة لم ترّ الدنيا مثلها، وبعض محطات حياة إبراهيم الخليل، ومعجزات موسى، ومسيرة عيسى عليه السلام، وبعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسيرته.

ومن تلك الحوادث ثورة الحسين عليه السلام، فقد ضربت بأطناب ذكرها في كلّ بقعة من الأرض، وقد سمعت الدنيا بأسرها صوتها الذي لم تستطع قرون من الزمان على تراكمها أن تقلّل من هديره أو تخفف من دويه، ليشكّل في بقائه وتجلياته شيئاً خارجاً عن المألوف بكلّ المقاييس.

* كاتب وباحث إسلامي، من العراق.

إنّ الباحث لو أراد الوقوف على أهمّ الحوادث في التاريخ البشري لا يُخطئ واقعة كربلاء، فقد كانت واقعةً متميِّزةً بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنى، في عظمة القيادة، ونوع الأتباع، وسموّ الهدف، وارتقاء المبدأ، وسقف التضحية، ووضوح الرؤية، وضخامة الآثار، ومثالية التخطيط، واستيعابها للتفاصيل.

وعليه؛ فلا بدّ أن لا يقتصر النظر إلى ثورة الحسين عليه السلام على ما يقتضيه مجرّد الاطلاع على التاريخ، فأهمية دراسة التاريخ تنشأ من تأثير فهمه على صياغة المستقبل وانعكاسه على الحاضر، فصورة المستقبل مرتبطة بغرس الحاضر، ولكثرة العبرة في هذه الواقعة استحققت الاهتمام الكبير مع أنّها لم تستوعب من الزمن إلاّ سويّعات تمثّلت في زمان حدوثها الممتد على جزء من نهار واحد لا يشكّل شيئاً لو قيس بعمود الزمان، ولكن تناولتها أقلام مئات - إن لم يكن آلاف - الباحثين، ولا نبالغ إن قلنا: إنّ بعض ألفيات أمم لم تحظّ بالاهتمام كما حظيت به ثورة الحسين عليه السلام على قصر مدّة حدوثها. لقد جسّدت واقعة كربلاء التاريخ واختزلت أكثر حكاياته الكبرى بشكل عجيب، فكانت خير حاكٍ بالفعل والتجسيد لا بالقول، عن صراع بين صنفين من البشر: أحدهما ملكته الهداية إن لم يملكها، وقاده العقل، ووجهته الحكمة إن لم يوجهها، فكان له في تلك الواقعة الانطلاقة والسمو والارتقاء إلى ذرى المجد والكمال؛ ليخطّ للطالبيين علامات الطريق، ويشعل للمتمردين نبراساً في ظلمة الارتياب ووحشته.

والآخر نظر إلى الدنيا كغاية، وكانت لآماله من وجوده النهائية، وسعى ليظفر بتنتفة منها فصرعته، وأراد أن يسكن إليها فخذلته، لم توفر له دوام البقاء، ولم تدفع عنه فنون البلاء، جمع في صنفه من طلاب الدنيا ومن سفهاء الناس وحمقى الأمّة ما صار أداةً له في الحروب وحطباءً لها، لم يحمل مبدأ سامياً ليراعيه، ولا خلقاً ربيعاً ليداريه، إنّما عمل بطريقة أسير لدنيا بزخارفها، وعاشق لها بهارجها.

والتقى هذا بذلك، فكان ما كان منهما، وكلّ إناء بالذي فيه ينضح، فالأول سجّل

من المواقف وأصدر من الأفعال ما كان مثلاً يُحتذى به ومناًراً يُهتدى به، والآخر لم يتوفّر على مبدأ، ولم يحتكم إلى عقل، ولم تيسّر له حكمة، فقاده هواه إلى بواره، ثم صار سبّة على ألسنة اللاعنين، فقد عبد الدنيا وكفر بكلّ ما سواها، فلم تجد مكارم الأخلاق في نفسه موضعاً، ولم يلقَ نداء العقل في أذنه مسمعاً، ولم تحصل الحكمة فيه مرتعاً، ولم تنل دعوة الحقّ معه مطعماً، عبد الدنيا فأحسن عبادتها، وأعرض عن الآخرة فأجاد منافرتها، وتلك حكاية التاريخ تنافر بين المتناقضين، وحرب لا تكاد تضع أوزارها حتّى تتجدّد فصولها، فالأسباب ما دامت باقية فإنّ مسبباتها متوالية، فالأيدي وإن تركت سيوفها فإنّ النفوس لا تتخلّى عن مطامعها، والحقّ والباطل متنافران تنافر الليل والنهار، متباعدان تباعد الشتاء والصيف، والدنيا بين جولة لهذا ودولة لذلك. هذا ما حوته حكايات الماضي وتنبئ به حوادث المستقبل. ولا تقف المنازلات الكبرى إلاّ بثورة الحقّ التي سيقودها إمام ادّخرته الإرادة الإلهية للجولة الأخيرة من هذه الصراعات؛ ليعلي راية الحقّ ويكسر راية الباطل إلى غير رجعة.

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت علامةً مميّزةً ومفردة شاخصة في جولات الصراع، فقد قاد جبهة الحقّ إمام معصوم تبعته ثلّة سبقت لهم من الله الحسنى، ليسطّروا ملحمةً لا ينقطع عطاؤها عمّن أراد الاعتبار، وقد كسرت عظمتها قيود الزمان والمكان.

وعلى هذا الأساس حظيت ثورته عليه السلام باهتمام من قبل أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، إلى مستوى شكّلت علامةً في هوية الانتماء المذهبي وعنواناً بارزاً فيها؛ إذ نرى اهتماماً بالغاً بكلّ ما يرتبط بالقضية الحسينية، ونجد ذلك في الزيارة المليونية التي لا نظير لها على مستوى العالم والمجالس والشعائر، تحركها المحبّة تجسيدا لقول الصادق عليه السلام: «وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا»^(١)، وتطغى عليها أجواء العاطفة،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٢.

وترخص فيها الدموع، فهو **إِبْرَاءٌ** عِبْرَةٌ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وقد تأسَّس ذلك بسيرة الأئمة **عليهم السلام** وتوصيات صدرت منهم لشيعتهم^(١).

ونظراً لتأثير ذلك في نفوس الأمة؛ فقد حاولت يد العبث بالتراث أن تُشكِّك في كلِّ شيء في مدرسة عُرف عنها أنَّها تقارع الظلم وتحارب سلاطين الجور، ومن ضمن ما ذهبت إليه طوائف من القوم تحريم البكاء على الميت وعدم شرعيته، مستندين في ذلك إلى روايات نُسبت إلى النبي **صلى الله عليه وآله**، بينما وردت عشرات الروايات عن أهل البيت **صلى الله عليه وآله** على خلافها بالحثِّ على البكاء، وأطبقت سيرة المشرعة عليها، وقبلها جرت سيرة العقلاء دون ردع من الشارع فضلاً عن عمل المعصومين **عليهم السلام** بما لا يدع للباحث المنصف محلاً للتأمُّل في استحباب البكاء، فضلاً عن أصل شرعيته وجوازه.

وقد بحث في إثبات الجواز أولاً، ثمَّ في وجوه الاستحباب، ثمَّ في روايات النهي عن البكاء وردّها، ثمَّ البحث في وجوه تقديم أدلَّة الجواز على النهي على فرض المعارضة. ولم أستعرض جميع الأدلَّة؛ لأنَّها خارجة عن الغرض هنا، وما نقلته فيه الكفاية، بل فوق حدِّ الاكتفاء. كما تعرَّضت لما يمكن أن يكون دليلاً على قول القوم من رواياتهم ورواياتنا، وربما أغناني البحث الدلالي عن السندي؛ إذ بعد سقوط الرواية عن الاستدلال لا حاجة إلى تحقيق السند، لكنَّ ذلك كان في بعض الروايات دون بعضٍ آخر.

المبحث الأول: في جواز البكاء

إن مقتضى الأصل والقاعدة في المقام هو الجواز، والقاعدة هنا هي أصالة الإباحة، وهذه هي المرحلة الأولى في الاستدلال، وتتمثَّل المرحلة الثانية في الأدلَّة الخاصَّة، وهي على أصناف:

(١) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢١٥.

الصفحة الأولى: فعل المعصومين ﷺ

إنَّ العصمة تقتضي مطابقة كلِّ فعل من أفعال المعصومين ﷺ - ولو لمرة واحدة - لأحكام الشريعة، فيكون الإتيان بفعل من قبلهم دالاً على جوازه بالمعنى الأعم - المقابل للحرمة - إذ المعصوم لا يهّم بذنب ولا يأتيه وفق حديث الرضا ﷺ مع المأمون العباسي^(١). والروايات في ذلك متواترة وهي على طوائف:

الطائفة الأولى: ما دلَّ على بكاء النبي ﷺ والعترة الطاهرة ﷺ بشكل عام

١- بكاء النبي ﷺ: فقد حفل الموروث الديني بمفردات متعدّدة من بكائه ﷺ على موتى، منهم: فاطمة بنت أسد^(٢)، وخديجة بنت خويلد^(٣)، وجعفر بن أبي طالب^(٤)، وحزمة بن عبد المطلب^(٥)، وابنه إبراهيم^(٦).

وما جاء في دعائم الإسلام من نهي النبي ﷺ عن البكاء على ابنه إبراهيم بعد أن بكى عليه، فلا دلالة فيه على حرمة البكاء، ونص الرواية هو: «عن علي (صلوات الله عليه) أنّه قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أمرني رسول الله، فغسلته، وكفّنه رسول الله ﷺ وحنّظه، وقال لي: احملة يا علي. فحملته حتّى جئت به إلى البقيع، فصلّى عليه، ثمّ أدناه من القبر، ثمّ قال لي: يا علي، انزل. فنزلت ودلاه عليّ رسول الله ﷺ، فلمّا رآه منصباً بكى ﷺ، فبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ حتّى ارتفعت أصوات الرجال على أصوات النساء، فنهاهم رسول الله ﷺ أشدّ النهي، وقال: تدمع العين،

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٧٩.

(٢) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٨٩.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٣١.

(٤) أنظر: الواقدي، محمد بن عمر، المغازي: ج ٢، ص ٧٦٦. ودلالة الرواية واضحة على أن لا مشكلة في البكاء على الميت، مع زيادة في الدلالة، وهي أنّ مثل جعفر ليستحقّ البكاء عليه.

(٥) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٩٨.

(٦) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٢٦٣.

ويحزن القلب، ولا نقول ما يُسخط الرب، وإنّا بك لمصابون، وإنّا عليك لمحزونون يا إبراهيم^(١).

فإن الرواية قد نصّت على أنّه صلى الله عليه وآله بكى، وهل تراه صلى الله عليه وآله يُسوِّغ لنفسه البكاء وينهى غيره عنه وهو الأسوة الحسنة للناس؟! ثمّ حين قال: «تدمع العين ويحزن القلب» هل عنى غير البكاء؟! وقد يكون في قوله صلى الله عليه وآله: «ولا نقول ما يُسخط الربّ» إشارة إلى أنّ بعضاً قد صدر منه ذلك فاستوجب أشدّ النهي، أو أنّ الذي صدر عنهم هو نوح أو عويل أو هجر، وقد ورد في جملة من الروايات النهي عن ذلك، فقد ورد عن علي عليه السلام أنّه قال: «رخص رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء عند المصيبة، وقال: النفس مصابة، والعين دامعة، والعهد قريب، فقولوا ما أرضى الله، ولا تقولوا المهجر»^(٢).

٢- بكاء أمير المؤمنين عليه السلام: لقد سجّلت لنا الروايات بعض مفردات بكاء أمير المؤمنين عليه السلام على بعض أعزّته حين خطفهم الموت، ونقتصر هنا على ثلاثة أسماء هي: فاطمة الزهراء عليها السلام^(٣)، وعمّار بن ياسر^(٤)، ومالك الأشتر^(٥). نعم، إنّ الرواية في مالك الأشتر لم تدلّ صريحاً على بكائه عليه السلام عليه، لكنّه قال: «فعلى مثلك فلتبك البواكي»، وهي أوضح دلالة على الجواز من بكائه عليه السلام؛ لانتفاء احتمال اختصاص الحكم به. وفي رواية أخرى أنّه عليه السلام قد «بكى عليه أيّاماً وحزن عليه حزناً شديداً، وقال: لا أرى مثله بعده أبداً»^(٦).

٣- بكاء السيّدة الزهراء عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد بكت السيّدة الزهراء عليها السلام على وفاة أبيها، وأكثرت من ذلك حتّى عدّت من البكّائين الخمسة في تاريخ النوع

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٢٢٥.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢٧.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٣٣، ص ١٩.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٥٤.

(٦) المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص ٨١.

البشري، ففي الرواية عن الصادق عليه السلام قال: «البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام... أما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك. فكانت تخرج إلى المقابر - مقابر الشهداء - فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف...»^(١).

وقد بكت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حيّ حين أخبرها بأنه سيموت، وضحكت بعد ذلك حين أخبرها أنها أول الناس لحوقاً به^(٢). فأيهما أولى بالمنع؟ البكاء على موت من سيموت أو البكاء على من مات بعد موته؟!

٤- بكاء الحسين عليه السلام على جدّته خديجة عليها السلام: فقد نقل ابن شهر آشوب عن عيون المجالس: «أنه سائر أنس بن مالك، فأتى قبر خديجة فبكى...»^(٣).

الطائفة الثانية: بكاء الأنبياء والأئمة عليهم السلام على الحسين عليه السلام

ما تقدّم إلى الآن كان بعض مفردات بكاء المعصومين عليهم السلام على موتى تُكلّموا بموتهم، وفيه دلالة كافية على جواز البكاء على الميت، وفعل المعصوم - بحكم عصمته - دليل الجواز، وبما أنهم أسوة للناس وقدوة حسنة يشتركون مع الناس في أحكامهم إلا ما دلّ الدليل على اختصاصهم به بدون غيرهم، فإذا ثبت بكائهم على موتى دون احتمال خصوصية في المتوفّي ثبت الجواز لنا أيضاً بلا ريب.

وقد اختصّ الحسين عليه السلام ببكاء الجميع عليه قبل استشهاده وبعده، وأكثرت الروايات من نقل ذلك، بل تجاوزت دائرة البكاء عليه النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لتشمل الأنبياء السابقين عليهم السلام، وهذا ما ستعرّض له في الصفحات القادمة؛ ليكون دليلاً آخر على جواز البكاء بخصوص الحسين عليه السلام، والمصيبة التي تُسكب الدموع لها قبل وقوعها أولى بالبكاء بعد حدوثها.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٢٧٣. أنظر أيضاً: الخزاز القمي، علي بن محمد، كفاية الأثر: ص ١٩٨.

(٢) أنظر: ابن المغازلي، علي بن محمد، مناقب علي بن أبي طالب: ص ٢٨٣.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤.

١- بكاء الخضر وموسى عليهما السلام على الحسين عليه السلام

نقل المجلسي عن قصص الأنبياء قوله: «الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البرنظي، عن أبي بصير، عن أحدهما (صلوات الله عليهما) قال: لما كان من أمر موسى الذي كان أُعطي مكتلاً فيه حوت مالح فقيل له: هذا يدلك على صاحبك عند عين لا يُصيب منها شيء إلا حيّ، فانطلقا حتّى بلغا الصخرة وجاوزا، ثمّ قال لفتاه: أتنا غداءنا. فقال: الحوت اتخذ في البحر سرباً، فاقتصا الأثر حتّى أتيا صاحبهما في جزيرة في كساء جالساً، فسلم عليه، وأجاب، وتعجّب وهو بأرض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟ قال: موسى. فقال: ابن عمران الذي كلمه الله؟ قال: نعم. قال: فما جاء بك؟ قال: أتيتك على أن تعلمني. قال: إني وكّلت بأمر لا تطيقه. فحدّثه عن آل محمد وعن بلائهم وعمّا يُصيبهم، حتّى اشتدّ بكاءؤهما، وذكر له فضل محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وما أعطوا وما ابتلوا...»^(١).

ويبدو أنّ الرواية تامّة إذ ليس فيها محلّ تأمل إلا (ابن عيسى)، وهو محمد بن عيسى المشترك بين ابن عبيد وابن عبد الله بن سعد، والثاني ثقة، بل وكذا الأوّل؛ لأنّ الظاهر منه أنّه ابن عبيد بن يقطين، وقد وثّقه النجاشي^(٢)، هذا من جهة السند، وأمّا من جهة الدلالة فإنّ الرواية نصّت على أنّ الخضر وموسى اشتدّ بكاءؤهما عند الحديث عن بلاء آل محمد وعمّا يُصيبهم، ومن أعظم ما وقع لأهل البيت عليهم السلام مصيبة الحسين عليه السلام.

٢- بكاء النبي صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام

أروى صاحب الكفاية بإسناده عن عائشة أنّها قالت: «كانت لنا مشربة، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد لقاء جبرئيل عليه السلام لقيه فيها، فلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله مرّة فيها وأمرني أن لا يصعد إليه أحد، فدخل عليه الحسين بن علي عليهما السلام، فقال جبرئيل: من هذا؟ فقال

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٠١.

(٢) أنظر: النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة: ص ٣٣٣.

رسول الله ﷺ: ابني. فأخذه النبي فأجلسه على فخذه، فقال جبرئيل: أما إنه سيقتل. قال رسول الله ﷺ: ومن يقتله؟ قال: أمتك تقتله... فبكى رسول الله ﷺ...»^(١).

ب- روى ابن نما في مثير الأحزان عن ابن عباس، قال: «لما اشتد برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه وقد ضمَّ الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول: ما لي وليزيد لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد. ثم غشي عليه طويلاً وأفاق، وجعل يقبل الحسين وعيناه تذرْفان، ويقول: أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل»^(٢).

وقد جمع العلماء ما يُشير إلى بكائه عليه السلام على الحسين عليه السلام في عشرين مورداً.

٣- بكاء أمير المؤمنين عليه السلام على الحسين عليه السلام

روى الصدوق مسنداً عن مجاهد عن ابن عباس، قال: «كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل بنينوى - وهو شط الفرات - قال بأعلى صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟ فقلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين. فقال علي عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي بكائي. قال: فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره، وبكىنا معاً وهو يقول: أوّه أوّه، ما لي ولآل أبي سفيان؟! ما لي ولآل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر؟! صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم...»^(٣).

قال صاحب البحار: «وروي في بعض الكتب المعتمدة عن لوط بن يحيى، عن عبد الله بن قيس، قال: كنت مع من غزاه مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس، فشكى المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه فأنحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضي إليه يا أبتاه؟

(١) الخزاز القمي، علي بن محمد، كفاية الأثر: ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص ١٢.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٦٩٦.

فقال: امض يا ولدي، فمضى مع فوارس، فهزم أبا أيوب عن الماء وبنى خيمته وحطّ فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره. فبكى علي عليه السلام، فقيل له: ما يُبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا أوّل فتح ببركة الحسين عليه السلام؟ فقال: ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه ويُحمّم ويقول: الظليمة الظليمة لأُمَّة قتلت ابن بنت نبيها»^(١).

٤- بكاء فاطمة عليها السلام على الحسين عليه السلام

عن تفسير فرات قال: «حدّثني جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. قالت فاطمة عليها السلام: يا أبة، أي شيء تقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يُصيب بعدي وبعذك من الأذى والظلم [والغدر] والبغي... قالت: يا أبة، فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قُتل قتله أحد كان قبله... فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبة، إنّ الله وبكت، فقال لها: يا بنتاه، إنّ أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا...»^(٢).

٥- بكاء بقيّة الأئمة عليهم السلام على الحسين عليه السلام

أ- جاء في كتاب الأغاني عن علي بن إسمايل، عن أبيه، قال: «كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد، إذ استأذن أذنه للسيّد، فأمره بإبصاله وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلمّ وجلس، فاستنشه فأنشده قوله:

أمرُّ على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

... قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتّى أمره بالإمسك فأمسك»^(٣).

ب- روى الصدوق عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد بن

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٦٦.

(٢) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات: ص ١٧١-١٧٢.

(٣) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج ٧، ص ١٧٥.

عامر، عن عمّه عبد الله بن عامر، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «... إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء...»^(١).

والرواية لا مشكلة في سندها إلا من جهة جعفر بن محمد بن مسرور الذي ترصّى الشيخ الصدوق وترحم عليه، وهي أمانة التوثيق عند بعض، أمّا الباقر فكلمهم ثقات.

ج - ما عن الورد بن الكميّ، عن أبيه الكميّ بن المستهلّ أنّه استأذن الإمام الباقر عليه السلام أن ينشد فيهم أبياتاً، فأذن له الإمام عليه السلام، فأنشد، فبكى عليه السلام، وبكى أبو عبد الله عليه السلام، وسمع جارية تبكي من وراء الحباء، فأدام الكميّ، فبكى عليه السلام^(٢).

الصنف الثاني: بكاء السماء والأرض على الحسين عليه السلام

هناك جملة من الروايات المستفيضة الواردة في بكاء السماء والأرض على الحسين عليه السلام^(٣)، منها: ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، قال: «حدّثني محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن صفوان ابن يحيى، عن حريز، عن الفضيل، عن أحدهما عليه السلام، قال: إنّ على قبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعث غبر، سيكونه إلى يوم القيامة»^(٤).

وقد ذكر السيّد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٥): «بكاء السماء والأرض على شيء فائت، كناية تخيلية عن تأثرهما عن

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٩٠.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٠٧.

(٣) أنظر: الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص ٩٩-١٠٠. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥٤. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٨٣.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٣.

(٥) الدخان: آية ٢٩.

فوته وفقده، فعدم بكائهما عليهم بعد إهلاكهم كناية عن هوان أمرهم على الله، وعدم تأثير هلاكهم في شيء من أجزاء الكون»^(١). وهناك وجوه ثلاثة ذكرها صاحب مجمع البيان^(٢).

وكيف كان، فبكاء السماء والأرض على اختلاف معناه ليس فيه دلالة واضحة على رجحان بكاء الناس على مرّ العصور، ومَن بكت عليه السماء - بحق وبالمعنى الحرفي أو ككناية تخييلية كما عبّر الطباطبائي رحمته الله - لم يكن أمره هيئاً على الله تعالى، ولا ريب في ذلك بالنسبة للحسين عليه السلام، فما أعظم ما ارتكبه الأمة من جرأتها على إمام زمانها وسبط رسولها لتقتله بتلك الطريقة البشعة وبذلك الأسلوب الوحشي؛ ولذا لم نقل باستحباب البكاء على يحيى عليه السلام وما جرى عليه على مرّ العصور، مع أنه قد بكت عليه السماء أيضاً، وقد قرُن بالحسين عليه السلام، فلا المظلومية علّة تامّة للبكاء على المظلوم، ولا عظم الفاجعة كذلك، ويرجع الأمر إلى خصوصية في الحسين عليه السلام لا توفرها مفردة بكاء السماء والأرض، ولا تدلّ عليها، وتلك الخصوصية ترجع إلى المصالح التي تترتب على البكاء على الحسين عليه السلام بالخصوص، لا البكاء على كلّ مظلوم، بل قد لا أبالغ إن قلت: إنّ هذه الخصوصية وبهذا المستوى من الاستدعاء للحثّ الشرعي على العمل لم توجد حتى في بقيّة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا لا يجد الباحث في الروايات شيئاً معتدّاً به من بكاء الأئمة عليهم السلام على أحدٍ كما بكوا على الحسين عليه السلام، ولا حدّدت لتلك المناسبات أعمالاً خاصّة، فضلاً عن استمرار الحزن لعشرة أيام على الأقل تغلب الكآبة فيها عليهم عليهم السلام، ولا يرى الإمام ضاحكاً خلالها.

الصف الثالث: السيرة العقلانية

لقد جرت عادة الناس على البكاء على موتاهم، ولم يشدّ عن تلك الطريقة شعب

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨، ص ١٤١.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ١٠٨.

أو أُمَّة، ولو كان الشارع المقدّس لا يقبل بذلك لردع عن البكاء؛ لأنّه بدون الردع يُفوّت غرضه، والعاقل لا يُضَيِّع غرضه، فإذا لم يردع دلّ ذلك على أنّ الشارع يقبل بالبكاء على الموتى. والدليل على أنّ الشارع لم يردع، هو عدم وجود نهي عن البكاء في الموروث الشرعي مع كثرته.

فإن قيل: قد يكون الردع صادراً من الشارع المقدّس إلاّ أنّه لم يصل إلينا، فقد ضاعت الكثير من الروايات للظروف التي مرّت على الأُمَّة.

قلنا: إنّ الردع لا يمكن أن يكون بمستوى دون مستوى استحكام السيرة، واستحكام السيرة في البكاء على الموتى لا شك فيه على مرّ العصور، وهذا يعني أنّ الردع لو كان فإنّه سيكون بكمّ كبير من الروايات، فيكون ذلك مثاراً للسؤال من المعصومين عليهم السلام وصدور الجواب منهم، فيتوالد في الموروث الكثير من الأحاديث، مع توفرّ الدواعي للنقل بحكم الحثّ على حمل العلم وتعليمه وحفظ الحديث، ومع انتفاء المانع عن النقل؛ إذ لا تقيّة تدعو إليه، لأنّ المنع الشرعي عن البكاء لو كان فإنّه لا يضرّ بمصالح الجهات الحاكمة على مرّ العصور واختلاف الظروف، ولا من مانع آخر يُتصوّر للمنع عن نقل النهي عن البكاء، وهذا يستلزم وصول الأخبار الكثيرة إلينا والمانعة عن البكاء، وبما أنّه لم يصل إلينا شيء في ذلك علمنا أنّ الشارع لا يمنع من بقاء الناس على طريقتها.

والسيرة لا تُثبت الاستحباب، بل غاية ما تُثبته الجواز، وبتعبير آخر: إمضاء السيرة دليل على قبول الشارع بما جرت عليه، والسكوت دليل الإمضاء، بل وكما جاء في طيّات البحث فقد ورد صدور البكاء من المعصومين عليهم السلام، والحثّ عليه على الحسين عليه السلام وبوفرة كبيرة.

الصف الرابع: الأمر بمودّتهم يقتضي تجويز البكاء عليهم

إنّ المتبّع لا يجد في الموروث دفعاً باتجاه مودّة أحد وبشكل صريح ومباشر إلاّ

لأهل القربى، وقد نصّ القرآن الكريم على ذلك حين جعل أجر النبي ﷺ على هدايته لنا المودّة في القربى؛ إذ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (١)، وحين قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبًا سَبِيلًا﴾ (٢)، فأجر النبي ﷺ هو مودّتهم ﷺ، ومودّتهم سبيل إلى الله تعالى، فهي مطلوبة شرعاً، كما أنّ سؤال النبي ﷺ للمودّة كأجر للرسالة كافٍ في إثبات مطلوبيتها شرعاً؛ لأنّ سؤاله ﷺ لها ليس من منطلق الطلب الشخصي، بل بما هو نبي ومشرّع، وهذا يعني أنّ الشارع المقدّس يطلبها.

فالأمر بالمودّة بشكل صريح لم يرد إلّا في خصوص أهل البيت ﷺ، ولذلك ملاكه ومصلحته الخاصة به. ثمّ بعد هذا الأمر هل ترى من المعقول أن ينهانا الشارع المقدّس عن البكاء عليهم حين نذكر ما جرى عليهم من المصائب والظلم؟! ولو فرضنا إمكان أن ينهانا عن البكاء عمّن أمرنا بمودّتهم، لكان من اللازم أن يصرّح بذلك؛ لأنّه أمرٌ يحتاج إلى تنبيه باعتباره على خلاف ما يقتضيه الطبع؛ إذ ما يقتضيه الطبع أن تتفاعل مع ما ينزل من النوائب على من نواذهم، ولما لم نجد نصّاً بذلك علمنا أنّ الشارع يقبل بالبكاء عليهم.

الصف الخامس: انتفاء المفسدة

ومّا يمكن أن يكون مؤيداً لجواز البكاء أنّ مشهور فقهاءنا يبنون على أنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد التي في متعلقاتها، وأيّ مفسدة تتعلّق في الرقة على ميت قضي، والتفاعل مع مصيبة وقعت، وحادثة مؤلمة جرت؟! وقد روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «بكى رسول الله ﷺ عند موت بعض ولده، فقيل له: يا رسول الله، تبكي وأنت تنهانا عن البكاء؟ فقال: لم أنهكم عن البكاء، وإنّما نهيتكم

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) الفرقان: آية ٥٧.

عن النوح والعيول، وإنّما هذه رقة ورحمة يجعلها الله تبارك وتعالى في قلب مَنْ شاء من خلقه، ويرحم الله مَنْ يشاء، وإنّما يرحم الله من عباده الرّحماء»^(١).

وها نحن نعيش تجربة فريدة في العراق هيّأتها الشعائر الحسينية وأجواء التأثير العاطفي، الذي وفّره تجسيد الانتماء الديني والمذهبي، فمن بوابة الدين والأجواء العاطفية عاد الشعب إلى حبّ الوطن، ومن خلال الشعائر والطقوس الدينية نمت روح التضحية في النفوس، وعن طريق الإحساس بالحيف الذي وقع على الأئمة عليهم السلام انتفض الناس لدفع الظلم عن محافظات في البلاد، وما كان لكلّ ذلك أن يتحقق لولا ذلك الارتباط بأهل البيت عليهم السلام، والتأثير الكبير عند ذكر ما جرى عليهم، والتعاطف معهم والبكاء على مصائبهم، ومن أعظم مصائبهم ما جرى في كربلاء على سيّد الشهداء عليه السلام فقد سالت دماء زكية من أجل هدف سام.

المبحث الثاني: استحباب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

إن مقتضى القاعدة والأصل - عند عدم وجود دليل محرز - هو عدم الاستحباب، والقاعدة المعنية هنا هي الاستصحاب؛ إذ لا شك في أنّ الشريعة في أيامها الأولى لم تكن تتضمن الأحكام الفرعية، ثمّ نزلت التشريعات بعد ذلك تبعاً، فلدينا يقين أنّه في أول نزول الشريعة لم يكن فيها حكم باستحباب البكاء على أهل البيت عليهم السلام، هذا فضلاً عن عدم الموضوع في تلك المدّة، ثمّ نشكّ بعد ذلك في تشريع استحباب البكاء، فاجتمعت أركان الاستصحاب الأربعة (اليقين السابق، والشكّ اللاحق، ووحدّة القضية المتيقّنة والمشكوكة، وترتّب الأثر الشرعي)، فيجري الاستصحاب لإثبات عدم الاستحباب.

لكن بما أنّ الاستصحاب أصل عملي وفق نظر المشهور، فإنّ جريانه معلّق على عدم الدليل الاجتهادي على خلافه.

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٢٥.

والدليل على الخلاف يتمثل في جملة من الأدلة، وهي على أنواع:

النوع الأول: الأدلة الروائية

ويمكن تصنيف الأدلة الروائية إلى عدة أصناف:

الصنف الأول: روايات استحباب البكاء على الحسين عليه السلام بالخصوص

١- صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعةً حتى تسيل على خده، بؤاه الله بها في الجنة غرماً يسكنها أحقاباً...»^(١)، ودلالاتها ظاهرة في الاستحباب.

٢- رواية الريان بن شبيب عن الرضا عليه السلام مخاطباً إياه: «يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله... يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً»^(٢).

وهي تامّة سنداً إلا من جهة (محمد علي ماجيلويه) شيخ الصدوق الذي ترصّى عنه وأكثر الرواية عنه، فتكون على بعض المباني تامّة سنداً.

٣- رواية معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام مخاطباً أحدهم: «... أين أنت عن قبر جدي المظلوم الحسين عليه السلام؟ قال: إني لقريب منه، قال: كيف إتيانك له؟ قال: إني لآتيه وأكثر. قال: يا شيخ، ذلك دم يطلب الله تعالى به... وقال عليه السلام: كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»^(٣).

والرواية حسنة؛ إذ فيها (أبو محمد الأنصاري) وهو ممدوح، وإن لم يُنصّ على وثاقته.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ١٦٢.

٤- رواية إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «... فعلى مثل الحسين فليك الباكون، فإنّ البكاء يحطّ الذنوب العظام»^(١).

والرواية لا مشكلة في سندها - كما قلنا سابقاً - إلا من جهة جعفر بن محمد بن مسرور الذي ترصّى الشيخ الصدوق وترحم عليه، وهي أمانة التوثيق عند بعض، أمّا الباكون فكلّهم ثقات.

الصنف الثاني: الروايات العامة في استحباب البكاء عليه وعلى غيره من الأئمة عليهم السلام

١- صحيحة محمد بن مسلم السابقة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «... وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فينا لأذى مسنا من عدونا في الدنيا، بوأه الله بها في الجنة مبعوضاً صدق...»^(٢). ودلالتها ظاهرة في الاستحباب.

٢- ما عن الورد بن الكميث، عن أبيه الكميث بن المستهل، عن الباقر عليه السلام قال: «... ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده يخرج من عينيه ماء ولو مثل جناح البعوضة إلاّ بنى الله له بيتاً في الجنة، وجعل ذلك الدمع حجاً بينه وبين النار»^(٣).

٣- رواية الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ ذُكِرْنَا عَنْهُ ففَاضَتْ عَيْنَاهُ وَلَوْ مِثْلَ جَنَاحِ الذَّبَابِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٤).

وهي صحيحة السند، فبكر بن محمد روى عنه ابن أبي عمير في هذه الرواية، وقد نصّ النجاشي على وثاقته، والآخرين لا شبهة في وثاقتهم. ودلالة الرواية على الاستحباب واضحة؛ إذ إنّ ترتّب الثواب على فعل فرع مطلوبيته ورجحانه.

وروى بمضمونه بكر بن محمد عن أبي عبد الله عليه السلام، وهو حديث صحيح أيضاً بطريق قرب الإسناد والصدوق^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٠٧.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٩١.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٩٢.

٤- رواية الحسن بن علي بن فضال عن الرضا عليه السلام قوله: «مَنْ ذُكِرَ بمصائبنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون...»^(١).

وهذه الرواية حسنة أو موثقة لمكان بني فضال إن اكتفينا بترضي الصدوق على أحد مشايخه لإثبات الوثاقة، وإلا فالرواية غير تامة سنداً؛ لأنَّ في سندها محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، هذا وفق ما في أمالي الصدوق، يضاف إلى ذلك أنَّ الصدوق في (عيون أخبار الرضا) نقلها عن أحمد بن الحسن القطان ومحمد بن بكران النقاش في عرض محمد بن إبراهيم، وقد ترضى الصدوق على محمد بن بكران وترحم على القطان، بل قيل: إنَّه وصفه بالعدل، لكن الظاهر أنَّه لَقَّبَ به، فنرجع إلى المبنى في قبول ذلك كدليل للوثاقة، لكن احتمال صدورهما على نقل (العيون) يكون أقوى.

٥- صحيحة معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام أنَّه قال في حديث طويل:

«... وارحم تلك العين التي جرت دموعها رحمة لنا...»^(٢).

٦- ما جاء في دعاء الندبة: «فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي (صلى الله عليهما وآلهما) فليبك الباكون، وإياهم فليندب النادبون، ومثلهم فلتدر الدموع، وليصرخ الصارخون، ويعج العاجون»^(٣).

ودلالة هذه العبارة على رجحان البكاء واضحة، خصوصاً مع استعمال لام الأمر مكررة، وليس المورد من موارد توهم الخطر ليقال: إنَّ الأمر في موارد توهم الخطر أو عقيب الخطر لا يدلُّ على أكثر من الجواز.

وهناك روايات أخرى تركنا التعرُّض لها هنا للاختصار، ففيها ذكرنا كفاية للمسترشد وطالب الحقِّ، ومَنْ أراد المزيد فليراجع كتاب وسائل الشيعة، فقد جمع

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٣١. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٢٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٠٧.

في باب (استحباب البكاء لقتل الحسين...) عشرين رواية، نعم، بعضها غير تام الدلالة؛ لأنّها لم تأمر بالبكاء، وإنّما حكت بكاء بعض الأئمّة عليهم السلام، وبعضها غير تام من ناحية السند، فلا حاجة إلى الإطالة باستيعابها وإن كانت نافعة في التأييد.

الصنف الثالث: روايات مداومة البكاء من قبل بعض الأئمّة عليهم السلام على الحسين عليه السلام

يُنقل أنّ السجادة عليها السلام قد بكى دهرًا على ما حلّ بأبيه وأعمامه ومَن كان معهم، وقد يقال: إن ذلك أحد أدلة الاستحباب، فإنّ مداومته عليها السلام على البكاء لأربع وثلاثين سنة من عمره - أو ثلاث وثلاثين على اختلاف الروايات في تاريخ وفاته - لدليل على رجحانه ومطلوبيته شرعاً.

ففي رواية - قد سبق ذكرها - عن الصادق عليه السلام قال: «البكّؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام... وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة^(١)، ما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى، حتّى قال له مولى له: جُعلت فداك يا بن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين! قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني لذلك عبرة»^(٢).

لكن الإنصاف يستدعي التوقّف في ذلك؛ لأنّ المداومة من المعصوم على فعل إنّما يكون دليلاً على رجحانه شرعاً فيما إذا انحصر الداعي لهذا الفعل بالداعي الشرعي؛ ولذا فإنّ مواظبة الأئمّة عليهم السلام على أكل الخبز لم تشكّل دليلاً على استحبابه، في وقت كانت مواظبتهم على الذكر بعد الصلاة دليلاً على الاستحباب.

ولفائل أن يقول: إنّ السجادة عليها السلام قد رأى كلّ تلك المآسي وعاشر فصولها، ولم يتمكّن من أن يُعين بسيف أو يدفع برمح لشدة مرضه؛ ممّا ترك جرحاً عميقاً في نفسه

(١) التردد من الراوي.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٢٧٣.

سلب النوم من عينيه، والراحة من نفسه، التي لم يعد لها إلا زفرات الحزن ومرافقة البكاء، والآهات التي كادت أن تخرج نفسه معها، ونتيجة لذلك لم ترقأ له دمعة، فكان ما بقي من عمره مجلس عزاء بدون انقطاع؛ ومن هنا لم نر هذا المستوى من الحزن عند بقيّة الأئمّة عليهم السلام وإن كان بمرتبة أدنى، فبكاء بقيّة الأئمّة عليهم السلام على فاجعة كربلاء لم يكن بمستوى بكاء السجادة عليها السلام، هذا مضافاً إلى أنّ إظهار ذلك الحزن حتّى صار سنة يُعرف بها السجادة عليها السلام، قد كان له داع آخر عنده لم يتحقق عند غيره، ويتمثل هذا الداعي بالسعي لكسر محدودية تأثير الواقعة بمقتضى محدودية الزمان والمكان، والمنع من أن تلفّها دائرة النسيان، كما حصل لحوادث تاريخية فظيعة، طوتها صفحات التاريخ، وأكتفي بذكر بعضها في بطون الكتب وأسفار التاريخ، خصوصاً مع ملاحظة أن أدوات مرتكبتها كانت تسعى جاهدة لإخفاء ملامح الواقعة إن لم تكن ساعية إلى إعفاء أصل أثرها، فكان لا بدّ من عمل معاكس في الجهة المقابلة، فكان على السجادة عليها السلام أن يتحمّل عبأه وينهض بمسؤوليته، وقد أتى سعيه بما كان يروم، فقدّر لذكر المصيبة أن تدوم، ويكتسب لنفسه هذا الزخم العظيم. وهذا الداعي يشكّل مرجحاً للفعل الصادر منه عليها السلام دون غيره، بل قد يُجعل الفعل واجباً عليه لکنّه لا يثبت حتّى الاستحباب لغيره، وهذا يعني وجود خصوصية في السجادة عليها السلام، أو - على الأقل - احتمال وجود خصوصية دعت عليها السلام إلى المواظبة على ذلك، واحتمال الخصوصية مانع من تعميم الحكم، خصوصاً إنّ الذي يراد الاستدلال به فعل، وهو في الاستدلال أقلّ نفعاً من القول؛ إذ يمكن الاستفادة في القول من قرينة الحكمة عند المتكلم، التي تدعوه إلى بيان كلّ ما يريد في كلامه، وهذا يعني أن أيّ خصوصية محتملة في مراده يكفينا لنفي دخالتها في مراده عدم تعرّضه لها في كلامه؛ لأننا من خلال قرينة الحكمة نصل إلى قاعدة مفادها: إنّ المتكلم الحكيم ما لا يقوله لا يريد.

أمّا الفعل فإنّه دالّ صامت لا نستفيد منه إلاّ القدر المتيقن؛ لعدم الإطلاق فيه، اللهم إلاّ إذا كان الفاعل في مقام التعليم، مثلما نُقل عن النبي صلّى الله عليه وآله: «صلّوا كما

رأيتموني أصلي»^(١)، وهنا ترك شيء وعدم التعرّض له يشكّل دليلاً على عدم دخالته في فعل الصلاة.

ومن هنا كان الاستدلال على رجحان البكاء على مصائب الأئمة عليهم السلام من خلال بكاء السجادة عليها السلام لا يخلو من مشكلة؛ وعليه، فإن فعل السجادة عليها السلام يُثبت الجواز بلا شكّ، أمّا ما زاد على ذلك فمحلّ تأمل.

نعم، إلّا إذا لم يكن هناك وجه لوقوع مثل هذا البكاء إلّا الرجحان والمطلوبية الشرعية، والذي يمكن أن يكون واضحاً في إصرار السجادة عليها السلام على المداومة عليه، والتزام الأئمة عليهم السلام على إيقاعه في عشرة محرّم، والذي يبدو للمتأمل المنصف أنّه كان من منطلق قُرْبِي ووضوح الرجحان الشرعي، وإلّا فإن الاستجابة العاطفية يُفترض أن لا تكون أسيرة حدود أيام محرّم من كلّ سنة، خصوصاً مع ترامي السنين وتباعد أيام الواقعة، بل إنّ التفاعل سيكون لمجرد تذكّر ما حصل. وإني لأجزم أنّ ما كان عليه السجادة عليها السلام في ذلك لم يكن لمجرد الاستجابة العاطفية لحضور صورة الظلم الفاحشة التي وقعت على أهل بيته وصحبة أبيه عليه السلام.

إنّ الظلم الذي وقع على أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن قليلاً، إذ تنكّر الناس لما أخذه النبي صلى الله عليه وآله من عهد عليهم وبيعة له، حتّى قال قائلهم: «بخ بخ لك يابن أبي طالب! أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم»^(٢)، ولم تمضِ إلّا أيام قليلة حتّى ضرب الحسد والطمع ضربته الكبرى عند من صار رأساً، وعمامة الناس إمّعات ينعقون مع كلّ ناعق، حتّى ضيّق عليه واستشهدت حليلته، ثمّ لجوء الناس إليه حين ضاع عليهم المفرغ، وضلّ عنهم المنجى، حتّى قُتل مظلوماً على يدي أشقاها.

وعلي عليه السلام الذي هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وأخوه أعظم مرتبة من الحسين عليه السلام،

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف: ج ١، ص ٣١٤.

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج ٨، ص ٢٨٤.

والظلم الذي جرى عليه ظلم تأسيس، وهو أوقع أثراً في النفوس، ومع ذلك لم يك
السجاد عليه ما بكي على الحسين عليه.

لا أدعي أن بشاعة ما وقع على علي عليه أعظم من بشاعة ما وقع على الحسين عليه،
ولكن لو كانت الاستجابة العاطفية للسجاد عليه متناسبة مع هول المصاب ووقع
الجريمة، لكان لما جرى على أمير المؤمنين عليه شيء من هذه الاستجابة يعتد به؛ وذلك
يكشف عن أن هناك شيئاً آخر أراد السجاد عليه حين سنّ سنّة البكاء على أبيه، حتى
استوعبت ما بقي من عمره وهو ثلاث وثلاثون أو أربع وثلاثون سنة. وحين جرى
أبناؤه على ذلك رغم ترامي السنين، علمنا أن ما فعلوه ليس مجرد مظهر للاستجابة
العاطفية، بل أرادوا أن يتهياً عندنا سبب الاستجابة العاطفية بأن تكون المسأة حاضرة
عندنا بكل أبعادها؛ لتحصل عملية التأثير، فالتفاعل، فالتمسك بمنهج الحسين عليه؛
وعليه فانتهاج السجاد عليه - أولاً - نهج البكاء على أبيه عليه مدة طويلة، ثم من جاء
بعده من الأئمة عليهم، كان عملية واعية محددة الأهداف، وقد تعرّضنا إلى بعض ذلك
في كتاب (إقدام المعصوم على ما فيه قتله المعلوم)، وبيننا هناك الأسباب التي جعلت
السجاد عليه يحمل العبء الأكبر لهذه المسألة؛ وبهذا نصل إلى نتيجة مفادها أن مداومة
المعصومين عليهم على البكاء على الحسين عليه دليل على الرجحان الشرعي للبكاء.

الصف الرابع: روايات بكاء الملائكة على الحسين عليه

١- روى ابن قولويه في (كامل الزيارات)، قال: «حدّثني محمد بن الحسن، عن
محمد بن الحسن الصفّار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن صفوان بن يحيى،
عن حريز، عن الفضيل، عن أحدهما عليه، قال: إنّ على قبر الحسين عليه أربعة آلاف
ملك شعث غبر، يكونونه إلى يوم القيامة»^(١). وغيرها من الروايات الكثيرة الواردة في
بكاء الملائكة عليه عليه^(٢).

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١٧١-١٧٩.

ويمكن استفادة أمور عدّة من هذه الروايات:

الأوّل: إنّ البكاء على الحسين عليه السلام أمر مندوب إليه شرعاً، وإلاّ فإنّ توكيل هذا العدد من الملائكة بقبره عليه السلام للبكاء عليه، ثمّ إخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام بذلك إنّ لم يكن حتّى على البكاء عليه فهو دال على رجحانه، وقد يرجع الأمران إلى شيء واحد. نعم، ورد في ذيل إحدى الروايات: «قال محمد بن مسلم: يحرسونه»^(١)، لكنّ أغلب الروايات عبّرت بالبكاء.

الثاني: تكرّر وصف حالهم بأنّهم شعث غبر، وهو ينسجم مع البكاء لا الحراسة. الثالث: ما ورد في إحدى الروايات من قول الصادق عليه السلام: «ما لكم لا تأتونّه - يعني قبر الحسين عليه السلام - فإنّ أربعة آلاف ملك يبكون عند قبره إلى يوم القيامة»^(٢)، فإنّ النظر البدوي يبرز احتمالين في قوله: «فإنّ أربعة...»، الأوّل: أن تكون الرواية في مقام دفع الهاجس الأمني، فهي تدفع موجب الخوف من خلال الإخبار بهذا العدد من الملائكة ممن يوجد عند قبره أو جواره، والاحتمال الثاني: أن تكون بصدد الحثّ على زيارته والبكاء عليه، والرواية في الاحتمال الأوّل أظهر، خصوصاً وأنّ الواقع التاريخي يدفع كون الزائر في أمان، فطالما تخطّفت الزائرين أيدي الجلاوزة والظالمين، وذات المرقد - أيضاً - طالما عبثت به أيدي الجبارين، وسعوا إلى إعفاء أثره، ولكن الله بالغ أمره قد جعل لكلّ شيء قدراً.

محذورات الإغراء

لقائل أن يقول: إنّ الروايات التي دلّت على رجحان البكاء على الحسين عليه السلام ورد في مضمونها ما يمكن أن يكون مانعاً من قبولها، ويتمثّل ذلك بالإغراء على إتيان المحرّمات؛ لأنّ الوارد في الروايات أنّ البكاء سبب لمغفرة كلّ الذنوب، فقد ورد

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧١.

في بعضها: «مَنْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ ففَاضَتْ عَيْنَاهُ وَلَوْ مِثْلَ جَنَاحِ الذِّبَابِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١)، ونظائر هذه الرواية.

ولا يُدْفَعُ هَذَا الْإِشْكَالَ بِالضَّعْفِ السَّنْدِيِّ لِهَذِهِ الرَّوَايَةِ وَنِظَائِرِهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ لِكَثْرَتِهَا، مُضَافًا إِلَى كَوْنِ بَعْضِهَا صَحِيحَةً السَّنْدِ، وَبَعْضِهَا مُوَثَّقَةً أَيْضًا.

ولكن يردُّ هذا الإشكال ما يلي:

١- إنَّ مَحْذُورَ الْإِغْرَاءِ بِالْبَاطِلِ إِنَّمَا يَرِدُ فِي الْمَوَارِدِ الَّتِي يُرْتَكَبُ فِيهَا الذَّنْبُ اعْتِمَادًا عَلَى سَبَبِيَّةِ الْبُكَاءِ عَلَى الْحَسَنِ عليه السلام لِلْمَغْفِرَةِ، أَمَّا مَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا مَحْذُورَ فِيهِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ؛ وَلِذَا يُمْكِنُ الْجُزْمُ بِأَنَّ سَبَبِيَّةَ الْبُكَاءِ لِلْمَغْفِرَةِ لَا تُشْمَلُ مَا ارْتُكِبُ اعْتِمَادًا عَلَى ذَلِكَ.

٢- إنَّ مَا ذُكِرَ هُنَا - وَكَذَلِكَ فِي مَوَارِدٍ أُخْرَى مِنْ قَبِيلِ أَنَّ الْبُكَاءَ عَلَى الذَّنْبِ مُوجِبٌ لِتَحْرِيمِ دِيبَاجَةِ الْوَجْهِ عَلَى النَّارِ^(٢) - إِنَّمَا هُوَ فِي حُدُودِ الْمُقْتَضِي لِأَنَّ الْعِلَّةَ النَّامَّةَ، وَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ سَبَبِيَّةَ الْمَغْفِرَةِ لَيْسَتْ مُحْرَزَةٌ، فَيَبْقَى احْتِمَالُ تَحَقُّقِ الْمَانِعِ، فَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُطْمَئِنًّا بِالْبَالِ أَنَّ ذَنْبَهُ الَّذِي سِيرْتَكَبُهُ سَيُغْفَرُ خِلَالَ بُكَاءِهِ عَلَى الْحَسَنِ عليه السلام.

٣- إنَّ كُلَّ ذَلِكَ مُشْرُوطٌ بِأَنَّ يَبْقَى الْعَبْدُ عَلَى إِيمَانِهِ، وَارْتِكَابِ الذُّنُوبِ وَالْإِغْغَالِ فِي ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي خُرُوجِ الْعَبْدِ عَنْ دَائِرَةِ الطَّمَعِ فِي الْمَغْفِرَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَنِيبَةَ الَّذِينَ آسَنُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِعِيبَتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣).

٤- إنَّ بَعْضَ أَلْسِنَةِ الرَّوَايَاتِ - فِي هَذَا الْمَوْرِدِ وَغَيْرِهِ - إِنَّمَا تُشْمَلُ الذُّنُوبَ الْمُتَقَدِّمَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَوْجِبِ لِلْمَغْفِرَةِ، فَلَا تُشْمَلُ مَا يُرْتَكَبُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَيْنَ الْإِغْرَاءُ؟! نَعَمْ بَعْضُ أَلْسِنَةِ الرَّوَايَاتِ وَرَدَ بِلِسَانِ (غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ)، وَالَّذِي

(١) الحَرَّ الْعَامِلِي، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَسَائِلُ الشِّيْعَةِ: ج ١٠، ص ٣٩١.

(٢) أَنْظَر: النِّيْسَابُورِي، مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتَّالِ، رَوْضَةُ الْوَاعِظِينَ: ص ٤٥٢.

(٣) الرَّوم: آيَةُ ١٠.

يظهر منه إرادة المتأخر زماناً عن الفعل الموجب للمغفرة، وهنا يلزم محذور الإغراء لولا الوجوه الثلاثة المتقدمة لدفع الإشكال.

لكن الإنصاف أنّ الروايات التي يظهر اختصاصها بالمتقدم من الأفعال لا يُدفع الإشكال عنها بهذا النحو؛ لأنّ العبد يمكن أن يرتكب الذنب معتمداً على الإتيان بعده بما ورد أنّه موجب للمغفرة.

٥- هناك وجه آخر يمكن جعله مانعاً من الإغراء، وهو عدم ضمان العبد البقاء إلى أن يأتي بموجب المغفرة، فلا ضمانة قطعية لعدم المؤاخذه على الذنب، فلا يلزم الإغراء.

فان قيل: إنّ تقييد إطلاقات هذه الروايات بما لا يكون إغراءً إنّما هو بقرينة عقلية وهي تخفى على عامة الناس؛ إذ لا يرون إلاّ استلزام البكاء لغفران الذنوب بدون تقييد، وهذا يعني أنّ عوام الناس سيحصل لها إغراء بالذنوب والباطل، وكفى بذلك مفسدة.

الجواب: إنّ في ورود مثل هذه الروايات بعض المصالح، ومنها:

أ- البعث نحو هذا الفعل الذي لا شك في توفره على بعض المصالح، وأبرزها الارتباط العاطفي بأهل البيت عليهم السلام الذي يقرب الفرد إلى الاقتداء والتأسي بهم والتخلّق بأخلاقهم، فيتوفّر داعٍ إضافي من خلال الأجر وانعكاس الأثر في مغفرة الذنوب.

ب- الابتعاد عن بعض حالات اليأس التي قد تحصل للناس، فتكون مشابهة

لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الدُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

(١) الزمر: آية ٥٣.

ج- إن الإتيان بما حثت عليه هذه الروايات يقرب الكثير نحو الإطاعة، ونحن نرى بأن العين أعداداً ممن لا يلتزمون بأحكام الشريعة يحاولون الالتزام بها في أيام العزاء وبعدها بمدّة، وبعض تبقيه هذه الشعائر على التزامه. وهذه المصالح ترجح على جانب الإغراء الناشيء من جهل بعض العوام.

د- يضاف إلى ذلك: أنه ليس من الواضح القول: بأن ما يترتب على الفهم القاصر للمكلفين من سوء فعلهم لا يقع دفعه على الشارع المقدّس، والحال أنّ الأدلّة قد وردت على خلاف ذلك، مضافاً إلى أنّ عوام الناس يُفترض بهم الرجوع إلى أهل العلم والمعرفة، يقول تعالى: ﴿... وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ (١).

النوع الثاني: سيرة المتشركة

لقد جرت سيرة المتشركة على البكاء على الحسين عليه السلام؛ إذ توارث هذا السلوك أجيال المؤمنين حتى زماننا الحاضر. وسيرة المتشركة بها هم متشركة دليل على موافقة الحكم الشرعي لسلوكهم ببيان فصل في مباحث علم الأصول. وتواجهنا هنا مشاكل عدّة:

الأولى: إنّ سيرتهم قد تكون من جهة كونهم عقلاء، لا من جهة كونهم متشركة. الثانية: إنّ جريان السيرة على فعل يُثبت جوازه لا استحبابه.

الثالثة: لا بدّ من إثبات اتصال السيرة بزمان حضور الأئمة عليهم السلام، أو - على الأقل - بزمان قريب من زمان الحضور.

أمّا المشكلة الأولى، فحلّها: أنّ البكاء على ميت قد مرّت على موته قرون - أو حتى عقود - بهذا النحو ليس له منشأ عقلائي لتجري عليه سيرتهم، وإن كان الميت عظيم المنزلة عالي الدرجة، وكون المصاب جلاً لا يشكّل سبباً تاماً لبكاء الأجيال

(١) النساء: آية ٨٣.

على ذلك المصاب، فلا بدّ أن يكون جزء من المنشأ والسبب آتياً من جهة الشريعة وحثّها، فيتعيّن أن تكون السيرة للمتشركة بما هم كذلك .

وأما المشكلة الثانية: فالحق أنّ جريان السيرة يثبت جواز البكاء لا استحبابه، لكن ذلك ليس عامّاً لكلّ موارد الفعل الذي جرت عليه السيرة؛ إذ يخرج منه ما لا يمكن أن يقع إلّا بداعٍ قربي وامتثال أمرٍ شرعي، وقد بيّنا قبل قليل في حلّ المشكلة الأولى أنّه لا يمكن أن يكون هذا السلوك من المتشركة ناشئاً وبشكل تام إلّا بدخالة التوجيه الشرعي، وهنا تكون السيرة مثبتة للمطلوبية الشرعية.

وأما المشكلة الثالثة: فالواضح استمرار هذه السيرة إلى أزمّة قريبة من زمن الحضور، بل حتّى في زمن الحضور، والمتتبع يجد الكثير من المفردات التاريخية التي تُثبت ذلك في وسط المتشركة، وقد حفلت دواوين شعر متقدّمي الشعراء بالكثير من مفردات الرثاء المتضمّنة لصور المأساة المثيرة للأشجان والمتضمّنة أحياناً للإخبار عن البكاء عليه (صلوات الله عليه). وإتّما اشترطنا مقارنة أو معاصرة السيرة لزمن الحضور للأئمّة عليهم السلام؛ لأنّ سيرة المتشركة إنّما تكون مأخوذة من الشارع المقدّس، فاللازم هو وجود رواية معاشة عملاً وإن لم تكن منقولة لفظاً؛ وبذلك تكون سيرة المتشركة دليلاً وجدانياً على وجود دليل شرعي على الحكم.

إذا؛ سيرة المتشركة تُثبت الاستحباب بخلاف سيرة العقلاء التي لا تصلح إلّا للدلالة على الجواز؛ ولذا لم نتعرّض لها في أدلّة الاستحباب.

المبحث الثالث: أدلّة المنع من البكاء على الميت وردّها

قد يقال بوجود أدلّة روائية تمنع من البكاء على الميت معارضة للأدلة السابقة، ومنها:

الدليل الأول

ما عن دعائم الإسلام عن علي عليه السلام قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: يا رسول

الله، إنَّ عبد الله بن رواحة ثقیل لما به، فقام ﷺ وقمنا معه حتَّى دخل ودخلنا عليه، فأصابه مغمی علیه لا یعقل شیئاً، والنساء یصرخن، فدعاه رسول الله ﷺ ثلاث مرّات فلم یجبه، فقال: اللّهم عبدك إن كان قد قضی أجله ورزقه وأثره فإلی جنتك ورحمتك، وإن لم یقضَ أجله ورزقه وأثره فعجّل شفاءه وعافيته... ثمَّ خرج رسول الله ﷺ فوجد عبد الله بن رواحة خفّة، فأخبر النبی ﷺ فوقف، فقال: یا عبد الله، خبر بما رأیت، فإنّك رأیت عجباً. فقال: یا رسول الله، رأیت ملكاً من الملائكة یبده مقمعة من حديد تأجج ناراً، كلّما صرخت صارخة: (یا جبلاه) أهوى بها لهامتي، وقال: أنت جبلها؟ فأقول: لا، بل الله. فیکفّ بعد إهوائها، وإذا صرخت صارخة: (یا عزّاه) أهوى بها لهامتي، وقال: أنت عزّها؟ فأقول: لا، بل الله. فیکفّ بعد إهوائه. فقال رسول الله ﷺ: صدق عبد الله، فما بال موتاكم یبتلون بقول أحيائكم!«^(١).

وهذا الحديث قد یوهم بأنّ الميت یُعذّب بیکاء الحي.

الجواب

لا دلالة فی هذا الحديث على ذلك، فإنّ الملك وإن أهوى بالمقمعة من حديد على رأسه كلّما صرخت صارخة: یا جبلاه أو یا عزّاه، لكنّه لم یضربه لمجرد صراخها، وإلّا لكان الضرب بها لمجرد الصراخ أو البكاء دون سؤال وانتظار الجواب، بل الذي یبدو من الرواية أنّ رفع المقمعة والإهواء بها على رأسه كان لأجل قولها: یا جبلاه ویا عزّاه. هذا أولاً، وثانياً: حين سُئل: أنت جبلها، ثمَّ أنت عزّها؟ وأجاب بالنفي وأنّ ذلك لله تعالى، كان الملك یكفّ عنه.

فالأمر لا علاقة له بیکائهنّ وصراخهنّ، بل ولا بقولهنّ: وا جبلاه ووا عزّاه، بل هو مرتبط بها كان یعتقده عبد الله بن رواحة فی ذلك؛ ولذا حين نفى عن نفسه وأخبر

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٢٦.

الملك أن جبل النادبة وعزها هو الله، كان الملك يكف عنه. يضاف إلى ذلك أن لازم ما ذكر لو كان فيه دلالة على أن الميت يُعذب ببكاء غيره، فهذا يعني أنه سيكون رهيناً بما كسب غيره، وسيكون مؤاخذاً بفعل غيره، والقرآن يقول بلا لبس: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(١)، ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَزَرُّ أُخْرَى﴾^(٢)، فضلاً عن المحذور العقلي؛ إذ يلزم الظلم إذا عوقب شخص بفعل غيره.

والكلام هنا في عقوبة وحكم جزائي صرف وليس في أثر تكويني؛ ليقال: إن الأثر التكويني السيء لفعل شخص قد ينعكس على غيره، كما هو شأن الكثير من الآثار التكوينية للأفعال الاختيارية التي لا تقتصر على فاعليها، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٤). فإنَّ ظهور الفساد في البر والبحر لا يقتصر على العاصين، وكذا نزول المطر وجعل الجنات والأنهار لا يقتصر على المستغفرين.

فالرواية لا علاقة لها بكون بكاء الحي على الميت سبباً لتعذيبه، هذا من ناحية الدلالة، وأمّا من جهة السند فهي مرسلة، وعليه فهي ساقطة سنداً أيضاً.

الدليل الثاني

ما عن الصادق عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ مرّ على امرأة تبكي على قبر، فقال لها: اصبري أيتها المرأة. فقالت: يا هذا الرجل، اذهب إلى عملك،

(١) المدثر: آية ٣٨.

(٢) فاطر: آية ١٨.

(٣) الروم: آية ٤١.

(٤) نوح: آية ١٠-١٢.

فإنه ولدي، وقرّة عيني. فمضى رسول الله ﷺ وتركها ولم تكن المرأة عرفته، فقيل لها: إنه رسول الله. فقامت تشتدّ في طلبه حتى لحقته، فقالت: يا رسول الله، إني لم أعرفك، فهل لي أجر إن صبرت؟ فقال: الأجر مع الصدمة الأولى»^(١).

الجواب

وهذه الرواية أيضاً لا دلالة فيها على حرمة البكاء، وإلا كان المناسب أن يقول ﷺ لها: لا تبكي. لا أن يقول ﷺ: اصبري. لوضوح أنّ البكاء لا ينافي الصبر، بل الذي ينافيه هو الجزع، فالبكاء تجسيد لاستجابة عاطفية وتأثر وتفاعل نفسي، وهو لا يلازم الجزع. وقد يحصل الجزع من دون بكاء والبكاء من دون جزع؛ ولذا نبكي على ما اقترفنا من ذنوب دون جزع، ونبكي خوفاً من يوم القيامة دون جزع.

الدليل الثالث

ومنها: ما استدللّ به العامّة من أحاديث وردت بمضمون أنّ الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه، وهي روايات منقولة عن عمر بن الخطاب وابنه وغيرهما، وقد رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما^(٢)، وغيرهما.

ومنها: ما كان يفعله الخليفة الثاني من ضرب النائحات.

الجواب

- ١- إن دلالتها غير واضحة.
- ٢- مشكلة السند.
- ٣- إنّ هذا النقل معارض بما نقله ابن عباس من أنّه لما مات عمر ذكر هذا المضمون لعائشة عنه، فقالت: «... والله، ما حدّث رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) أنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٢، ص ٨٢. النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤١.

وسلم) إنّ الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم) قال: إنّ الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه. وقالت: حسبكم القرآن، ولا تزر وازرة وزر أخرى»^(١).

وأما ما نقله ابن عمر، فقد قيل لها: «إنّ عبد الله بن عمر يقول: إنّ الميت ليعذب ببكاء الحي. فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، وأما إنّه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنّما مرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) [وسلم) على يهودية يُبكي عليها، فقال: إنّهم ليبكون عليها وإنّها لتُعذب في قبرها»^(٢).
ولا أرى موجباً للإطالة في ردّ ما ذكر أنّه دال على الحرمة.

المبحث الرابع: وجوه تقديم أدلة الجواز على فرض المعارضة

لو سلّمنا تمامية سند ودلالة الروايات التي قيل أو يمكن أن يقال بدالاتها على المنع عن البكاء، فتكون حينئذٍ معارضة لأدلة الجواز، ولا شكّ في تقديم روايات الجواز لوجوه:

الوجه الأول

إنّ من أدلة الجواز سيرة العقلاء، إذ لا شكّ في جريانها على البكاء على الموتى، والسيرة من وسائل الإثبات الوجداني، والروايات غير القطعية في سندها، أو دلالتها، أو فيها معاً، لا تجاري السيرة ولا تنهض في مقابلها.
نعم، قد يُتوهم بأنّ الدليل على الجواز هو إمضاء السيرة وليس السيرة نفسها، والإمضاء متقوم بسكوت الشارع المقدّس وعدم الردع عنها، وهذه الروايات المانعة إذا تمت سنداً ودلالة فهي التي تُثبت الردع، فتقدّم.

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٢، ص ٨١. النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤٣.

(٢) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤٥.

وهذا مردود بعدم صلاحية مثل هذه الروايات - على فرض تماميتها - للردع عن مثل هذه السيرة المستحكمة، بل لا بد أن يكون الردع متناسباً مع استحكام السيرة، هذا مضافاً إلى أن بعض الروايات قد فصلت بين البكاء فجوزته، والجزع والنوح فردعت عنه، فتخصّص إطلاقاً روايات المنع لو تمت.

الوجه الثاني

إن من ضمن أدلة الاستحباب سيرة المشرّعة التي تعني أن مأخذها من الشارع المقدّس، وهذه السيرة لا يمكن أن يرد عنها منع، فالشارع لا يمكن أن يردع عمّا أمر به؛ لأنّه سيقع في التناقض، وهو أمر محال. فتكون سيرة المشرّعة دليلاً قطعياً على الجواز، ولا تكون دليليتها معلّقة على عدم الردع؛ إذ لا يُعقل الردع، فالفرق بين السيرة العقلائية وسيرة المشرّعة هنا هو أنّ حجية السيرة العقلائية ناشئة من إمضائها، وإمضاؤها يتوقف على عدم الردع عنها، أمّا سيرة المشرّعة فهي بذاتها كاشفة عن موقف الشارع المقدّس؛ لأنّها ناشئة منه ومأخوذة عنه، فتكشف عنه كشفاً إنياً، أي: كشف المعلول عن علته^(١).

الوجه الثالث

إن من أدلة الجواز فعل المعصوم عليه السلام، ودلالة الفعل على الجواز قطعية بحكم عصمة المعصوم عليه السلام، نعم، من جهة السند قد لا تكون هذه الروايات قطعية، لكنّها متواترة بلا شك، وقد ذكرنا بعضاً منها في طيّات البحث، فيكون السند قطعياً أيضاً؛ إذ نجزم من خلال هذه الروايات أن بعض المعصومين عليهم السلام قد بكى قطعاً على الميت، بل نجزم بأن بعضهم - على الأقل - قد بكى على الحسين عليه السلام.

(١) أنظر: الهاشمي، محمود، بحوث في علم الأصول (تقرير بحث السيّد محمد باقر الصدر رحمته): ج ٤،

نعم، قد يقال: إن الحكم بجواز البكاء لهم عليه السلام قد يكون لخصوصية فيهم، كما الحكم بوجوب صلاة الليل على المعصوم عليه السلام^(١)، وفي مثل ذلك لا يسري الحكم على غيرهم عليه السلام.

ولكن القول بالخصوصية مردود لأمر:

١- الأصل، وهو الاشتراك في الأحكام بمقتضى كونهم أسوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢)، ولا نرفع اليد عن ذلك إلا في خصوص ما دلّ عليه الدليل، كالمورد الذي أشرنا إليه قبل قليل، وفي محلّ كلامنا لا شاهد على الاختصاص، بل قامت الأدلة على العمومية في الحكم.

٢- إن صدور البكاء من المعصومين عليه السلام قبل واقعة كربلاء يُبعد إلى حدّ كبير اختصاص الحكم بهم عليه السلام، وما دلّ على بكاء الأنبياء السابقين عليه عليه السلام يدعم هذا الاستبعاد أكثر، فضلاً عن أنّ بكاء المتأخرين من الأئمة لا وجه فيه للاختصاص بهم دون بقية الناس.

٣- إنّ ما ثبت من موارد الاختلاف لكونه على خلاف قاعدة التأسّي اقتضى التنبية عليه؛ ولذا ورد النصّ بوجوب صلاة الليل في أكثر من رواية، مع أنّ المورد

(١) روى الشيخ بسنده عن عمّار الساباطي قال: «كنا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام بمنى، فقال له رجل: ما تقول في النوافل؟ فقال: فريضة، قال: ففزعنا وفرع الرجل. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما أعني صلاة الليل على رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ الله يقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ...﴾. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤٢.

وجاء في المحاسن مسنداً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام يقول: إنّنا أهل البيت أمرنا أن نطعم الطعام، ونؤوي في النائبة، ونُصلي إذا نام الناس». البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ٢، ص ٣٨٧.

فإنّ قوله: (إنّا) فيه دلالة على الخصوصية، وقد يقال: إنّ الخصوصية أنّهم غير تاركين لها. ولكن ربما قد لا يتركها غيرهم أيضاً؛ وعليه فالمراد أنّها واجبة عليهم.

(٢) الأحزاب: آية ٢١.

من الاختلاف في الوجوب والاستحباب، بخلاف موردنا؛ إذ إن الاختلاف حاصل بين الجواز والحرمة، فالمورد الأول (صلاة الليل) مطلوبة شرعاً من المعصوم عليه السلام وغيره، وكونها واجبة على المعصوم عليه السلام أمر لا يضرّ عامّة المكلفين إذا جهلوه، وإتيان المعصوم عليه السلام بها بحسب العادة لا يكون أمام الناس، ومع ذلك نصّت عليه الروايات، فبما ترى هل تغفل الروايات عن بيان حرمة البكاء مع صدوره مراراً وتكراراً من المعصومين عليهم السلام كما مرّ سابقاً، فقد بكى السجادة عليها السلام سنوات متعدّدة أمام الناس ولم يذكر ولو لمرة واحدة أنّ جواز البكاء خاصّ به، أمّا غيره فيحرم عليهم البكاء على أمواتهم، بل على أئمّتهم أيضاً؟!!

ولو تنزّلنا والتزمنا بمعارضة هذه الروايات لأدلة البكاء، وأغفلنا النظر عن المرجّحات المتقدّمة، فإنّ الأمر سيؤول إلى تساقط الطائفتين؛ وحينها نرجع إلى الأصل الذي هو جواز البكاء.

خاتمة

بعد أن تمّ الدليل على رجحان البكاء على الحسين عليه السلام، لا يُجّال السؤال إلى البحث عن الفائدة من ذلك، أو ما الداعي إليه، مع علمنا بأنّه عليه السلام قد عبّر بموته من دار البؤس إلى النعيم الدائم من خلال أفضل قنطرة لذلك وهي قنطرة الشهادة، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «فوق كلّ ذي برٍّ برٌّ، حتّى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ»^(١)؟ فالداعي إلى البكاء هو رجحان هذا الفعل شرعاً، أي: مطلوبيته من قبل الشارع المقدّس.

نعم، يمكن السؤال: كيف لي أن أحزن وأفجع وأبكي على أمر غاية في الحُسن، فإن أفضل ما تتمناه لنفسك ولمن تحبّ هو الراحة الأبدية والنعيم الذي لا يزول، والشهادة طريق إلى ذلك، والحزن شيء له أسبابه الحقيقية، ولم يتوفّر ذلك في سادة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٤٨.

الخلق والدين، فكيف يتسنّى لي أن أبكي، ولو كان البكاء راجحاً شرعاً، فرجحانه
فرع إمكانه، وإمكانه مرهون بإمكان أسبابه وتوفرها؟

فهذه شبهة يجاب عنها بالنقض والحلّ:

إمّا النقص فيما ورد سابقاً من بكاء السيّد الزهراء عليها السلام مدّة بقائها بعد رحيل
أبيها إلى الدار الآخرة، وبكاء السجادة عليها السلام دهرأ لمصاب أبيه، وهما يعلمان أن الموت
كان قنطرة العبور إلى الجنّة. وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يأتي بالنساء ليبيكين على حمزة عمّه حين
رأى أنّه لا بواكي له، مع أنّ حمزة سيّد الشهداء.

وإمّا الحلّ، فإنّ البكاء على المتوفّي لا يكون مرهوناً بما سيقع عليه بعد الموت، فإنّه
استجابة لحالة تعيشها النفس من وحشة الفراق، أو إحساس بالأسى والظلم الذي
نال المتوفّي، وكلّما كان الميت ذا منزلة أكبر عند النفس كانت الاستجابة العاطفية
أعظم، والأجيال التي لم تُدرك أئمّتها في حياتها - وإن لم تتحقق منها وحشة الفراق
الناشئة من القتل - فإنّ إحساسهم بالأسى والظلم الذي حلّ بسادة الكون على أيدي
أراذل الخلق يوجب حرقة القلوب وشجاها، وإيلام النفس وجواها.

وقد يكون مجرد الخوف من وقوع المكروه موجباً للأسى، فقد يبكي الأب خوفاً
على أولاده بعد رحيلهم، من خطر لا يجزم نزوله بهم، ونوازع النفس ومحركاتها لا
تعرض على العقل قبل تأثيرها، فللعقل مضماره وللنوازع ميدانها.

ونحن لا نحتاج إلى جواب حلّي أو نقضي بمثل ما ذكرناه من الأمثلة ما دامت
المسألة وجدانية، فالكثير ممّا يذرف الدموع عند ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام رغم
تقادم السنين عليها، في وقت لا نبكي عند ذكر فقدان أحبّتنا مع مرور سنوات قليلة
على ذلك الفقدان.

والنتيجة: إنّ في مثل محلّ الكلام تكون وجوه الاستبعاد وجوه باطلة قطعاً، فهي
وجوه لو تمت كانت نتيجتها السلب الكلّي - كما يعبرون في علم المنطق - والسلب
الكلّي منتفٍ لو تحققت مفردة واحدة، فكيف إذا كانت المفردات بالآلاف بل

بالملايين؟ وأمّا ما يقال: من أنّ الحزن له أسبابه في التكوين، فإنّه وإن كان تاماً إلا أنّ ذلك لا ينفي دخوله تحت قدرة المكلف، فإن الأشياء الداخلة تحت اختيارنا صنفان: منها ما يكون مقدوراً لنا بشكل مباشر، كالأكل والشرب والقراءة والكتابة والكلام وغيرها، ومنها ما يكون مقدوراً من خلال القدرة على مقدّمته الموصلة إليه جزماً، كالحبّ والبغض والحزن والفرح؛ ومن هنا صارت مثل هذه الأشياء محلاً ومورداً للتكليف، مع أنّ التكليف لا يتعلّق إلا بما نقدر عليه، وهي وإن كانت خاضعة لأسبابها التكوينية وتتولّد عنها حصراً، إلا أنّ قدرتنا على تلك الأسباب التكوينية يجعل المسببات المترتبة عليها مقدورة أيضاً، فصحّ أن يأتي الخطاب القرآني: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، وصحّ أن يقال: «نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح، وهمّه لأمرنا عبادة...»^(٢)، وقد مُدحت الشيعة وفق لسان أهل البيت عليهم السلام بأنهم: «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»^(٣).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الاختصاص، محمد بن محمد المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ٢ - الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني، نشر: دار إحياء التراث العربي.
- ٣ - الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١) الشورى: آية ٢٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٢٦.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠٤.

- ٤ - الأمالي، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية (مؤسسة البعثة)، قم المشرفة، نشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٥ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٦ - بحوث في علم الأصول (تقرير بحث السيد محمد باقر الصدر رحمته الله)، محمود الهاشمي، نشر: مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٧ - تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٨ - تفسير فرات، فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، نشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٩ - الخصال، محمد بن علي الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣ هـ / ١٣٦٢ ش.
- ١٠ - الخلاف، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جماعة من المحققين، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٧ هـ.
- ١١ - دعائم الإسلام، النعمان بن محمد المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، نشر: دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.
- ١٢ - روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان، نشر: منشورات الشريف الرضي، قم المشرفة.
- ١٣ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- ١٤ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، نشر: دار الفكر، بيروت - لبنان.

- ١٥ - عيون أخبار الرضا، محمد بن علي الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، نشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
- ١٦ - فهرست أسماء مصنّفي الشيعة، أحمد بن علي النجاشي، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ.
- ١٧ - قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، نشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ١٨ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ ش.
- ١٩ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، نشر: مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٢٠ - كفاية الأثر، علي بن محمد الخزاز القمي، تحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، نشر انتشارات بيدار، ١٤٠١ هـ.
- ٢١ - مثير الأحزان، محمد بن جعفر بن نما الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م.
- ٢٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، نشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٢٣ - المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، تحقيق: السيّد جلال الدين الحسيني، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ هـ / ١٣٣٠ ش.
- ٢٤ - المغازي، محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، نشر: داناش إسلامي، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٥ - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، نشر: مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

٢٦ - مناقب علي بن أبي طالب، علي بن محمد بن المغازلي، نشر: انتشارات سبط النبي ﷺ،
الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ١٣٨٤ش.

٢٧ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٨ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق وتصحيح: الشيخ عبد الرحيم
الرباني الشيرازي، نشر دار: إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة،
١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

سمات قادة الثورات الحسينية في العهد الأموي

الشيخ حيدر العريضي*

مقدمة

يكن سرّ ديمومة أثر نهضة الإمام الحسين عليه السلام المباركة بحكمة تخطيطه عليه السلام المؤيد بالوحي الإلهي، فقد أيقظت صرخته الضمير الإسلامي من سباته، وأفضت مضجع الطغاة؛ لأنّ تلك الفاجعة قد أثارت نفوس المسلمين، وأحرقت أفئدتهم، حتّى تجذّر انفعالها بعمقٍ تذوب فيه الأنانية، وتبثّ في النفس جذوة الروح الجهادية، والميل للدفاع عن الكرامة والتضحية بالغالي والنفيس تحت شعار (هيهات منّا الذلّة).
لقد ثبت «بأدلة غير قابلة للخرق أنّ قلب نظام الأخلاق الأموية الفاسدة، كان هو الهدف الأوّل والغاية الأسمى للإمام الحسين عليه السلام في ثورته الجبارة»^(١)، ف«الحسين مفخرة الدهر، وغرّة جبين التاريخ، ومشعل الحرية، وكمال الشرف الإنساني، وعنوان كلّ فضيلة، يحقّ لكلّ مؤمن وحرّ، بل ينبغي أن يرفع للحسين - مفخراً - برفقاً أينما كان، وينصب له في كلّ قرية منبراً يصدع من عليه بيانات الثورة الحسينية أسوة كلّ الثورات. فالحسين القدوة الأجل، وثورته ثورة الحقّ الذي تتوق إليه الأمم، فيفتخر - ويحقّ له ذلك - كلّ من انتسب إلى الحسين بالسبب والنسب، كما انتسب سلمان إلى البيت النبوي الشريف بالسبب، حينما قال رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله: سلمان منّا أهل البيت»^(٢). وكما أعلنها

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

(١) البحراني، عبد العظيم المهدي، من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥١.

(٢) البياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص ٣٣١.

المسيحي بقوله: «لو كان الحسين لنا لرفعنا له في كل بلد بيقاً، ولنصنبا له في كل قرية منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين»^(١).

إن الأثر الكبير لثورة الإصلاح الحسينية يتضح جلياً في تفجير ما تلاها من ثورات عسكرية، مما يدل على قوة تأثير الثورة في ذهنية الأمة بشكل عام كمفهوم ثقافي جديد يتأصل في تصورات الأمة، من خلال شخصيات رجالها، واتمائهم، ومواقعهم في حياة مجتمعاتهم القبلية، ومواطنهم الجغرافية.

إن للقيم التي حملها الحسين عليه السلام، ورفعها شعاراً، وجسدها بمواقفه في الطفوف، أثراً كبيراً في نهضة الأمة، يوازي تأثير المأساة التي حدثت في كربلاء، فهزت الضمير الإسلامي هزاً عنيفاً، تفجرت عبره ثورات عدة، فالتأثرون ينظرون إلى الثورة الحسينية بوعي زرع الحب والتقديس في قلوبهم، فهي جزء نابض بالحياة من تاريخهم، وهم يعتمدون في حكايتهم لأحداثها على مصادر ذات صلة وثيقة بالثورة^(٢).

يتميز الطالبون بدم الإمام الحسين عليه السلام في العهد الأموي بقرهم العهدي أو معاصرتهم لأحداث الفاجعة العظمى، فمنهم من أعرض عن الاستجابة لواعية الإمام عليه السلام فاحترق بنار ندمه، ومنهم من كان مُعيباً في قعر السجون الأموية أو محاصراً في الكوفة، وثالث لم يدرك أحداثها بسبب حادثته أو ولادته بعدها بمدّة وجيزة ليستمتع لأحداثها ممن عاشوها مباشرة، فكانت الثورة الحسينية حقيقة مقرّها الضمير الإنساني، وأقل ما يُقال في حقها: إنها بحر العطاء، وديمومة السبق والبناء؛ إذ أيقظت الأمة من رقدتها، واستنهضت الهمم من سباتها؛ لتستلهم من جود كربلاء ما يروي هيامها، فكانت كربلاء ميزان الفصل، والحكم العدل لجميع معضلات الأمم ومشكلاتها، ومصدر الحلول الناجعة^(٣)، فبعد الفاجعة تعرّض الشيعة للقتل والتكيل

(١) بارا، أنطون، الحسين في الفكر المسيحي: ص ٧٢.

(٢) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص ٢٢-٢٦.

(٣) أنظر: السند، محمد، الحداثة - العولمة - الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية: ص ٩.

مما أضرهم إلى الثورة ضدّ الأمويين حتّى أصبحوا مصدر رعب لمملكتهم الخاوية. لقد كشفت الثورة الحسينية الفكرية والسياسية عن المشروع الأموي وأدّت إلى إسقاطه، ولكن لم يتمكّن الشيعة من تكوين كيان سياسي، أو مركز علمي، أو خطٍ فكري واضح يُسهم من خلاله فهم التيار الشيعي فهماً واضحاً؛ وذلك لأنّ بعضهم اشتركوا بالثورة مع آل الزبير، وإلى جنب الموالي، والآخر طلب تكفير ذنبه بحركة استشهادية، وأصبح شعارهم المشترك والمعلن - بـ(الرضا من آل محمد) و(الروح إلى الجنة) - فضفاضاً يستوعب الكثير من الأشكال والأفكار والاتجاهات، فحب آل محمد كشعار وحقيقة استقطب الكثير، وكان عابراً للطائفية، ولكنّه لم يترجم إلى منهج قويم لإنشاء دولة إسلامية.

إنّ أبرز تلك الحركات الثورية تتجلّى في قيادة ثلاث شخصيات إسلامية: الأولى بقيادة المختار الثقفي، والثانية بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، والثالثة بقيادة زيد ابن علي بن الحسين السبط عليه السلام، فأسهّم هذا التنوع في تعدد الاتجاهات الشيعية، ولا يمكن التمييز بينها إلّا بدقة النظر وبذل الجهد في مراجعة النصوص الشرعية لأئمة أهل البيت عليهم السلام ^(١).

ومن تلك المعطيات ينطلق الباحث للتحقيق في سمات تلك الشخصيات الثائرة - الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية - من خلال اعتماد الأخبار الصحيحة والمحقّقة، والسير الموثّقة بالبيّنات التاريخية؛ لأجل التعرّف على تلك القيادات الثائرة ونتائج ثوراتهم، وأثرها في التاريخ الإسلامي، مع التحليل العقلي لتلك الوقائع المهمّة في حياة المسلمين، وسيكون البحث مخصّصاً لإبراز الجوانب المؤثرة في صياغة القيادة الناجحة والإمرة الخلّاقة، كالنسب والمنشأ، ثمّ بيان الجانب الديني والأخلاقي مع

(١) أنظر: الساعدي، حسين، المعلى بن خنيس: ص ٢٥-٢٦.

التركيز على الصفات الكمالية كالشجاعة، والساحة، والزهد، والسياسة، وغيرها من الصفات المؤهلة لتسبب هذه المواقع الخطرة في حياة المسلمين.

تمهيد

١- معنى (ثأر) لغةً واصطلاحاً

ورد في معاجم اللغة أن «الثأر والثورة: الذحل، يُقال: ثأرت القتيل وبالقتيل ثأراً وثورة، أي: قتلت قاتله. قال الشاعر:

شفيت به نفسي وأدركت ثورتني بني مالك هل كنت في ثورتني نكسا
والثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره. ويقال أيضاً: هو ثأره، أي: قاتل
حميمه، قال جرير: قتلوا أباك وثأره لم يُقتل. وقولهم: يا ثارات فلان، أي: يا قتلة فلان...
واستأثر فلان: استغاث ليثأر بمقتوله»^(١).

إذاً؛ فالثأر لغة يعني: طلب الحق المسلوب ظلماً وعدواناً، والثورة هي من نتاج طلب الثأر كما ويشتق معناها من الثأر، وقد جاء في المعاجم أن «الثور: ما علا الماء من الطحلب... وقد ثأر الطحلب ثوراً وثوراً وثورته وأثرته... وثورته واستثرته كما تستثير الأسد والصيد»^(٢).

وأما في الاصطلاح فيعني: أن يقوم أولياء الدم (أقارب القتيل) بقتل القاتل، وهو ما يشابه في اصطلاحه معنى القصاص الشرعي، من القصاص الذي يعني تتبع الأثر وتلقي المجرم عقابه بمثل ما فعل^(٣)، وهو كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

مما تقدم يستنتج المتبع لمعنى الثأر لغةً واصطلاحاً مفاهيم عدة تتعلق بالنهوض

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٦٠٣.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ١٠٩.

(٣) أنظر: الزبون، إسلام، معنى القصاص: ص ٢، على الموقع: <https://mawdoo3.com>.

(٤) البقرة: آية ١٧٩.

والخروج عن حالة السكون إلى حالة الانفعال والهيجان، وتتبع أثر الظالم والمجرم بحقِّ الثائر حتى ينال منه مراده بمثل ما اقترف من ذنب بحقِّ الثائر.

٢. سمات القيادة الصالحة

عندما نستنطق القرآن الكريم وسُنَّة المعصومين عليهم السلام لمعرفة صفات القيادة الصالحة، يجد الباحث الاهتمام البالغ بمسألة تعيين القيادة الشرعية؛ لخطورة هذا المنصب في حياة المسلمين، ومن هذه الصفات:

أ- ما قاله تعالى في محكم كتابه: ﴿قَالَ لَا يَبَأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فالظلم لا يتناسب مع عدالة الشريعة الحقَّة ولا ينسجم معها، كما قيلَ في الحكمة: (العدل أساس الملك). فالقيادة الثائرة لأجل الإصلاح لا بدَّ أن تكون معروفة بصلاحتها لكي تتمكن من تحقيق العدل، فمن صفات القادة إلى طريق الحقِّ أنهم معروفون بالصلاح والاستقامة، ومعرفتهم تكون حُجَّة على خصومهم، وتسدُّ ذريعة قتالهم ومخالفتهم، فلو كان قادة الحقِّ مجهولين لتذرَّع المنافقون بذلك، كما قال تعالى: ﴿أَمْرًا يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٢).

ب- إنَّ المصلح لا يستسلم أبداً لأهواء الناس، ولا يحمل الناس على سجعف الجهل وبدع الضلال وانحراف المسار.

ج- عدم المطالبة بالأجر من الناس، أو أخذ شيء في مقابل نشر الحق؛ ليقبوا أحراراً في نشر دعوتهم بين الناس^(٣).

وعند الرجوع إلى النصوص الإسلامية سنجد أنَّها أشارت إلى مواصفات كثيرة لا بدَّ من توافرها في القائد الإسلامي، أذكر منها ما يلي: أن يكون ذا قلبٍ عقول،

(١) البقرة: آية ١٢٤.

(٢) المؤمنون: آية ٦٩.

(٣) أنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٤٨٢.

ولسان قوول، وجنان على إقامة الحق صؤول، وأن لا يكون بخيلاً، ولا جاهلاً، ولا جافياً، ولا خائفاً، ولا مرتشياً، ولا معطلاً للسنن، ولا باغياً، ولا فاسقاً، وأن يكون ورعاً، وحليماً، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم، وأن يكون الأعراف بشؤون المسلمين، وأن يكون أقوى الناس على أمر الولاية وأعلمهم بأمر الله تعالى فيه، وأن يكون عالماً بالله، أميناً على حلاله وحرامه، وأعلم الناس بما جاء به الأنبياء، وأن يكون الأعلم بأحكام الشريعة، وأن يكون أقرأ لكتاب الله تعالى والأقرب لله تعالى، وأن يكون عفيفاً عالماً ورعاً عالماً بالقضاء والسنة، وأن يكون خير الناس وأشجعهم، وغيرها من أوصاف كثيرة أخرى يمكن استفادتها من الروايات المباركة^(١).

إذا؛ شروط القيادة الصالحة هي ما يوجب تحقيق ذلك الصلاح المنشود من العلم والتقوى، والشجاعة والسياسة، والتدبير والعقل الراجح وغيرها. وهناك واجبات كثيرة تلقى على عاتق القائد في ثورة الإصلاح لا بد أن يجتهد الثائر في تحقيقها والقيام بها، ومنها: مشاوره الخبراء من أنصاره وأخذ رأيهم، وعدم الاستبداد بالأمر دونهم^(٢)؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣).

٣- أفق واعية الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

بعد الفاجعة الكبرى في كربلاء دبّ الندم والأسى في نفوس المسلمين؛ تأسفاً على غيابهم عن نصره الحق واغتنام فضيلة الفتح، فكانوا على ثلاثة أقسام بحسب الاستقراء وهي كما يلي:

الأول: الذين كانت لديهم أعدار في عدم تمكنهم من الحضور ونصرته عليه السلام؛ بسبب السجن أو الحصار أو البعد.

(١) أنظر: العاملي، جعفر مرتضى، مختصر مفيد: ج ١١، ص ٢٥٦-٢٥٩.

(٢) أنظر: التهامي، السيد سابق محمد، فقه السنة: ج ٢، ص ٦٤٠-٦٤٣.

(٣) آل عمران: آية ١٥٩.

الثاني: الذين كاتبوه ودعوه للدفاع عنهم، وفي آخر المطاف وفي الموقف الحرج تركوه وهم قادرون على نصرته والدفاع عنه .

الثالث: الذين دعاهم ولم يستجيبوا، أو استجابوا بادئ الأمر، ثم تركوه في الطريق أو في ساحة المعركة.

إنَّ التساؤل المهم الذي ينبغي أن يُطرح هو: ما أفق إجابة واعية الإمام الحسين عليه السلام الموجبة لبلوغ الفتح؟ هل تقتصر على مَنْ استشهد في كربلاء، أم تشمل كلَّ مَنْ استشهد من بعدها طلباً لثأر سيّد الشهداء؟

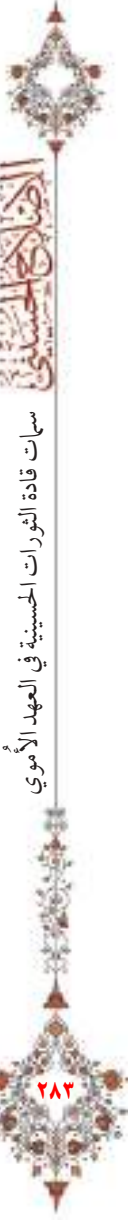
إنَّ سبل تلبية نداء الإمام الحسين عليه السلام مشروعة أمام الطالبين بثأره - كلِّ بحسب معطيته - في كلِّ زمانٍ يستبدُّ فيه الحكام ويظلمون رعيتهم، فساحة الجهاد واسعة تستوعب كلَّ حرٍّ يأبى الضيم ويرجو السعادة في الدارين، فكلُّ أرضٍ قد تكون كربلاء، وكلُّ يومٍ قد يكون عاشوراء، وحتى ظهور صاحب الثأر الأكبر الإمام الحقِّ المهدي المنتظر ليملاًها قسطاً وعدلاً.

المبحث الأول: سمات القائد المختار بن أبي عبيد الثقفي

من أشهر قادة الثورات ضدَّ الأمويين وأبرزهم، ومن أكثرهم جدلاً بين أرباب السير والتاريخ وأهل التحقيق، فقد اختلفوا في عقيدة المختار الثقفي وسيرته وأخلاقه مع اتفاقهم على نجابته وشجاعته ونبله، وفيما يلي سرد تحليلي ومفصّل لنشأته وسيرته وعقيدته.

النشأة والنسب

هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عفرة بن عميرة بن عوف بن ثقيف، وُلِدَ في العام الهجري الأول في القطيف على مقربة من مكّة المكرمة، وأبوه أبو عبيد من الصحابة، أدرك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولم يره، إذ عاش في القطيف وانتقل إلى المدينة في عهد عمر بن الخطاب، استشهد والده مع عمّه (الحكم)



وأخيه (جبر) أثناء قيادتهم معركة كبيرة مع الفرس على الجسر من بغداد ضمن الفتوحات الإسلامية، وكان عُمَرُ المختار ثلاث عشرة سنة آنذاك^(١). وجدّه مسعود بن عمرو، وهو الرجل العظيم الذي جاءت حكايته على لسان المشركين في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٢)، الذي أسلم السنة التاسعة للهجرة، وقتله قومه وهو سيدهم بسبب إسلامه، ولقبه رسول الله بصاحب ياسين، وأما أمّه دومة بنت وهب بن عمرو بن متعب، تزوجها أبو عبيد على إثر رؤيا تحته على زواجها وأن لا يستمع للاثم، بعد امتناعه عن الزواج من النساء، وانجبت له المختار وكنيته (أبو إسحاق) ولقبه (كيسان)؛ بسبب تبرّكه بيد الإمام علي عليه السلام وهو صغير، فقد مسح عليه السلام على رأسه وناداه متوسماً فيه الخير (يا كيّس يا كيّس)، والكيّس: هو الفطن^(٣)، ومن ناحية النسب يكون المختار ابن عمّ والد السيّدة ليلى (أم علي الأكبر)، وهي بنت أبي مرّة ابن عروة بن مسعود الثقفي^(٤).

عُرف عنه أنّه كان فارساً شجاعاً، وقد ورث هذا عن أبيه^(٥)، وكانت خاتمة حياته في الكوفة، وقد دخل ربيع السّادس والسّتين، ومع كلّ هذه الوثائق يجد الباحث أنّ بعض المؤرخين يتّهمه باطلاً ببعض أهل بيت الرحمة والخروج عن ولايتهم؛ متأثرين بأقلام البلاط الأموي الحاقدة على حركة المختار الثقفي ضدّهم.

عقيدته وأخلاقه

لا يشكّ أيّ متتبّعٍ للتاريخ الإسلامي في أنّ المختار تحرّك بشعار الأخذ بثارات

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) الزخرف: آية ٣١.

(٣) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، زيد الشهيد عليه السلام ويليّه كتاب تنزيه المختار: ج ١٠، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) أنظر: شبر، جواد، أدب الطّف أو شعراء الحسين: ج ١، ص ٢٧٤.

(٥) أنظر: المقرّم، زيد الشهيد عليه السلام ويليّه كتاب تنزيه المختار: ج ١٠، ص ٢٩٧. البلاذري، أحمد بن

يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢١٤.

الإمام الحسين عليه السلام، وقد وصفته بعض نساءه أمام مصعب بن الزبير (قاتله) بتحدُّ أنه: «رجل يقول ربِّي الله، كان صائمَ نهاره، قائمَ ليله»^(١)، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهله وشيعته، فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس»^(٢).

والغريب في الأمر أن يجد الباحث عن حقيقة المختار تناقضاً في كتب بعض المؤرخين، فإنَّ بعض مَنْ طعن بتاريخه وتدوينه في موضع، تجده يذكر فيه مدحاً فيما نقله من قول المختار مُقسماً في سجن ابن زياد: «أما وربُّ البحار، والنخيل والأشجار، والمهامة والقفار، والملائكة الأبرار، والمصلين الأخيار، لأقتلن كلَّ جبار، بكلِّ لدن جسامٍ خطار، ومهندٍ بتار، بجندٍ من الأخيار، وجموعٍ من الأنصار، ليسوا بميل الأغمار، ولا بعزل أشرار، حتى إذا أقمتُ عمود الدين، وجبرتُ صدع المسلمين، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين، وأدركتُ ثار أولاد النبيين، لم أبلِك على زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا دنا»^(٣).

الظاهر أنَّ شهادات القدح والمدح في شخصية المختار ارتهنت بالظرف التاريخي لحال المختار ودوره، علاوة على ميول المؤرِّخ، فأغلب شهادات المدح كانت تُشير لجهاده وطلب الثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، أي: حال كونه ثائراً ومضحياً مغواراً، وأمَّا مرويات القدح والجرح فقد صدرت في حال تسنمه إمرة الكوفة واستتباب الأمر له، وجلوسه على عرشها، أي: حال كونه أميراً. فأما ما يتعلَّق بالطائفة الأولى من مرويات الإشادة بالمختار وبيان سماته بالمدح، فقد مرَّ بعضها بذكر سلامة سيرته، وحُسن إسلامه، والثناء عليه بما قدَّمه من جهود بطولية في أخذ الثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وسأذكر المزيد منها فيما يلي:

(١) أنظر: البيهقي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ البيهقي: ج ٢، ص ٢٦٤.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج ٣، ص ٩٩.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٧٤.

يرى المفسر الكبير الأندلسي أن أحد وجوه تأويل الآية: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ هو: «يوم القيامة. قال ابن عباس: ينصرهم بالغلبة، وفي الآخرة بالعذاب. وقال السدي أي: بالانتقام من أعدائهم... وما قتل قوم قط نبياً أو قوماً من دعاة الحق إلا بعث الله من ينتقم لهم، فصاروا منصورين فيها وإن قُتلوا، انتهى. ألا ترى إلى قتلة الحسين عليه السلام، كيف سلط الله عليهم المختار بن أبي عبيد يتبعهم واحداً واحداً حتى قتلهم؟»^(١)، فالرضا بادٍ في ثنايا كلمات المفسر عمّا قام به المختار وجهاده، وجعله مصداقاً لأحد أسباب العقوبة الإلهية، وإن كانت قد تجري أسبابه على أيدي غير المؤمنين في بعض الأحيان. وربّ متسائلٍ باستغرابٍ يسأل: أليس ما قام به المختار من أخذ الثأر يُعدّ مكرمة تدعو إلى السكوت عن دقائق ما قد يُتهم به أو ما أخطأ فيه - وهو غير معصوم - على الأقل؟!، وما يؤيده صدور الترحّم على المختار - باستفاضة - عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فعبد الله بن شريك قال: «دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكئ، وقال: ... دخل عليه شيخ من أهل الكوفة، فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال: من أنت؟ قال: أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعداً من أبي جعفر عليه السلام، فمدّ يده إليه حتى كاد يقعه في حجره بعد منعه يده، ثم قال: أصلحك الله، إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول - والله - قولك. قال: وأي شيء يقولون؟ قال: يقولون كذاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته. فقال: سبحان الله! أخبرني أبي - والله - أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أو لم يبين دورنا؟ وقتل قاتلينا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله... رحم الله أبك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه»^(٢).

فالترحّم صريح، وهو مانع بمقتضى قول الإمام عليه السلام أن يُتعرّض له بالسبّ والذمّ دون النقد الموضوعي، والتزاماً برأي ابن عباس عليه السلام حينما طلب ابن الزبير منه سبّ

(١) الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط: ج ٧، ص ٤٥٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٤٣.

المختار، فأجابه على حدّ نصّ قوله: «ذاك رجل قتل قتلنا، وطلب ثأرنا، وشفى غليل صدورنا، وليس جزاؤه منّا الشتم والشهامة»^(١). وتُشير الأخبار إلى قيام أهل بيت النبي ﷺ وذريتهم كافة بإظهار الفرح، وترك الحداد والحزن حين ثأر المختار من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، مما يدلُّ على تعاطفهم - عملياً وعلنياً - مع المختار وحركته، فلما أرسل المختار برؤوس قتلة الإمام الحسين عليه السلام إلى الإمام السجاد عليه السلام، خرَّ الإمام ساجداً، ودعا له، وجزّاه خيراً^(٢).

ومن جملة الأخبار المادحة لسيرة المختار ولمواقفه الجهادية في نصرة الثورة الحسينية، ما ورد من موقفه مع سفير أبي الأحرار مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد كانت دار المختار الثقفي أول منزل لمسلم بن عقيل في الكوفة وحتى قدوم الطاغية ابن زياد الكوفة^(٣)، وحين اندلاع ثورته كان المختار من أوائل المناصرين لحركته، فحين كان مسلم بن عقيل متوارياً عن الأنظار، دخل المختار الثقفي الكوفة متأخراً عن وقت خروج مسلم بن عقيل، وهو يحمل راية خضراء وتحوط به مواليه - وقد يعود سبب تأخر المختار إلى استعجال مسلم بن عقيل في خروجه - حتّى انتهى إلى باب الفيل من مسجد الكوفة، وهناك صدمته الحقيقة؛ لأنَّ خبر انقلاب الناس على مسلم بن عقيل لم يكن قد وصل إليه.

وإثر ذلك كان اعتقال ابن زياد للمختار وضربه بالقضيب على وجهه حتّى خبط عيني المختار وزجّه في السجن، وبعد أيام من اعتقال المختار اعتُقل ميثم التمار (رضوان الله عليه)، وأودع السجن مع المختار، وجرى حديث بينهما ينبعث منه في روح المختار أمل بالنجاة والخلاص من يد هؤلاء الأشرار، بل والشرف العظيم بأخذ ثأر سيّد الشهداء وأصحابه الأخيار، فهي بشرى ميثم التمار له - نقلاً عن نبوءة

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٢) أنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٥٧.

(٣) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٤٥.

الإمام علي بن أبي طالب - فقد أخبره قائلاً: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الذي يسجننا. فاطمأنت نفس المختار بهذا الكلام؛ لأنه واثق من مصدره ومصدق له، وأخذ الأمل يسري في عروقه، ويعد نفسه للقيام بالمهمة الكبرى^(١).

لقد مرّت مدّة من الخمول والضياع بعد فاجعة كربلاء، وكان الشيعة والموالون قد أخذوا إلى السبات بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فهم بحاجة إلى قيادة خليقة بالثورة، وما هي إلا مدّة حتّى برز بينهم القائد الذي يرتجونه في شخص المختار الثقفي الذي نشأ في ولاية عمّه سعد بن مسعود الثقفي أمير المدائن في عهد خلافة الإمام علي عليه السلام، وقد استخلفه سعد بن مسعود على ولاية المدائن حين خرج لقتال الخوارج مع الإمام علي عليه السلام، وفي عهد الإمام الحسن عليه السلام ظلّ سعد بن مسعود على ولاية المدائن بأمر الإمام الحسن عليه السلام، وقد لجأ إليه عليه السلام حين أصيب بفخذه الشريف في حادثة النخيلة^(٢).

ظلّ المختار مصراً على مبدئه في الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام والاقتصاص من شيعة آل أبي سفيان، فقد رفض منى ابن الزبير بتوليه إمرة الكوفة؛ لما خبره من سوء النية، وأن ابن الزبير لا يريد الاقتصاص من الجناة بقدر ما يريده أداة طيعة لبسط ملكه وزيادة في أعوانه^(٣).

إنّ وفاء المختار الثقفي لا يخفى أثره على كلّ متتبع لصفحات التاريخ، فقد أنقذ بحنكته محمد بن الحنفية والهاشميين من سجن ابن الزبير ومحرقة في الشعب^(٤).
وأما شجاعته فهي نار على علم، يطمع في حمايته الوليّ، ويخافه العدو، فقد تواتر

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٥٧٠-٥٧١. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج ٦، ص ٢٥٠.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ١٨٧.

(٣) أنظر: ابن نهار الحلي، جعفر بن محمد، ذوب النصار: ص ٧٧-٧٨.

(٤) أنظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج ٣، ص ٩٠٦.

ذكر شهامته وبطولاته وعموم أرباب السير بشهادتهم أنه من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفضال^(١)، فقد قتل الآلاف من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ومنهم ابن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن.

وأما عن عفو المختار وحلمه مع عدوه بعد الغلبة خاصّة، فقد ورد من مناقبه عفو عن ابن مطيع - والي ابن الزبير على الكوفة - وإرسال الأموال له ما يتقوى بها وما يمكنه من الوصول إلى المدينة بسلام^(٢).

نقد

ومما تقدّم يظهر لكلّ منصف أهمّ صفات المختار الثقفي وسماته الدينية والأخلاقية، ولا أدعي له الكمال لما شاب حركته من بعض الأخطاء الإجرائية والسياسية خلال مدّة حكمه القصيرة (ثمانية عشر شهراً)، ولكن لا تصل إلى حدّ ما ذكره بعض أرباب السير من الطعن والتشويه بشخصيته تأثراً بالضغوط الأموية؛ إذ استعملوا أساليب التزوير والاتهامات الباطلة ضدّ معارضيهم روماً في إسقاط المعارضة إعلامياً. لقد استهدفوا شخص المختار وأصحابه بأشكال من الاتهامات التي ينخدع بها بعض الناس، مثل السحر والشعوذة، كما اتهموه بدعوى النبوة والإلهوية، وما أشبه ذلك من الخرافات؛ سعياً إلى إبطال مفعول حركته، وإبعاد الناس عنه، والتشويش على نداءاته وشعاراته بالطلب بثارات الإمام الحسين عليه السلام وتأسّفه على قتله، وإعلانه عن هوية القتالين، وحمائته لبني هاشم من الأذى.

فأمّا تهمة ادّعاء المختار للنبوة، فهي باطلة - فضلاً عن دعوى الإلهوية - لعدم وجود الشواهد عليها من صريح كلامه، ولا دليل علمي يثبتها مع ثبوت سلامة عقيدته بالأدلة القطعية، فهي شبهة مقابل حقيقة ناصعة^(٣).

(١) أنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٧، ص ١٩٢.

(٢) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٣٦.

(٣) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، زيد الشهيد عليه السلام وويله كتاب تنزيه المختار: ج ١، ص ٣٢١-٣٢٢.

وأما دعوى عقيدة الكيسانية، فهي ضعيفة المستند؛ لأن هذه الفرقة غير معلومة في تشخيص إمامها ومن الذي دعا لها، ولا معلومة الفكر والعقيدة، ولا يوجد لها أتباع من الشيعة سوى ما يُنقل عن أسماء قليلة بطريق غير معتبر^(١).

وتروي عنه المصادر بطريق غير معتبر حادثةً بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية ولجوء الإمام الحسن عليه السلام إلى المدائن، حيث ولاية عامله سعد بن مسعود الثقفي، وهي أنّ المختار قال لعمّه: «هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلّم) فأوثقه؟! بئس الرجل أنت»^(٢).

والرواية غير معتبرة ويمكن توجيه دلالتها بتأويل «أن لو صحّت لأمكن أن يقال: إنّ طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدّياً، وإنّما أراد بذلك أن يستكشف رأي عمّه، فإن علم أنّ عمّه يريد ذلك لقام باستخلاص الحسن عليه السلام، فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن عليه السلام»^(٣).

ويبقى إمكان نقد حركة المختار الثقفي وإدارته للحكم في الكوفة من الناحية السياسية والأخلاقية والشرعية، فأما ما يتعلّق بنية المختار من أساس إقامة دولته في الكوفة، وماهية غايته، فهي مدار نقاش النقاد والمفكرين، فمنهم من يرى أنّ المختار الثقفي كان طالب ملك، لا غالياً في التشيع، وكان يستترّ بطلب دم الحسين عليه السلام^(٤).

إنّ حبّ الرئاسة وطلب الملك لا ينجو منه حتّى الصديقين، كما ورد في حكمة أهل المعرفة أنّ: «آخر ما يخرج من قلب الصديقين حبّ الرياسة»^(٥)، ومعه لا يستبعد

(١) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، زيد الشهيد عليه السلام ويليّه كتاب تنزيه المختار: ج ١، ص ٣٢٩-٣٣٠.

الصدر، محمد محمد صادق، شذرات من ثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٣٨-١٤٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ١٢٢.

(٣) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ١٩، ص ١٠٥.

(٤) أنظر: الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات: ج ٢، ص ٥٠١.

(٥) العاملي، جعفر مرتضى، سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور: ص ١٥٢.

أن يشوب حبَّ الملك نية المختار مع أن دافعه الأساسي هو الانتقام من بني أمية وأشياعهم، ويمكن أن يكون إعطاؤه الأمان لبعض أعوان الحكومة الأموية على شرط البيعة دليلاً على ذلك، فقد نُقل أن ابن مطيع قد حُصر ومَن معه في أشرف الكوفة في القصر ثلاثاً، «وترك القصر (واختفى) ففتح أصحابه الباب وقالوا: يا ابن الأشر، آمنون نحن؟ فقال: أنتم آمنون. فخرجوا فبايعوا المختار»^(١).

لقد ترك هذا الإمهال وإعطاؤهم الأمان أثراً سلبياً على دولة المختار وحكومته، فقد قام هؤلاء القتلة مع يزيد بن الحر بإثارة الفتن وتأليب الوضع العام ضدَّ المختار، وإشغاله عن مقاتلة ابن زياد، مما أثار غضب المختار بعد ذلك عليهم، فلاحقهم وقتلهم بجنده شرَّ قتلة^(٢).

علاوة على تقدّم هجاء الشاعر الأعشى وإشادته بجيش المختار عند لقائه بجيش مصعب بن الزبير، ومن جملة ما ورد عنه:

«فبشر شيعة المختار أما	مررت على الكوفة بالصغار
أقر العين صرعاهم وقل	لهم جم يقتل بالصحارى
وما أن سرنى إهلاك قومي	وإن كانوا وجدك في خيار
ولكنني سررت بما يلاقي	أبو إسحاق من خزي وعار

وهكذا ترى الإيمان الشيعي يتجلّى في هذا الشاعر في أنصح أشكاله، فبينما نراه يبكي التوابين سليمان بن صرد وإخوانه، وهم الذين خرجوا من الكوفة مستقتلين للطلب بثأر الحسين، ونراه يرثيهم أحرّ رثاء وينوح بشعره على مصارعهم في عين الوردية، نراه يقول في المختار هذا القول، مع أن شعار المختار كان الطلب بثأر الحسين؛ وذلك لأنَّ دعوة

(١) الكوراني، علي العاملي، جواهر التاريخ: ج ٤، ص ٣٥٨، نقلاً عن: النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب: ص ٤٥٧٥.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥١٨.

الأولين كانت دعوة صافية خالصة لوجه الحق، ودعوة الثاني كانت تُشاب بمثل هذه الشوائب وبالمطامع»^(١).

ومما يُسجّل على المختار كقائد ثوري يسير على خطى أهل بيت الرحمة، هو اتخاذ قصر الإمارة مسكناً وقاعدة عسكرية وجلوسه على عرشه، وهذا ممّا عزف عنه الإمام علي عليه السلام، وقد يكون إعراض مسلم بن عقيل عن قصر الإمارة أيضاً للسبب نفسه. ولعلّ السبب الذي أجبأ المختار إلى ذلك هو اتخاذ القصر كمركز أمان وحصانة ضدّ هجمات الأعداء من الداخل والخارج، وهذا التبرير يتماشى مع مبدأ حسن الظن لسابقته في الإسلام ونصرة أهل بيت الرحمة.

وخلاصة القول: إنّ المختار الثقفي قائد إسلامي كبير، ينحدر من نسل يزهر بالشهداء، حسن إسلامه وولائه لأئمّة أهل بيت الرحمة، وهو فوق كلّ شبهة، له من الحنكة وروح المناورة دهاءٌ ما يؤهّله أن يكون خليقاً بالقيادة العسكرية، حتّى طغت خبرته السياسية والعسكرية على سمة تفقهه في المعارف الشرعية، فأثمرت جهوده في النيل من قتلة العترة الطاهرة في ثورةٍ بالغة الأثر، أسسها بحكمة وروية، فهو يستحق لقب بطل الثائرين، إلّا أنّه لكلّ جوادٍ كبوة، وكبوته حبّ الرئاسة، وخاتمته شفيعة للتكفير عن ذلك.

المبحث الثاني: سمات القائد سليمان بن صرد الخزاعي

أول الثائرين لدم الإمام الحسين عليه السلام، وأكبرهم سنّاً، وأطولهم صحبةً للنبي الأكرم عليه السلام، ووصيه الكرار عليه السلام، قاد ثورةً هدفها الانتقام من الطغمة الأموية الظالمة، والتكفير بالنفس عن الخذلان.

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٦٣.

نسبه وسيرته

هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعي الكوفي، يكنى أبا مطرف، وُلِدَ في اليمن قبل الهجرة النبوية المباركة بـ(٢٨) سنة في عام (٥٩٤م)^(١)، أسلم في المدينة المنورة، وكان خيراً فاضلاً له دين وعبادة، كان اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه رسول الله ﷺ سليمان، سكن الكوفة، وابتنى داراً في خزاعة، وكان نزوله بها في أول ما نزها المسلمون، فكان شجاعاً له سن عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه، شهد مع الإمام علي عليه السلام صفين، وهو الذي قتل أبرز قادة جيش الشام - واسمه حوشباً ذا ظليم الألهاني - بصفين مبارزة^(٢). وكان ختام حياته قتلاً في سبيل الله تعالى - وهو شيخ ناهز الثالثة والتسعين - عام (٦٥هـ) في معركة عين الورد (ناحية قرقيسياء) بعد أن رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم غادر^(٣).

عقيدته وأخلاقه

لا شك في حسن إسلامه، ولا ريب في سلامة معتقده، وشرف علمه، فقد ذكره الخاصة والعامة بالتبجيل والتعظيم، فهو صحابي جليل، كان خيراً فاضلاً، روى عن النبي الأكرم ﷺ، وعن الإمام علي عليه السلام، وعن ولده الحسن عليه السلام، وعن أبي بن كعب، وعن جبير بن مطعم، كما روى عنه الكثير من التابعين^(٤). عدّه بن شاذان من الصحابة الزهّاد وكبار الموالين ومن رؤسائهم^(٥).

والراجع بعد التحقيق مشاركة ابن صرد في جميع حروب الإمام علي عليه السلام، ولم

(١) أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سيرة أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) أنظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج ٢، ص ٦٤٩.

(٣) أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ٢٩٢.

(٤) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١٧٥.

(٥) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٢٨٣.

يتخلّف عن معركة الجمل^(١)، وقد شهد بولائه خيرة العلماء المحققين من طبقة الإجماع، فقد قال الشيخ المفيد في ترجمته أنّه ممن «أطبقوا على الرضا بأمر المؤمنين عليه السلام، فبايعوه على حرب من حارب، وسلم من سالم، وأن لا يولّوا في نصرته الأدبار، وحضروا مشاهدته كلّها، لا يتأخّر عنه منهم أحد حتّى مضى الشهيد منهم على نصرته، وبقي المتأخّر منهم على حجّته، حتّى مضى أمير المؤمنين عليه السلام لسبيله...»^(٢). وقد ورد في بعض مصادر العامّة ما نصّه: «صحابي، من الزعماء القادة، شهد الجمل وصفين مع عليّ»^(٣).

موقفه من نصرته الإمام الحسن عليه السلام

وأما عن موقفه من نصرته الإمام الحسن عليه السلام ومولاته له في الوقوف ضدّ معاوية، فهو ما قطعت به كلمات العلماء وأكدته بحوث المحققين، وخير شاهد على ذلك طلبه من الإمام الحسن عليه السلام أن ينقض العهد مع معاوية بعد أن نقضه معاوية ظلماً، فقد ورد طلبه من الإمام الحسن عليه السلام في إعادة النظر بعهد الصلح مع معاوية، وأن يناجيه الحرب بقوله: «... فإذا شئت فأعدت للحرب عدّة... فقال الحسن عليه السلام: أنتم شيعتنا وأهل مودّتنا، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربض وأنصب، ما كان معاوية بأشدّ مني بأساً، ولا أشدّ شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكنتي أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلاّ حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله...»^(٤). وهنا شهادة من الإمام الحسن عليه السلام بتشيّعه، ووثيقة شرف تثبت مودته لأهل بيت الرحمة، واستعداده للتضحية من أجل الدفاع عن حقّهم المهتمّ.

(١) أنظر: آل راضي، حسين، رئيس التّوايين سليمان بن صرد الخزاعي (مقال) على الموقع:

<https://www.islam4u.com/ar/maghalat>

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الجمل: ص ٥٢.

(٣) الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٣، ص ١٢٧.

(٤) الشريف المرتضى، علي بن الحسين، تنزيه الأنبياء عليهم السلام: ص ٢٢٣. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب

الأشراف: ج ٢، ص ٢٨٧.

موقفه من نصرته الإمام الحسين عليه السلام

بقيَ من البحث محوره وما يتعلّق بولاء الصحابي سليمان بن صرد للإمام الحسين عليه السلام في نصرته والأخذ بثأره، وما هو سرّ غيابه عن معركة الطف؟ هل كان معذوراً أم مقصراً؟ وكيف كانت حركته الثورية؟ وما هو سرّ تسميتها بالتوّابين؟ وما مدى تأثيرها ونسبة نجاحها؟

حين قطع جميع المؤرّخين وأهل التحقيق - الخاصّة والعامة - على حقيقة تواصل مشايعة سليمان بن صرد للإمام الحسين عليه السلام، والمداومة على موالاته حتّى كان من أوائل المكاتبين في دعوته للقدوم والتعهد بنصرته، فقد ذهب بعض إلى تقصيره في نصرته الإمام الحسين عليه السلام، وهم القلّة من علماء الخاصّة، وكثيرون من العامة ممّن ذهب إلى تقصيره وتردده في الوفاء بعهده بلا عذر، بأنّه كان كثير الشكّ والاعتداد برأيه.

فالذين قالوا بعدم التقصير من الخاصّة استندوا إلى جهتين في الاستدلال هما:
١- إيراد النقص على بعض أدلّة القائلين بتقصيره وعدم وفائه، وتأويل بعضها الآخر؛ لإثبات العذر الشرعي في غيابه يوم الطف.

٢- اعتماد ما يظهر من الأدلّة المادحة له في ترجيح المعذورية وعدم ثبوت الإدانة بحقّه.

في الجهة الأولى اعتمد المحققون على المناقشة في بعض الأخبار - كرواية سيف بن عمر المختلق - وتأويل البعض الآخر على وجه أنّ إظهار الندم وإعلان التوبة لم يصدر من نفس سليمان، بل من أتباعه ونائبه المسيّب، وإن صدر منه فكان يُعبر عن لسان حال أتباعه المقصّرين وهم أكثر الثوار من التوّابين، أو يدلُّ على التأسّف من سلب توفيقه قهراً لنيل الشهادة؛ ولذا سمّوا أنفسهم بحركة التوّابين^(١).

(١) أنظر: آل راضي، حسين، رئيس التوّابين سليمان بن صرد الخزاعي (مقال) على الموقع:

وأما إثبات العذر المانع من نصره سيّد الشهداء عليه السلام، فهو المروي عند بعض العلماء، وهو أنّ سليمان بن صرد تعرّض للاعتقال على يد جلاوزة ابن زياد، وزُجّ في السجن مع (٤٥٠٠) شيعي موالٍ، وضُرب حصار على آخرين داخل الكوفة^(١). ويدلّ عليه أنّ مراسلة الإمام الحسين عليه السلام من قبل الشيعة قد وقعت بدار سليمان بن صرد، فمن المحتمل أن لا يتركه ابن زياد حرّاً طليقاً، بل الراجح أنّه كان محاصراً ولم يستطع الخروج من الكوفة، فخرج سليمان بعد هلاك يزيد وجمع شمل الموالين في حركة انتقامية استشهادية كان هو قائدها وزعيمها^(٢). وعليه، فإنّ ما نُقل من تقصيره وثاقفه في نصرته الإمام الحسين عليه السلام ربما يكون من الأخبار المتأثرة بالأقلام الأموية.

وفيما يخصّ الجهة الثانية التي اعتمد محققها في ترجيح معذورية سليمان بن صرد، وعدم تقصيره في نصرته سيّد الشهداء، فقد استند إلى ظواهر الأخبار المادحة لهذا الصحابي الجليل والمجاهد الغيور، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام مدحه بجعله أحد مصاديق الآية المباركة: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بُدِيلاً﴾^(٣)، مما يدلّ على علو شأنه وحُسن عاقبته^(٤)، فلا يتصوّر بحال أن يترك الجهاد مع سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ووصي وصيّيه ويجلس في الدار من غير عذر، وهذا التحقيق يتناسب مع ذوق الفقهاء وأهل الاستدلال الوجداني المنصف، والله أعلم بالأحوال.

وهكذا يتم الجمع العرفي بين التعارض غير المستقر بين الروايات المعتبرة المادحة تصریحاً، والأخبار القادحة في ظاهرها لهذا الصحابي الشهيد.

وخلاصة الحديث عنه: أنّه يستحقّ - بجدارة - لقب شيخ الثائرين، قاد التوّابين ولم يك مقصراً في نصرته سيّد الشهداء عليه السلام؛ لأنّه كان معذوراً بالحصار والمنع، خرج

(١) أنظر: المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال في علم الرجال: ج ٢، ص ٦٣-٦٤. الدربندي، آغا بن عابد الشيرواني، أكسير العبادات في أسرار الشهادات: ج ٢، ص ٧٤١.

(٢) أنظر: النازي، علي الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٤، ص ١٣٧.

(٣) الأحزاب: آية ٢٣.

(٤) أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفّين: ص ٥١٩.

مستقتلاً مع أصحابه طالباً ثواب الآخرة، اتّسم بالعلم والورع والزهد حتّى طغت سمته الشرعية على جنبته السياسية. إلاّ أنّه رغم اتصافه بالشجاعة والإقدام في الحرب يُلاحظ عليه ضعف التدبير وسداد الرأي في إدارة حركة أنصاره، فلم تك حركته مؤثرة بقوة على دولة آل أميّة، فلم تصدر عن أئمّة أهل بيت الرحمة مرويات تدمه أو تمدحه على حركته أو الترحم عليه بعد شهادته، غير تنبؤ الإمام علي عليه السلام بجعله أحد مصاديق آية الصادقين، وسمة الإيمان الواردة في جواب الإمامين الحسن والحسين عليه السلام على مقاله وكتابه، هذا بحسب تتبعي لكتب التاريخ والسيرة، وعلى آية حال يبقى أمره حسناً تحت قاعدة المروي: «لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته»^(١).

المبحث الثالث: القائد زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام

أول الهاشميين الثائرين لدم جدّه الإمام الحسين عليه السلام في أواخر العصر الأموي، من التابعين الكبار الحافظين للقرآن وتفسيره، ذلك الثائر المظلوم الذي أطلق صرخته الرافضة للظلم والاستبداد، والعبودية والإذلال.

نسبه وسيرته

هو الشريف أبو الحسين (ذو الدمعة) زيد بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، يلقّب بألقاب عدّة، منها: (الشهيد)، (حليف القرآن)، و(زيد الأزياد).

وُلِدَ في المدينة عام (٧٨هـ) على أشهر الأقوال، أمّه أم ولد، أهداها المختار الثقفي إلى الإمام السجاد عليه السلام، واسمها (حورية)^(٢).

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٦٥.

(٢) أنظر: الشبلنجي، مؤمن بن حسن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: ص ٤٠٣. حاتم،

نوري، زيد بن علي ومشروع الثورة عند أهل البيت: ص ٢٠.

يعدّ من التابعين في الطبقة الثانية^(١)، نشأ وتربّى في أحضان العصمة والإمامة، في أحضان أبيه السجّاد زين العباد عليه السلام، ثمّ تعلّم وأخذ عن مدرسة أخيه الباقر عليه السلام، ومن بعده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقد روى عن أبيه وعن الإمامين الصادقين وجماعة من الصحابة^(٢).

انطلقت ثورته من الكوفة في عهد هشام بن عبد الملك بعد جدال دار بين زيد الشهيد وهشام، فخرج زيد عليه السلام وهو يقول: «إنّه لم يكره قوم قطّ حرّ السيوف إلّا ذلّوا»^(٣)، وبعد تعرضه للغيلة في المدينة خرج منها متخفياً حتّى وصل الكوفة وجمع من الأنصار خمسة عشر ألف رجل بايعوه على الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام.

بعد أن استتب لزيد خروجه، وبلغ والي العراق (يوسف بن عمر) ذلك، بعث إلى (الحكم بن الصلت) وهو يومئذٍ على الكوفة، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم ويحصرهم فيه. فجمع الناس في المسجد - يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم - يطلب زيدا، فخرج زيد ليلاً، ونادوا: يا منصور أمت. وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق، فغلقت وأغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة، وكان جميع من وافى زيدا تلك الليلة مائتين وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله! أين الناس؟ فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون. وبعد قتال شديد ثبت زيد في أصحابه ثلاثة أيام قُتل منهم جمع كثير، حتّى إذا كان عند جنح الليل رُمي زيد بسهم، فأصاب جانب جبهته اليسرى، فنزل السهم في الدماغ، فرجع ورجع أصحابه، فدخل داراً من دور أرحب وشاكر، وجاؤوا بطبيب يقال له: سفيان. مولى لبني دوس، فقال له: إنّ نزعته من رأسك مت. قال: الموت أيسر عليّ ممّا أنا فيه، فأخذ الكلبتين فانتزعه، فساعة انتزاعه مات شهيداً عام (١٢٠ هـ) وعمره وقتها اثنان وأربعون عاماً، فجاؤوا به إلى نهر فسكّروا الماء وحفروا له فدفنوه وأجروا عليه الماء.

(١) أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ١٣٦.

(٢) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٨، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٧٣.

وكان السندي جاسوساً قد حضر مواراته فعرف الموضع، فلما أصبح مضى إلى يوسف متنصحاً، فدلّه على موضع قبره، فاستخرجه يوسف، وبعث رأسه إلى هشام، فكتب إليه هشام أن أصلبه عرياناً، فصلبه يوسف كذلك طيلة حياة هشام. وقيل: إن هشاماً أمر بحرقه، فأُحرق ونُسف رماده في الفرات. وقيل: بل بقيّ مصلوباً طوال حكم هشام، فلما تصدّى الوليد للحكم أمر بإحراقه ونسف رماده^(١). فسلام الله عليه من مجاهدٍ وشهيد.

عقيدته وأخلاقه

أجمع علماء الشيعة على سلامة عقيدته، وحسن سيرته، وسمو أخلاقه وغازة علمه^(٢)، وترجم له الشيخ المفيد بقوله: «وكان زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام، وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام... ولم يكن يريدها به؛ لمعرفته عليه السلام باستحقاق أخيه [الإمام الباقر] للإمامة من قبله، ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله عليه السلام»^(٣).

لقد تعرّضت شخصية زيد لحملة من الانتقادات، منها ما دار من صراع بينه وبين عبد الله بن الحسن على مواقف الإمام علي عليه السلام في المدينة، والتي انتهت بتحكيم خالد بن عبد الملك وما تبعها من أحداث^(٤). ومنها رفضه العمل بمبدأ التقية واتخاذ

(١) أنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ٧، ص ٢١٢. صابري، حسين، تاريخ فرق إسلامي: ج ٢، ص ٦٦-٦٧. عمرجي، أحمد شوقي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي: ص ٣٦. الشبلنجي، مؤمن بن حسن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: ص ٤٠٣.

(٢) أنظر: المفيد، محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٧١-١٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧١-١٧٢.

(٤) أنظر: عمرجي، أحمد شوقي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي: ص ٤٧-٥٠.

أسلوب الثورة المسلحة. فضلاً عن الإعلام الأموي الذي نكل به؛ بسبب تدمره من الظلم الأموي ومعارضته لسياسة هشام بن عبد الملك.

لقد عمل زيد الشهيد على تأصيل حركته الثورية من خلال تفسيره للقرآن الكريم، ففسر الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ﴾^(١)، بقوله: الظالم لنفسه: المختلط بالناس، والمقتصد هو العابد، فالسابق بالخيرات هو الشاهر سيفه يدعو إلى سبيل ربه. فخروجه مبرر من الناحية الشرعية وله حكمة بالغة يفيدها بقوله: «وأخرج أنا غداً وأدعو إلى كتاب ربِّي، وأظهر حجتي، وأطلب حقي فأقتل. فإنّه حجة قائم آل محمد على بني أمية [كي] أن [لا] يقولوا: لم يجيء لهذا الأمر منكم أحد يطلبه»^(٢).

إن أعظم إشكالية وردت على حركة زيد الشهيد الثورية هي ما أشيع من فقدها الإذن الشرعي، وأنه كان يدعو لنفسه دون إمام زمانه المفترض طاعته، وقد تصدّى علماء الطائفة لتفنيد كل ما يسيء لحركته المباركة، والتأكيد على ارتباطها بالمعصوم وعدم المخالفة لأوامره، فقد صرح الأعلام بسلامة عقيدة زيد الشهيد - خصوصاً قبل شهادته - وثناء الإمام الصادق عليه السلام في ثورته الهادفة إلى الرضا آل محمد^(٣). وقد ذهب جمع من الأعلام إلى تأكيد القول: إن قيام زيد كان بإذن من الإمام الصادق عليه السلام^(٤).

لقد وردت أخبار كثيرة ومعتبرة في مدح زيد الشهيد وبيان علو مقامه، وأهمها ما صدر من الإمام الصادق عليه السلام: «إن أتاكم أت منّا فأنظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا: خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، ولو ظهر لوقى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع

(١) فاطر: آية ٣٢.

(٢) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: ج ٢، ص ١٦٤.

(٣) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٧٢. الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث:

ج ٨، ص ٣٥٧-٣٥٩. نوري، حاتم، زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت: ص ١٧-١٨.

(٤) أنظر: عمرجي، أحمد شوقي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي: ص ٤٧-٥٠.

لينقضه»^(١)، ومثله ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في دفاعه عن عمّه زيد الشهيد بقوله للمأمون العباسي: «لا تقس أخي زيدا إلى زيد بن علي الخير، فإنه كان من علماء آل محمد، غضب الله عز وجل، فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله»^(٢).

كانت ثورة زيد الشهيد امتداداً في عطائها لثورة جدّه السبط سيّد الشهداء، وتأثر الإمام الصادق والأئمة عليهم السلام بعده وشيعتهم حزناً لجلل مصابه، ورثاه العلماء بالشعر في أبيات، منها ما قاله السيّد الجليل والعالم الفضال السيّد ناصر الموسوي الإحسائي في زيارته لمرقد الشهيد زيد:

واندب وقل بعد السلام لمن به بيت المعالي والحفاظ يشاد
يا زيد زدّت علا بخير شهادة هدّت لوقع مصابها الأطواد^(١)

إنّ ترجمة حياة زيد الشهيد وسيرته المباركة تناولتها الكثير من الكتب قديماً وحديثاً، وأنّ أهمّ مسألة هي مسألة مدحه أو ذمّه في روايات أهل البيت عليهم السلام، وهل كان مرضياً عندهم عليهم السلام أو لا؟ فلأسف لم تُعطَ هذه المسألة حقّها بالبحث والمتابعة، بل أخذت هذه المسألة في بعض الكتب كأصل موضوعي وأمر ثابت، أو أُقيم عليها الدليل ولكنّه دليل غير تامّ، أو لم يحل التعارض بين روايات المدح والذمّ بصورة صحيحة، إنّ مخاض هذا البحث في أوسع تحقيق علمي وأرصن بحثٍ موضوعي أنتج إثبات وجود خمسين رواية صحيحة السند وتامة الدلالة وردت في مدح زيد الشهيد وتأسف الأئمة عليهم السلام لفقده وحزّهم عليه، ومناقشة أكثر من عشرين رواية في ذمّه بين الطعن في سند أكثرها وتجريح رواياتها، أو تأويل مراد الباقي منها وحملها على ظرف التقيّة^(٤)، وقد خرج الباحث بعد هذا الجهد الكبير بعدّة نتائج إيجابية في سمات

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٢٦٤.

(٢) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٣، ص ٦٩.

(٣) اللجنة العلمية لمؤسسة الإمام الصادق، موسوعة طبقات الفقهاء: ج ١٤، ص ٨٧٥.

(٤) أنظر: التميمي، رافد، زيد بن علي عليه السلام: ص ١٧-١٩.

زيد الشهيد ووثاقته وهي كما ينصّ عليها بقوله: «إنّ زيدا عليه السلام يعرف إمام زمانه وقد اعترف بإمامته، وأنّه الذي يجب اتّباعه، وأنّ زيدا لم يدع الإمامة لنفسه، بل ادّعاها إلى إمام زمانه، وأنّ ثورته كانت طلباً بثارات أهل البيت عليهم السلام، فهي ثورة مشروعة، ومقبولة، ومأذونة، وأنّ زيدا كان عالماً، صدوقاً، دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى»^(١).

لقد تمّ حلّ التعارض بين روايات المدح والذم ببيان تواتر روايات المدح مقابل ضعف ما استفاض من روايات الذم وتأويل بعض ما صحّ منها، وبذلك فقد تمّ حلّ أكبر مشكلة روائية تعترض مسألة نزاهة زيد الشهيد ووثاقته، فإنّ مدح زيد قد ثبت بالتواتر، وهو أمر يقيني وقطعيّ، وأمّا ذمه فقد ثبت بخبر الآحاد، وغاية ما تثبتته هذه الأخبار هو الظنّ، والظنّ لا يقف في وجه اليقين ولا يعارضه، فلا قيمة ولا اعتبار لروايات الذمّ حينئذٍ، فالأخذ بالمدح ورواياته هو المتعيّن، كما أنّ الواضح من الإذن لزيد في حركته من قبل الإمام عليه السلام لم يكن أمراً علنياً، ولم يكن لكلّ شخص؛ لأنّ التقية كانت حاکمة في كثير من الموارد؛ لكثرة العيون الأمويّة حول الأئمة عليهم السلام.

نتائج البحث

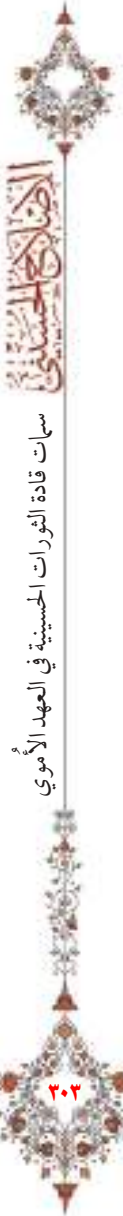
- ١ - تحلّى قادة الثورات بسماوات وصفات فردية أهلتهم للتصدّي بمهام الثورة، وعلى رأسهم زيد بن علي عليه السلام.
- ٢ - تعدّد ثورة المختار الثقفي هي الأفضل من جهة التخطيط والتنظيم والتأثير.
- ٣ - إنّ الطابع العام للثورات الداعية إلى أهل البيت عليهم السلام هو نهجها الإسلامي الأصيل العابر للطائفية.
- ٤ - إنّ فشل بعض الثورات - مع كونها ثورات مشروعة - يعود إلى بعض الظروف المؤثرة، كالظروف الأمنية والسياسية، والتركيبية الاجتماعية، والتعصب الفردي لدى بعض الثوار، وعدم توحيد الصف والكلمة.

(١) المصدر السابق: ص ٢٦٧.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي، الناشر: أنوار الهدى.
- ٢ - أدب الطف أو شعراء الحسين، جواد شبر، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٣ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٤ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٥ - الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٦ - الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
- ٧ - أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، نشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٨ - أكسير العبادات في أسرار الشهادات، الشيخ آغا بن عابد الشيرواني الدربندي.
- ٩ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، برنامج مكتبة أهل البيت عليه السلام.
- ١٠ - أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، الناشر: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م.
- ١١ - أنصار الحسين عليه السلام.. دراسة عن شهداء ثورة الحسين (الرجال والدلالات)، محمد مهدي شمس الدين، الناشر: الدار الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.



- ١٢ - بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، نشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٣ - البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، حَقَّقَه ودقَّقَ أصوله وعلَّقَ حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٤ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.
- ١٥ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٦ - تاريخ فرق إسلامي، حسين صابري، طهران - إيران، ١٣٨٤هـ.
- ١٧ - تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ١٨ - تنزيه الأنبياء، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى، دار الأضواء، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ١٩ - تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقاني.
- ٢٠ - تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٢١ - الجمل، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المعروف بالمفيد، الناشر: مكتبة الداوري، قم - إيران.
- ٢٢ - جواهر التاريخ، علي الكوراني العاملي، الناشر: دار الهدى، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٢٣ - الحسين في الفكر المسيحي، أنطون بارا.
- ٢٤ - الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، أحمد شوقي إبراهيم عمر جي، القاهرة - مصر، مكتبة مدبولي.

٢٥ - ذوب النصار في شرح الثار، جعفر بن محمد الحلي (ابن نما)، تحقيق: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٢٦ - رئيس التوابين سليمان بن صرد الخزاعي، الشيخ حسين آل راضي، نسخة الكترونية على موقع الإشعاع الإسلامي للبحوث والمقالات الإسلامية.

٢٧ - زيد الشهيد، السيّد عبدالرزاق المقرّم، نشر: انتشارات الشريف الرضي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٢٨ - زيد الشهيد عليه السلام (ويليه كتاب تنزيه المختار)، عبد الرزاق المقرّم.

٢٩ - زيد بن علي ومشروع الثورة عند أهل البيت عليهم السلام، الشيخ نوري حاتم، نشر: الغدير للدراسات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

٣٠ - زيد بن علي عليه السلام، الشيخ رافد التميمي، تقديم: الشيخ محمد الحسون - مركز الأبحاث العقائدية.

٣١ - سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور، السيّد جعفر مرتضى العاملي، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

٣٢ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

٣٣ - شذرات من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، السيّد محمد محمد صادق الصدر، تقرير: أسعد الناصري، مطبعة أنصار الإمام الحسين، النجف الأشرف.

٣٤ - الصحاح تاج اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، المكتبة المصرية للطباعة، القاهرة - مصر.

٣٥ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.



- ٣٦ - فقه السنة، السيّد سابق، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٣٧ - فوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ٣٨ - في ميزان النهضة الحسينية، الشيخ محمد السند، تحقيق: الشيخ علي الأسدي، المطبعة: وفا، الناشر: باقيات، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ٣٩ - الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- ٤٠ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر: أدب الحوزة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- ٤١ - مختصر مفيد.. أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة (المجموعة الأولى)، السيّد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ٤٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، الناشر: منشورات دار الهجرة، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ٤٣ - مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، الناشر: ابن المؤلف على نفقة حسينية عماد زاده، أصفهان - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٤٤ - معجم رجال الحديث، السيّد أبو القاسم الخوئي، الطبعة الخامسة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٤٥ - المعلّى بن خنيس، حسين الساعدي، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ ق / ١٣٨٣ ش.
- ٤٦ - من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام.. دروس في السلوك والتربية وقيم الحياة الطيبة، عبد العظيم المهتدي البحراني، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

٤٧ - مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف -

العراق، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

٤٨ - مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي القاضي، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٩ - موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إشراف العلامة الفقيه جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى، قم - إيران، ١٤١٨هـ.

٥٠ - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، مؤمن بن حسن الشبلنجي.

٥١ - وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ملتزم الطبع والنشر: المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ.

المواقع الإلكترونية

52- <https://mawdoo3.com>.

53- <https://www.islam4u.com/ar/maghalat>.

54- site.aqaed.com/Mohammad.

إطالة على آثار الثورة الحسينية

محمد رضا الإمارة*

المقدمة

لقد جسدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام النموذج الأسمى في التضحية والجهاد في سبيل القيم والمبادئ، فعلى الرغم من جميع التحديات الصعبة والأوضاع المريرة إلا أنّها أصبحت القدوة الرائدة، والتجربة النقية، والينبوع المتفجر في الروح الثورية الأصيلة المصوّرة على الفداء والتضحية.

ولقد سجّل التاريخ العديد من آثارها وانعكاساتها، لا على المسلمين وحسب، بل على عموم البشر والأمم، فالثورة الحسينية أضحت منارةً للثائرين بدءاً من ثورة التوّابين، ومروراً بثورة المختار، إلى غير ذلك من الثورات والنهضات ضدّ الظلم والفساد والطغيان.

فنهضة الحسين عليه السلام لم تكن محدودة الأهداف والغايات، أو مقتصرة على فئة معينة أو طائفة محددة، فقد جاءت لتعلن انتصارها للإنسانية المسلوّبة القيم، لإرجاع الحقوق المغتصبة جرّاء التمييز والطبقية التي مارسها الأشرار والطواغيت، كما حرّرت إرادة المجتمع وكسرت حاجز الخوف في مواجهة الاستبداد الظالم، إلى غير ذلك من الغايات والآثار المتوّخاة.

ومن هنا؛ فقد ارتأينا استعراض أبرز وأهم تلك الآثار الخالدة والنتائج الباهرة.

* باحث إسلامي، من العراق.

المحور الأول : بحوث تصويرية

وفيها أمور:

أولاً: المعاني اللغوية والاصطلاحية

آثار: جمع أثر، و(الأثر) في اللغة: «بَقِيَّةُ الشَّيْءِ»^(١)، أو ما بقي من رَسْمِهِ^(٢)، أو «حصول ما يدل على وجوده»^(٣).

والثورة: هي الهيج^(٤)، وهي من ثار، أي: هاج أو هاج غَضَبُهُ^(٥).

وأما معنى الآثار اصطلاحاً: فإنها تستخدم بالمعنى اللغوي نفسه. والمراد من آثار الثورة: ما ترتب عليها من أمور وأحداث ونتائج.

وأما الثورة فقد عرِّفت بأنها: «تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب في دولة ما»^(٦)

وأما الثورة الحسينية: فهي تلك الوثبة أو النهضة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ضدّ الحكم الأموي.

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٥.

(٢) أنظر: الحميري البياني، نشوان بن سعيد، شمس العلوم: ج ١، ص ١٧٤-١٧٥. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٧، ص ٢٥٣. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ٢، ص ٤.

مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس: ج ٦، ص ٦، و ص ٨.

(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٩.

(٤) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ١٠٨. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس: ج ٦، ص ١٥٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٦٠٦.

أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط: ص ١٤٣.

(٥) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ١٠٨. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ص ٨٧. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس: ج ٦، ص ١٥٣.

(٦) أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط: ج ١، ص ١٠٢.

ثانياً: الآثار الآنية والآثار بعيدة المدى

إنّ أي ثورة تقوم قد تنجح في مسيرتها وتأتي أكلها وتحقق مبتغياتها، وقد تفشل ولا تحقق أيّ هدفٍ ناضل من أجله الثائر.

ومن المعلوم أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد قاد نهضة تختلف عن كلّ النهضات في أمور أساسية وكثيرة جداً، منها المبادئ والشعارات، ومنها العدة والعدد، ومنها المآسي والآلام والمحن، ممّا جعلها ثورة فريدة في تفاصيلها ونتائجها، الأمر الذي يثير التساؤل عن مدى نجاحها وتحقيق أهدافها، فقد يُقال: إنّها ثورة فاشلة تماماً؛ فهي لم تحقق نصراً سياسياً أنياً يُطوّر الواقع الإسلامي إلى حال أحسن من الحال التي كان عليها قبل هذه الثورة، ولقد ازداد أعداء هذه الثورة قوةً على قوتهم، فلم تنل منهم شيئاً، وأمّا صانعوها فقد أكلتهم نارها، وشملت أعقابهم مئات من السنين؛ فحملت إليهم الموت والذلّ، والتشريد والحرمان، فهي فاشلة على الصعيدين الاجتماعي والفردي^(١).

إنّ صاحب هذا الرأي يتحدّث عن آثار الثورة الآنية في الإطاحة بالحكم الأموي، وتسبّب مقاليد السلطة لتحقيق العدل الإلهي، لكن الإمام عليه السلام لم يكن يسعى لذلك - بحسب مواقفه والأقوال الصادرة منه - فإنّه كان عالماً بشهادته علم اليقين، وإنّما كان يسعى إلى تحقيق الآثار والنتائج الآجلة التي ستتحقق بعد استشهاد الحتمي، والتي تفوق نتائج انتصاره عسكرياً وسياسياً^(٢).

(١) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٩، وص ٢٩٦. ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٧٥-٢٧٦.

ثالثاً: شروط لا بدّ منها لنجاح كل ثورة من المنظور الديني

إنّ كلّ ثورة ناجحة من منظور ديني، لا بدّ من توافرها على جملة من الشروط الأساسية؛ لكي تحقق مبتغاها وآثارها التي ناضلت من أجل تحقيقها، وهي:

١- أن تكون مرتبطة بالله سبحانه، وهذا ما نراه جلياً في ثورة الحسين عليه السلام؛ وذلك ما توفّر بوضوح في الإطار العام الذي طرحه في نهضته من خلال خطاباته ومواقفه^(١).

٢- أن تتوفر على البعد الإنساني والأخلاقي، بأن تكون مهتمة بالمعاني الأخلاقية التي فطر الله الإنسان عليها كمقارعة الظلم ورفضه، والدعوة إلى كرامة الإنسان وعزّته، وقد مثّلت هذه الأمور الجوهر في حركات الأنبياء الإصلاحية، وأنّ هذا الجانب لم يكن مغفولاً عنه في ثورة الحسين عليه السلام؛ إذ إنّه عليه السلام كان يؤكّد على تلك المعاني الأخلاقية، وخصوصاً تلك التي ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، إذ كان يركّز على رفض الظلم ومواجهته، وعلى قضايا الحرمان والاستضعاف، ويؤكّد - أيضاً - على مواجهة الأساليب الوحشية والتعسفية التي كانت تمارسها بنو أمية بحق الأمة.

٣- يجب أن تتوفر على عنصر التخطيط الاستراتيجي المسبق، وتشخيص الأهداف والرؤية الواضحة للواقع. فإن فقدت الثورة تلك العناصر فإنّها لا تصبح عملية تغييرية بناءً تبتغي إقامة العدل والرقي في المجتمع الإنساني، وقد تتحوّل إلى مجرد انفعالات وأحاسيس، أو مجرد ردود أفعال وتمرّد على الواقع، ولعلّها تصل إلى غاية ليست بمرادة وصحيحة، وربما تتحوّل إلى فوضى اجتماعية^(٢)، وعليه فإنّه عليه السلام على الرغم من علمه بمصيره الحتمي، لكنّه لم يأل جهداً في التخطيط الاستراتيجي للإطاحة بالحكم الأموي وإقامة الحكم الإلهي، خلافاً لمن يتصوّر بأنّ الإمام عليه السلام كان متيقناً بشهادته، وعليه فإنّه لم تكن لديه خطة استراتيجية للإطاحة بالأمويين.

(١) أنظر: الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين عليه السلام: ص ٧٥-٧٨. الفتلاوي، علي، الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي: ص ١١-١٢.

(٢) أنظر: الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين عليه السلام: ص ٨٢-٨٦. الفتلاوي، علي، الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي: ص ١٣-١٤.

نعم، كان يعلم بشهادته لكنّه كان يخطط ويتحرّك استراتيجياً، وهياً كلّ الظروف والإمكانات للإطاحة بهم^(١).

٤- يلزم أن تشتمل الثورة على البعد الوجداني والعاطفي؛ إذ إنّه يمنح الثائر الطاقة والقوة للاندفاع والثورة، وينطلق هذا البعد دائماً من حب الإنسان لله^(٢)، وأمّا توفّره في فاجعة الطف، فهو في غاية الوضوح والجلاء؛ إذ نرى الإمام الحسين عليه السلام قد بذل كلّ ما لديه في سبيل الله من الأهل والأطفال والأصحاب و... قرابين، وهذا ما أثار العاطفة الجياشة في الأعداء قبل الأصدقاء؛ إذ استدرّ عيونهم وقلوبهم، وما زالت الأجيال تلو الأجيال تعبر عن تفاعلها العاطفي مع هذه المسألة^(٣).

٥- يجب أن تتوفر الثورة - أيضاً - على القاعدة الجماهيرية المحرّكة للثورة المؤمنة بمبادئها وأهدافها، وإلا فمن دونها لا يمكن إحداث التغيير المنشود؛ إذ إنّه بواسطة الجماهير يمكن مواجهة الحاكم وتغيير الحكم سياسياً وعسكرياً، وبواسطته أيضاً يمكن التغيير في الأمّة وإيجاد التحوّل فيها على المستويات كافة، كما أنّ حماية الثورة وديمومتها واستمرارها يكون بفضل جمهور الثورة^(٤).

ولم تكن ثورة الإمام الحسين عليه السلام بمعزل عن جمهور الأمّة، بل أثارها الإمام عليه السلام وبثّها في وسطها، ومن خلال الشواهد الكثيرة نعلم بأنّه كانت لدى الإمام عليه السلام قاعدة جماهيرية واسعة متفاعلة مع حركته ونهضته كإرسال الكوفيين الكتب إلى الإمام عليه السلام يطلبون منه المجيء، ومبايعة الآلاف من الكوفة لمسلم بن عقيل إلى غيرها الكثير...^(٥).

(١) أنظر: الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين عليه السلام: ص ٩٤-١٠١.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٨٦-٨٨.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ١٠٢-١٠٣.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٨٨-٩٠. الفتلاوي، علي، الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي:

ص ١٤.

(٥) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٢٠٧.

ومن خلال ما تقدّم يتضح لنا بأنّ الثورة الحسينية قد توفّرت فيها جميع الشروط الأساسية، ويتضح أيضاً بأنّ الحسين عليه السلام وأصحابه لا يتحملون مسؤولية عدم إطاحتهم بالحكم الأموي وتشكيل الدولة الإسلامية، وإنّما من يتحمّل ذلك هي الأمة؛ إذ إنّها قد خذلتها في ساعة الصفر بعدما ناشدته للمجيء ونصرته؛ خوفاً من يزيد وأزلامه، بسبب استخدامه مختلف أساليب الترهيب والترغيب^(١).

المحور الثاني: آثار الثورة الحسينية على مختلف الصّعد

إنّ لهذه النهضة المباركة آثاراً عديدة على مختلف المجالات والصّعد نشير إلى أهمّها فيما يلي:

١- إحياء الدين وحفظه

من أهم آثار هذه الثورة المباركة وأعظم نتائجهما هو صون الدين وحفظ الشريعة من التخطيط الأموي المقيت لمحوهما وإزالتها؛ إذ إنّ ثورة الإمام عليه السلام قد أرجعت الأمور إلى نصابها، وحفظت الدين من شرّ هذه الطغمة الفاسدة، فإنّ التاريخ يحدثنا عن مواقفهم اللئيمة إزاء الدين والعترة الطاهرة وتمسّكهم بالحكم والسلطة.

ومن الشواهد على ذلك ما قاله أبو سفيان في اجتماعه مع بني أمية في دار عثمان عندما تسنّم الحكم: «يا معشر بني أمية، إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي، حتّى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تلقّف الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار»^(٢) بمعنى أنّ كلّ ما أتى به النبي فهو خرافات ليس إلّا، فإنّه لا دين ولا شريعة ولا صلاة.

ومنها ما ورد عن معاوية بن أبي سفيان لما سمع المؤدّن يقول: أشهد أنّ محمداً

(١) أنظر: الحكيم، محمد باقر، ثورة الحسين عليه السلام: ص ١٠٣-١٠٨.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج ٦، ص ٥٢٩.

رسول الله. فإنه قال: إِلَّا دَفَنًا دَفْنًا^(١). أي: إنه يتمنى دفن هذا الدين، بدفن الأذان ودفن الصلاة، ودفن ذكر محمد ﷺ، وتابعهم على ذلك يزيد القائل حينما أوتي برأس الحسين ﷺ:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
لأهلوا واستهلوا فرحاً
قد قتلنا القرم من ساداتهم
لعبت هاشم بالملك فلا
لست من خندف إن لم أنتقم
من بني أحمد ما كان فعل^(٢)

وقد فعل بنو أمية الأفاعيل الخبيثة لضرب الإسلام والمسلمين في الصميم، حتى أن معاوية قد أمر بسب ولعن الإمام علي ﷺ على المنابر علناً سبعين عاماً^(٣). ولولا تضحيات حراس الإسلام العظماء، واستشهاد أنصار أبي عبد الله ﷺ ومواقفهم البطولية، لشوهت صورة الإسلام، فقد ضحى الإمام الحسين ﷺ بالغالي والنفيس لحفظ هذا الدين الحنيف وإحياء شعائره وصونه من الاندثار والاندراس. وإلى ذلك أشار الإمام زين العابدين ﷺ في جوابه لإبراهيم بن طلحة بن عبيد الله عندما قدم الإمام وقد قُتل الحسين ﷺ؛ إذ «استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقال: يا علي بن الحسين، من غلب؟ وهو مغطى رأسه، وهو في المحمل. قال: فقال له علي بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب، ودخل وقت الصلاة، فأذن ثم أقم^(٤)».

إن الثورة الحسينية قد صانت الدين بجميع معالمه؛ إذ كان لها الأثر البالغ في التعريف بالدين على حقيقته، وإيضاح معالمه، ورفع الشك والارتباب والحيرة عن

(١) أنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٤٥٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٥.

(٣) أنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٣٢.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٦٧٧.

الناس، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في زيارة جدّه الحسين عليه السلام: «... فأعذر في الدعاء، وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة، والعمى والشك والارتياب، إلى باب الهدى من الردى»^(١).

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت لإحياء رسالة الإسلام بعد أن كادت تقضي على يد أعدائها ومناوئها، ولبعث الروح الإسلامية التي كانت قريبة من الاحتضار؛ إذ كانت ثورته في الحقيقة لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الحقيقة.

ولم يقتصر الأمر على المسلمين في تبيان هذا الأثر العظيم، بل تعدّاه إلى غيرهم من أتباع الديانات، يقول جارلس ديكنز - الكاتب الإنجليزي المعروف -: «إن كان الإمام الحسين عليه السلام قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن؛ فالعقل يحكم أنّه ضحى فقط لأجل الإسلام»^(٢).

ويقول موريس دوكابري: «يقال في مجالس العزاء: إنّ الحسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد، إذن تعالوا نتخذة لنا قدوة...»^(٣).

ولعلّ هذا هو الفتح الذي عناه الإمام الحسين عليه السلام في كتابه إلى بني هاشم في المدينة، الذي قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومَنْ قبّله من بني هاشم، أما بعد: فإنّ مَنْ لحق بي استشهد، ومَنْ لم يلحق بي لم يدرك الفتح»^(٤).

فهو فتح للدين وللدعوة الإسلامية التي أراد بنو أمية إنهاء وجودها، إنّها ثورة قد حطمت الاستحواذ الأموي الظالم على مقاليد الحكم الإلهي، وأنّ شهادته عليه السلام قد أحييت دين الإسلام، ودفنت النظام الطاغوتي لمعاوية وابنه يزيد، فشهادته إنّما كانت

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠١.

(٢) محدثي، جواد، موسوعة عاشوراء: ص ٢٩٠-٢٩١.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧.

لمصلحة الإسلام وعزّته وإحيائه؛ إذ إنّ تضحيتهم عليهم السلام بنفسه وبجميع أبنائه وأقربائه،
قد حفظت الإسلام وزادت من قوته^(١).

٢- الندم وتأنيب الضمير وشيوع النقمة على الأمويين

إنّ كثيراً من الذين شاركوا في مجزرة كربلاء، أو الذين تخلّفوا عن نصرته الإمام
الحسين عليه السلام قد شعروا بالندم وتأنيب الضمير ووخز الوجدان، وهذا ما ولّد في
نفوسهم الغضب ضدّ الحكم الأموي الذي ارتكب تلك الجريمة البشعة، ممّا دفعهم
إلى الثأر لتلك الدماء الطاهرة التي أريقَت على رمضاء كربلاء، ونستطيع أن نقول:
بأنّ هذا الندم - في الحقيقة - هو المسبب للثأر - على الصعيد العسكري والجهادي -
ضدّ الأمويين^(٢).

قال الإمام السجاد عليه السلام: «مُحَلْنَا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فَغَصَّتْ طَرِقَ الْكُوفَةِ
بِالنَّاسِ يَبْكُونَ، فَذَهَبَ عَامَةَ اللَّيْلِ مَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَجُوزُوا بِنَا لِكثْرَةِ النَّاسِ، فَقُلْتُ: هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ قَتَلُونَا وَهُمْ الْآنَ يَبْكُونَ»^(٣).

وها هو عبيد الله بن الحر الجعفي الذي لقيَ الحسين عليه السلام ودعاه إلى نصرته والقتال
معه، فرفض ابن الحر ذلك، فوبّخه الإمام عليه السلام، وحذّره من مغبة ذلك، إلى أن قُتل
الإمام عليه السلام مع صحبه، فندم على خذلانه للإمام، حتّى أنشد قائلاً^(٤):

فيا لك حسرة ما دمت حياً تردد بين حلقي والتراقي
حسيناً حين يطلب بذل نصري على أهل العداوة والشقاق
ولو أنّي أواسيه بنفسي لنلت كرامة يوم التلاق

(١) أنظر: الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ١٣٧-١٤٦. الجلاي، محمد رضا، حول نهضة

الحسين عليه السلام: ص ١٠-١١. محدثي، جواد، بلاغ عاشوراء: ص ٢٩١-٣١١.

(٢) أنظر: الذهبي، عباس، أبعاد النهضة الحسينية: ص ٩٣.

(٣) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (من طبقات ابن سعد): ص ٨٨.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٥٤.

كان لثورة الحسين عليه السلام أثر في إثارة الشعور بالإثم في ضمير كل مسلم استطاع نصره فلم ينصره، وسمع واعيته فلم يُجيبها، ولقد كان هذا الشعور أقوى ما يكون في ضمائر أولئك الذين كفوا أيديهم عن نصره بعد أن وعدوه النصر وعاهدوه على الثورة.

ولهذا الشعور بالإثم طرفان؛ فهو من جهة يحمل صاحبه على أن يكفر عن إثمه الذي ارتكبه وجرمه الذي قارفه، ومن جهة أخرى يُثير في النفس مشاعر الكراهية والبغض لأولئك الذي دُفعوا إلى ارتكاب الإثم.

وقد تجسّد ذلك في الأمة بعد ثورة الحسين عليه السلام، فقد دفع الشعور بالإثم كثيراً من المسلمين إلى التكفير عن خذلانهم، وازداد البغض للأُمويين وكرههم، وكان التعبير الطبيعي لذلك هو الثورة ضدّ الأُمويين، وقد تحقق ذلك بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام، وتوالت الثورات واحداً تلو الأخرى.

لكن بسبب هذا الشعور بالإثم لم يكن موقف المسلمين من الحكم الأموي موقفاً عقلانياً نابعاً من إدراك بُعد الأُمويين عن الدين وظلمهم، وإنما غداً موقفاً عاطفياً؛ إذ إنّ هذا الشعور حداً بالكثيرين إلى الثورة كعمل انتقامي يُقصد به التشفّي.

وهذا هو سبب فشل كثير من الثورات التي كان من اليّن فشلها قبل اشتعالها؛ فقد كان سببها هو الرغبة في الانتقام، وتلبية هذا الداعي العاطفي فحسب.

ثم إنّ شرارة الشعور بالإثم قد اشتعلت في نفوس الناس، وكان يزيدّها توهجاً واشتعالاً خطابات الإمام زين العابدين عليه السلام^(١) والعقيلة زينب عليها السلام، فعندما خطبت الحوراء زينب عليها السلام فيهم وأخذت توبّخ وتؤنّب من قصر عن نصره أخيها الحسين عليه السلام ووعدهم بالذلّ والشنار، وما أن أتمت حديثها حتّى ضجّ الناس بالبكاء وذهلوا، وسقط ما في أيديهم من هول تلك المحنة الدهماء^(٢).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتل الطفوف: ص ١١٦.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ٣٢١. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٩٢.

المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٦٤-١٦٥.

وروي أن يزيد بن معاوية فرح فرحاً شديداً، وأكرم عبيد الله بن زياد، ولكن ما لبث أن ندم ووقع الخلاف بينه وبين ابن زياد حين علم بحال الناس وسخطهم عليه، ولعنهم ولعنهم له وسبهم إياه^(١).

وروى المؤرخون أنه «لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، وزاده ووصله وسره ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم»^(٢).

وأنه لما نودي بقتل الحسين عليه السلام في المدينة، وعلم الناس بذلك، ضجت المدينة بأهلها ولم تسمع واعية قطّ مثل واعية نساء بني هاشم في دورهنّ على الحسين عليه السلام، وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها، وهي تلوي بثوبها وتنشد شعراً توبخ فيه قتلة الحسين وتوعدهم بالنار والشنار^(٣).

وثمة نماذج معاصرة للثورة تكشف لنا عن الأثر الذي خلفته الثورة آنذاك في المجتمع الإسلامي، ولعلّ من أصدقها هو ما ورد عن عبد الله بن الحر الذي فرّ من الكوفة حين اتهمه عبيد الله بن زياد بعدم الولاء للسلطة، وقدم إلى كربلاء فنظر إلى مصارع الشهداء وقال^(٤):

فيا ندمي ألا أكون نصرته
وإني لأني لم أكن من حمايته
وقفت على أجدائهم ومجاهم
فكاد الحشى ينفض والعين ساجمه
ألا كل نفس لا تُسدّد نادمه
لذو حسرة ما إن تُفارق لازمه

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٨٨-٣٨٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٨.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٧.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٧.

(٤) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٧، ص ٤٢٠-٤٢١.

ومن هؤلاء الذين استيقظت ضمائرهم على جريمتهم الرهيبة رضي بن منقذ العبدي، فقد قال:

لقد كَانَ ذَاكَ الْيَوْمَ عَارًا وَسُبَّةً
فِيَالْتِ أَنِّي كُنْتُ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ
تُعِيرُهُ الْأَبْنَاءَ بَعْدَ الْمَعَاشِرِ
وَيَوْمَ حَسِينٍ كُنْتُ فِي رَمْسٍ قَابِرٍ^(١)

٣- كشف الغطاء الديني المزيف لبني أمية والسخط عليهم

إن من الآثار البارزة للثورة الحسينية هي كشف الزيف الديني والهيمنة الفكرية للأُمويين على المستوى الإعلامي، فقد مارسوا النفاق الديني بمكر ودهاء كبيرين، فأخذوا يظهرن بالمظاهر الإسلامية من إطالة اللحي، وإقامة صلوات الجمعة والجماعة، وبناء المساجد وغيرها الكثير، فكانوا يحكمون الناس باسم الدين لكنهم كانوا بعيدين كل البعد عنه، وقد صرّح الإمام الحسين عليه السلام في كثير من المواقف بنفاقهم ودجلهم وكشف ما كانوا يخفونهم، فقال عليه السلام في وصفهم أنهم «قوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله»^(٢).

وهناك شواهد تاريخية تؤكّد هذا الزيف الكبير، منها:

قول مسلم بن عمرو الباهلي مؤنّباً مسلم بن عقيل لخروجه على يزيد، مفتخراً بموقفه: «أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته»^(٣).

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣٠. وأنظر: الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ١١٢-١١٤. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٣٦. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢١١-٢١٧. الحسيني، هاشم معروف، من وحي الثورة الحسينية: ص ٩٢-٩٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨١.

ومنها: قول عمرو بن الحجاج الزبيدي - وهو من قادة الجيش الأموي - وهو يحفز الناس على مواجهة الإمام الحسين عليه السلام حين وجد منهم تردداً وتباطؤاً عن الأوامر: «يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف الإمام»^(١).

فالدين في دعوى الأمويين هو طاعة يزيد ومقاتلة الحسين عليه السلام، مع علمهم بأن الموقف الحسيني كان يمثل موقفاً إسلامياً شرعياً، وأن يزيد كان مرتدداً ومتمرداً على الإسلام والشرع الإلهي والموازين الدينية.

لكن سرعان ما انجلت الغيمة السوداء هذه، وأطاحت النهضة الحسينية بالأمويين إعلامياً بشكل سريع ومؤثر، وكُشف للرأي العام هذا الزيف الكبير في تدينهم، وفضحت ما كان عليه ولاية يزيد وقادة جيوشه وعماله، الذين لم يتورعوا عن ارتكاب أي جريمة يمكن أن تخطر على ذهن البشر من الغدر والفجور، ومنع الحسين ومن معه حتى الأطفال الرضع من الماء، ورصّ الأجساد بحوافر الخيل، وحرق الخيام وقتل الأطفال، وسبي بنات النبوة بلا غطاء ولا وطاء، ونقل رؤوس القتلى مع السبايا من كربلاء إلى الكوفة، ثم إلى الشام وغير ذلك من الجرائم الكثيرة مما يشيب الرأس منها والفؤاد.

كل ذلك جرّد الأمويين من كل صبغة دينية وإنسانية، فبعد ذبوع خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه بتلك الوحشية، أُثير جدل كبير لدى الأمة، وازداد الكره والسخط الشعبي على الحكومة الأموية، وفضحوا أمام الملاء العام وكُشف نفاقهم الديني.

ولقد كانت الرؤوس والسبايا وأحاديث الجنود العائدين حول الملحمة المروعة، عوامل قوية عملت على تقويض كل ركيزة دينية للحكم الأموي في نفوس المسلمين.

(١) المصدر السابق: ص ٣٣١.

وهناك شواهد كثيرة تدل على وضوح الرؤية عند المجتمع تجاه بني أمية وسخطهم عليهم بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام ومن معه.

قال ابن عساكر في تاريخه: «مرّ عمر بن سعد بن أبي وقاص بمجلس بني نهد حين قُتل الحسين، فسلمّ عليهم فلم يردّوا عليه السلام»^(١).

وأيضاً: «قالت مرجانة لابنها عبيد الله بن زياد: يا خبيث، قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلمّ لا ترى الجنة أبداً»^(٢).

«وحتى أولئك الذين استقبلوا العزم على الثورة بفتور، وقدموا نصائحهم بالكفّ عنها، لم يستطيعوا أن يثبتوا على موقفهم الأول السلبي بالنسبة إلى الثورة، فاضطروا إلى مجارة الرأي العام في الدهشة والاستنكار، فقد كان زيد بن أرقم أحد الحاضرين في مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة لما أدخلت عليه السبايا ورؤوس الشهداء، فبكى لما رأى ابن زياد يضرب بقضيب في يده ثنايا الإمام الحسين عليه السلام، ولما زجره ابن زياد لبكائه وهذّده، قال: أنتم - يا معشر العرب - العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي بالذلّ»^(٣)^(٤).

ولم يقتصر الأمر على ترك يزيد وأعوانه، بل تعدّى الأمر إلى سبّه وشتمه، بل وترك الولاء والطاعة له، يقول مجاهد - وهو ممن عاصر تلك المدّة -: «فوالله، لم يبق في الناس أحد إلا من سبه [أي: يزيد] وعابه وتركه»^(٥).

إنّ بني أمية كانوا يمارسون تضليلاً إعلامياً فضيعاً؛ حتى أنّ قرّاء القرآن والشيوخ البسطاء ما كانوا يعرفون منزلة العترة من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعهم من

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٥، ص ٥٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣٠٨.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٢٤٨.

(٤) الذهبي، عباس، البعد السياسي للنهضة الحسينية: أنظر موقع: research.rafed.net.

(٥) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٦٢.

الرسالة؛ إذ إنهم بمجرد أن عرفوا الحقيقة بفضل ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لم يتوانوا للحظة عن اتباعها ولو كلفهم ذلك قطع أعناقهم، وهذا هو الشيخ الذي دنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله - وهم في الشام - فقال: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك. فقال علي عليه السلام له: فنحن القربى يا شيخ... فهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك. فقال علي عليه السلام: فنحن أهل البيت الذي خصصنا الله بأية الطهارة يا شيخ... فبقى الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: تالله، إننا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إننا نبرأ إليك من عدو آل محمد من جن وإنس، ثم قال: هل لي توبة؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا. فقال: أنا تائب، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل^(١).

ولم يقتصر فضح حقيقة بني أمية في الأمة الإسلامية، بل تعداه إلى غيرها من الأمم، وأثار استغرابهم واستنكارهم الشديدين، وهو ما حدث لرسول قيصر الروم الذي كان حاضراً عند يزيد، واستنكر عليه استنكاراً شديداً، وذمه وذم عقيدته الفاسدة التي أدت به إلى قتل ابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله^(٢).

إن حركة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه البيعة وتضحياته الجليلة نبهت الأمة، وأوضحت لها ما طمس بفعل التضليل، فقد وقف الإمام الحسين عليه السلام يخاطبهم ويدعوهم لترك قتاله، ويوضح مكانته من الرسالة والمجتمع الإسلامي يوم عاشوراء، فأخذ بالتعريف بنفسه قائلاً: «فانسبونني فأنظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١١٠-١١١.

أنفسكم فعاتبوها، وأنظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمّي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّد شباب أهل الجنة»^(١).

هذا، فضلاً عن الخطب والمحاورات التي جرت في وضع متوتّر حسّاس أوضح للناس مكانة طرفي النزاع، ثمّ ما آلت إليه نتيجة المعركة من بشاعة في السلوك والفكر، فاتضحت خسّة الأمويين ودناءتهم ودجلهم.

وكان السبب في مواصلة الثورة الحسينية أثرها البالغ بدون سلاح دموي هو مواصلة الحوراء زينب عليها السلام فضح الجرائم التي ارتكبتها بنو أميّة، وتوضيح رسالة الإمام الحسين عليه السلام للعالم.

فبفعل ثورة الحسين عليه السلام قد انكشفت للناس حقيقة النزعة الأموية المتسلطة على الحكم، ونسفت كلّ الأطر الدينية المزيّفة التي أراد الأمويون من خلالها تحشيد الجيوش للقضاء على الثورة الحسينية، مستعينين بحالة غياب الوعي وشيوع الجهل^(٢).

٤- تحرير إرادة الأمة في مواجهة الاستبداد

من أهم نتائج نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي إعادة شخصية الأمة وإيقاظها من سباتها، وتحرير إرادتها من استبداد الطواغيت وتسلّطهم الجائر، وبثّ روح الحركة والشعور بالمسؤولية في أنفس المصلحين.

إنّها كانت السبب في إحياء الإرادة لدى الأمة وإيقاظ الوعي السياسي لها، وجعلها جهاز مراقبة على السلطة متى ما انحرفت عن المبادئ، أو تخلّت عن تطبيق

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧.

(٢) أنظر: الجلاي، محمد رضا، حول نهضة الحسين عليه السلام: ص ١١-١٢. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٣٥-١٣٦. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ١٩٧-٢١٠.

الأحكام والقوانين الإسلامية، فأحدثت هزة قوية في ضمائر المسلمين الذين ركن الكثير منهم إلى الخنوع والتسليم، عاجزين عن مواجهة الحاكم الجائر الذي يعبث بالأمة كيف يشاء، مؤطراً تحرّكه بغطاء ديني يحوكه بالدجل والمكر والحيلة وفتاوى وعاظ السلاطين.

ثم إن الأمة قد تكون لديها وعي قبل ثورة الإمام الحسين عليه السلام بأنّ أباه علياً عليه السلام قد قاتل معاوية وغيره لأجل الإسلام ورسالته، وليس لصراع قبلي وشخصي، لكنها مع وعيها قد ابتليت بفقدان الإرادة على مواجهة الحاكم الجائر، فكانت قلوب بعض الناس مع الإمام ولكن سيوفهم عليه^(١)، فأتت ثورته عليه السلام وخلصتهم من ذلك الخوف والهلع، وبعثت فيهم الشجاعة والجرأة على الجهاد والمواجهة^(٢).

إنّ الثورة الحسينية قد ربّت الأجيال على أبعاد مؤثرة على الصعيد الاجتماعي، كرفض الحكم الذي لا يقوم على أساس شرعي ومنطقي واستحقاق، وعدم جواز إعطاء الشرعية لغير مستحقيها، كما علمتها على أن لا تقارّ على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، وعلى الانتصار للمظلومين، ودفع الأذى والاعتداءات عنهم، وإرجاع الحقوق إلى أهلها، وعلى التحرر من الروح الانهزامية والخنوع وطلب السلامة على حساب المبادئ والقيم، وضرورة اختيار الأكفأ لتسنّم مقاليد الأمور في البلاد، والتضحية بالغالي والنفيس من أجل الدين والمبادئ الإنسانية.

يقول لياقة علي خان (أول رئيس وزراء باكستاني): «...علينا أن نتعلّم منها [ثورة الحسين عليه السلام] وجوب عدم الخوف والانحراف عن طريق الحقّ والعدالة مهما كان حجم المشاكل والأخطار»^(٣).

ويقول نيكلسون، المستشرق المعروف: «كان بنو أمية طغاة مستبدّين، تجاهلوا أحكام الإسلام واستهانوا بالمسلمين، ولو درسنا التاريخ لوجدنا أنّ الدين قام ضدّ

(١) أنظر: أبو الفرج الإصهفاني، علي بن الحسين، الأغاني، ج ٢١، ص ٢٥٧.

(٢) أنظر: الأديب، عادل، دور أئمة أهل البيت في الحياة السياسية: ص ٢٠٠.

(٣) محدثي، جواد، موسوعة عاشوراء: ص ٢٩٣.

الطغيان والتسلط، وأنّ الدولة الدينية قد واجهت النظم الإمبراطورية، وعلى هذا فالتاريخ يقضي بالانصاف في أنّ دم الحسين عليه السلام في رقبة بني أمية»^(١).

فتورته عليه السلام كانت تهدف إلى القضاء على ظاهرة الاستبداد، وليس استبدال مواقع الاستبداد بغيرها كما هو حال الكثير من الثورات، فقد هدفت إلى الإصلاح وليس الاستيلاء على السلطة واستغلال الشعب، وأنّ عظمتها تكمن في كونها ثورة اندلعت في مجتمع يمجّد المستبد ويتغنى به، وكانت السبب في انبعاث الروح النضالية في الإنسان المسلم من جديد بعد مدّة طويلة من الهموم والتسليم، لذلك عاشت الثورة الحسينية غريبة عن المجتمع الذي أتت من أجله، حتّى أنّ المجتمع ترك الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه يُقتلون بشكل مروّع دون أن يقدم على نصرتهم أو تقديم الدعم لهم، فكان من آثارها أنّها حطّمت كلّ حاجز نفسي واجتماعي يقف في وجه الثورة ضدّ الظلم والفساد والاستبداد في المستقبل.

إنّها ثورة تؤمن بالإنسان وقدرته على التغيير، دون أن تحيله إلى عالم من التبعية والانقياد أو التسليم أو ترحيل الحقوق، فهي أنبل ثورة قامت في التاريخ؛ إذ لم يستهدف الثائرون من ثورتهم مغنماً شخصياً لأنفسهم، وإنّما استهدفوا من ثورتهم تحرير مجتمعهم من الطغاة^(٢).

٥. أثرها على الصعيد الأخلاقي والعرفاني

هنالك آثار كثيرة على الصعيد الأخلاقي والعرفاني نستمدّها من واقعة كربلاء؛ إذ أمست درساً مؤثراً لكلّ المجتمعات والملل، منها: الحياة بعزٍّ، فعندما نلاحظ حياة العظماء نراهم قد سَطَّروا أروع معاني العزّ والإباء، ومن أبرز تلك المعاني هي تلك التي سَطَّرها الحسين عليه السلام في كربلاء، فهو القائل: «موت في عزٍّ خير من حياة في ذلٍّ»^(٣).

(١) المصدر السابق: ص ٢٩٤.

(٢) أنظر: الجلاي، محمد رضا، حول نهضة الحسين عليه السلام: ص ١٢-١٣.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤.

والقائل: «لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»^(١)، والقائل: «لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين الباغين إلا برماً»^(٢).

وقد استقت البشرية تلك المعاني السامية من عبق كربلاء وسيدها، فرفضت الخنوع والذلّ، وارتأت السير على هدى حسين العزّ والكرامة ﷺ.

ومنها: التوكّل الذي جسّده الحسين ﷺ في مسيرته، فقد قال: ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾^(٣) (٤).

ومنها: الإيثار الذي تجلّى بأروع صورته في نهضته ﷺ، سيّما عندما خطب في أهل بيته وأصحابه قائلاً: «... ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد رأيت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً»^(٥).

ومنها: رفض التمييز العنصري الذي لعب دوراً مهماً في إيصال فكر كربلاء؛ إذ نرى أنّ الإمام الحسين ﷺ قد وقف على جسد جون الحبشي حينما قُتل يوم عاشوراء ودعا له بقوله: «اللهم بيّض وجهه، وطيب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد»^(٦)، ولم يفرّق بينه وبين زعيم الأنصار حبيب ذي الحسب والنسب... إلى غير ذلك الكثير من المعاني الإنسانية السامية كالشجاعة، ورباطة الجأش عند نزول البلاء، والصبر على البلاء والمصائب، والثبات والعفة، والغيرة، والفتوة، والمروءة، والمواساة، والوفاء، والإغاثة، وحبّ الشهادة، والزهد في الدنيا، والرضا والتسليم، والإخلاص، وحبّ الله وذكّره، والقيام له، والتضحية في سبيله^(٧).

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

(٢) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٥٠.

(٣) هود: آية ٥٦.

(٤) البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين ﷺ: ص ٢٥٣.

(٥) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين ﷺ: ص ١٠٧.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٣.

(٧) أنظر: الفتلاوي، علي، الإمام الحسين ﷺ في وجدان الفرد العراقي: ص ٢٥-٣٥. محدثي، جواد،

٦- انبعاث الروح الجهادية لدى المجتمع

إنّ واقع المسلم قبل ثورة الإمام الحسين عليه السلام كان يدعوّه إلى الاستسلام والدعة، والحفاظ على الذات والأهل، والتمسك بالمنزلة الاجتماعية وعدم الزهد فيها. ولعلّ أحد أسباب ذلك ممارسة سياسة الترهيب والترويع من قبل الحكومة، كما كانت تمارس في مقابل ذلك سياسة الترغيب والإغراء أيضاً، كانت كلّ هذه الأسباب تحول بين الأمة وبين الثورة. وفي تلك الظروف انبثقت ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي كانت السبب في إحياء الإرادة لدى الأمة المسلمة، وانبعاث الروح النضالية، وإحداث هزّة قوية في ضمير الإنسان المسلم الذي ركن إلى الخنوع والتسليم، عاجزاً عن مواجهة الحاكم الظالم الذي يعبث بالأمة كيف يشاء، مؤطراً تحركه بغطاء ديني يحوكه بالدجل والنفاق والحيلة أحياناً، وبأيدي وعّاظ السلاطين أحياناً أخرى، فخلفت الثورة نوعاً من الندم والرغبة للتكفير عبر الوقوف بوجه الظالمين.

إنّ المجتمع في تلك الحقبة الزمنية قد أخذ إلى السكون والسبات طيلة عشرين عاماً، منذ أن استشهد أمير المؤمنين عليه السلام (سنة ٤٠هـ) إلى حين ثورة الحسين عليه السلام (سنة ٦١هـ) ولم يقم خلالها بأيّ ثورة، مع توفر الدواعي إلى الثورة خلال هذه الأعوام الطوال، إلّا بعض التمردات الطفيفة من قبل فرقة الخوارج، التي لم تكن متجاوبة مع المجتمع الإسلامي ولم تكن ناجحة.

وقد انطلقت على الحكم الأموي ثورات عديدة بعد مصرع سيّد الشهداء، وهي وإن لم يكتب لها النجاح، إلّا أنّها توالى حتّى سقط النظام الأموي، ورغم أنّ أهدافها كانت متفاوتة إلّا أنّها كانت تستلهم من معين ثورة الحسين عليه السلام، وسنشير -

بلاغ عاشوراء: ص ٥٥. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢١٩-٢٣٤. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٣٦-١٣٨. الذهبي، عباس، أبعاد النهضة الحسينية: ص ٥٢-٦٥.

باختصار شديد - إلى أبرز هذه الثورات وأهمها تاريخياً التي أثرت على مجمل التاريخ الإسلامي، وعلى سقوط الممالك الأموية الحاكمة^(١).

أ- ثورة أهل المدينة (وقعة الحرّة)

كانت ثورة المدينة ردّة فعل لمقتل الحسين عليه السلام، فكانت ثورة تستهدف تقويض حكم الأمويين الجائر البعيد عن الدين.

إنّ شعلة هذه الثورة كانت مُتأججة ولكنها كانت تبث عن مُبرّر للانفجار، والذي أّجج شُعلة الثورة أسباب، منها مقتل الحسين عليه السلام ولعلّه كان أهمّها؛ فإنّ زينب بنت علي عليها السلام دأبت بعد وصولها إلى المدينة على العمل للثورة، وعلى تعبئة النفوس لها، وتأليب الناس وتحريضهم على الخروج على يزيد^(٢).

وقد كان السبب المباشر لإشعال الثورة هو وفد أهل المدينة إلى يزيد من قبل عثمان ابن محمد بن أبي سفيان؛ إذ إنّهُ لما ولي الوليد الحجاز أقام يريد غرّة عبد الله بن الزبير فلا يجده إلاّ محترزاً ممتنعاً، وثار نجدة بن عامر النخعي باليامة حين قُتل الحسين، وثار ابن الزبير بالحجاز... فعزل يزيد الوليد، وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فيهم: عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عمرو المخزومي، والمنذر بن الزبير، ورجالاً من أشرف أهل المدينة، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم إلاّ المنذر بن الزبير، فإنّه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد أجاز بهائة ألف دينار، فلما قدم أو لئلك النفر المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعيبيه، بأنه رجل ليس له دين، ويشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر

(١) أنظر: الجلاي، محمد رضا، حول نهضة الحسين عليه السلام: ص ١٢. الأديب، عادل، الأئمّة الاثنا عشر: ص ١٣٨ - ١٣٩. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢٣٥ - ٢٣٨.

(٢) أنظر: المدرسي، محمد تقي، الصديقة زينب عليها السلام شقيقة الحسين عليه السلام: ص ٥٦ - ٥٧.

عنده الحراب (وهم اللصوص)، وأشهدوا الناس على أنهم خلعوه. وقام عبد الله ابن حنظلة الغسيل وحرّضهم على يزيد، فبايعوه على خلع يزيد، وولّوه عليهم^(١). وأمّا المنذر بن الزبير فقدّم المدينة، وكان ممن يُحرّض الناس على يزيد، وقال: «... والله، إنّه ليشرب الخمر، والله، إنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة. وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وأشدّ».

ولما دخل عام (٦٣ هـ) ثارت المدينة على الحكم الأموي، فقد أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد، فبعث يزيد إلى مسلم بن عقبة، وهو الذي سمّي مسرفاً، وهو شيخ كبير فاستجاب، فنادى في الناس بالتجهّز إلى الحجاز، فانتدب لذلك اثنا عشر ألفاً، فغلبت قوات الشام أهل المدينة بعدما قُتل من الطرفين أناس كثير، ولم يكتفِ مسرف بذلك، بل أباح المدينة لجيش يزيد ثلاثاً، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال...^(٢)، فقمعت الثورة بجيش الشام بوحشيّة متناهية، ودعا مسلم بن عقبة الناس لبيعة يزيد على أنّهم خول له، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما يشاء^(٣).

ب- ثورة عبد الله بن الزبير

ولد عبد الله بن الزبير بن العوّام بعد الهجرة بعشرين شهراً، وكان ناصبياً مبغضاً لأهل بيت النبي ﷺ، فهو كما قال عليّ عليه السلام: «ما زال الزبير منّا أهل البيت حتّى نشأ عبد الله فأفسده»^(٤)، «وكان يبغض بني هاشم ويلعن ويسبّ علياً»^(٥)، وهو الذي دفع أباه

(١) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٤، ص ١١١-١٢٢.

(٣) وللتفصيل في هذه الثورة، أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٧٠-٣٨١. الكوفي، محمد بن أعثم، الفتوح: ص ١٤٠-١٤٢. السبحاني، جعفر، الملل والنحل: ج ٧، ص ٢٤١-٢٤٢. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢٤٥-٢٤٨. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٣٩.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ٢٨٩.

(٥) المصدر السابق.

إلى محاربة الإمام علي عليه السلام في وقعة الجمل بعدما ندم وأراد التصالح والتراجع، ومع هذا فهو ممن اتخذ ثورة الإمام الحسين عليه السلام ذريعة لخروجه على الحاكم الأموي، فلما قُتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله، وعاب أهل الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة، وقد كان يبايعه الناس سرّاً، ويظهر أنّه عائد بالبيت^(١).

ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة ونهبها، شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه، فلما انتهى إلى المشلل نزل به الموت، فلما مات سار الحسين بالناس فقدم مكة، وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير، واجتمعوا عليه، ولحق به المنهزمون من أهل المدينة، فحملوا على جيش الشام يقاتلونه، ولأجل القضاء على ابن الزبير المتحصن في المسجد الحرام رمى جيش الشام البيت الحرام بالمجانيق وحرقوه بالنار، وكانت الحرب طاحنة، وحينذاك بلغهم نعي يزيد بن معاوية، فرجع جيش يزيد إلى الشام^(٢).

كان ابن الزبير يسوس الحجاز والعراق، وفيهما عماله، إلى أن استولى عبد الملك على العراق عام (٧١هـ) وعندها وجه عبد الملك طاغيته الحجاج بن يوسف الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير، وقدم مكة ورمى الكعبة بالمجنيق، وقتل ابن الزبير^(٣)^(٤).

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٦٤. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٩٨-٩٩.

(٢) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٢٣-١٢٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٨١-٣٨٤.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٤. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٣٤٩-٣٥٦. السبحاني، جعفر، الملل والنحل (الزيدية): ص ٢٤٣-٢٤٥. الحسيني، هاشم معروف، من وحي الثورة الحسينية: ص ٩٧-٩٩.

(٤) أنظر: السبحاني، جعفر، الملل والنحل (الزيدية): ص ٢٤٣-٢٤٥. الحسيني، هاشم معروف، من وحي الثورة الحسينية: ص ٩٧-٩٩.

ج- ثورة التّوّابين

لَمَّا قُتِلَ الإمام الحسين عليه السلام ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، تلاقى بعض المسلمين بالتلاؤم والتندّم، وأحسوا بالخطأ الفادح بخذلانهم الحسين عليه السلام، وأكثروا من البكاء عليه، ورأوا أنّه لا يدفع عنهم ذلك الشعور بالذنب والتقصير في الدفاع عنه إلاّ بقتل مَنْ قتلَه أو القتل فيه. وسَمّوا أنفسهم التّوّابين، ومن ذلك أتى اشتهاً ثورتهم بثورة التّوّابين.

وعلى الرغم من أنّ حركتهم قد بدأت خلال الأشهر الأولى من السنة التي قُتِلَ فيها الحسين عليه السلام، ولكن ظهورها قد تأخر، وقد فزعوا حينها إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة في الكوفة، وهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيّل الأزدي، وعبد الله بن وائل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي، فاجتمعوا، وجعلوا سليمان بن صرد الخزاعي زعيماً لهم^(١).

ولم يقتصر الأمر على الكوفة فحسب، وإنّما بعثوا برسائل إلى مناطق مختلفة يدعون الشيعة فيها إلى الثأر لسيّد الشهداء، كالمدائن والبصرة وغيرها، وقد أجابوا دعوتهم^(٢).

وكانت بداية أمرهم بعد قتل الحسين عليه السلام سنة (٦١هـ)، فما زالوا يجمعون الأموال والأسلحة ويهيئون الرجال والأنصار في السّرّ، فكان يجيهم القوم بعد القوم من الشيعة وغيرها، فلم يزالوا كذلك إلى أن هلك يزيد، فخرجت طائفة دعاة يدعون الناس، فاستجاب لهم - بعد هلاك يزيد - أناس كثيرون أضعاف مَنْ استجاب لهم قبل ذلك، وأخذوا يشترون السلاح ظاهرين، ويجاهرون بجهازهم وما يصلحهم، حتّى إذا كانت ليلة الجمعة (٥) ربيع الثاني سنة (٦٥هـ) خرجوا وتوجّهوا إلى قبر الحسين عليه السلام، وأظهروا ندمهم وجزعهم، وأكثروا عنده البكاء^(٣).

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٢٨.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٣١.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٥٦-٤٥٧.

وقد بلغ عددهم (٤) آلاف شخص، فثاروا وكان شعارهم: (يا لثارات الحسين)، وعسكروا في النخيلة ليسيروا منها إلى الشام، وكان قيامهم في عهد مروان ابن الحكم.

وسارت كتائبهم حتى انتهت إلى عين الورد سنة (٦٥هـ)، فأقاموا فيها وزحفت إليهم جنود الشام وجرت بينهما أعنف المعارك وأشدّها ضراوة، واستشهد قادة التوّابين كسليمان بن صرد، وكان عمره (٩٣) سنة، ولما رأى التوّابون أنّهم لا قدرة لهم على مقابلة أهل الشام الذين كانوا بقيادة الحصين بن نمير، رجعوا في غلس الليل إلى الكوفة، وكان عدد منهم قد استشهد في المعركة.

لقد اعتبر التوّابون أنّ المسؤول الأول والأهم عن قتل الحسين عليه السلام هو النظام وليس الأشخاص؛ ولذا توجّهوا إلى الشام ولم يلقوا بالآل إلى من في الكوفة من قتلة الحسين عليه السلام.

إنّ الاستجابة للثورة لم تقتصر على الشيعة وحدهم، بل شاركهم فيها غيرهم ممن يأملون تغيير الأوضاع عن طريق إزالة الحكم الأموي بالثورة.

إنّ هذه الثورة أثّرت في مجتمع الكوفة تأثيراً عميقاً؛ فقد عبّأت خطب قادات هذه الثورة وشعاراتهم الجماهير في الكوفة للثورة على الحكم الأموي، فكان ذلك بداية زوال سلطة الأمويين عن العراق^(١).

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٢٦-٤٣٦، وص ٤٤٩-٤٧٣. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٩٣-٩٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٧٦-٢٨١. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٧٥-١٨٩. السبحاني، جعفر، الملل والنحل (الزيدية): ص ٢٤٦-٢٥٧. بيضون، إبراهيم، التوّابون: ص ٩٢-١٨٤. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢٣٩-٢٤٣. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٣٩.

د. ثورة المختار الثقفي

إنّ ثورة المختار الثقفي من الثورات التي أثلجت قلوب بني هاشم؛ إذ ما امتشقت هاشمية ولا اختضبت حتى أخذ المختار بثأر الحسين عليه السلام من قتلته.

فالمختار كان من أهل الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ومن المطالبين بدم الحسين عليه السلام، وإنّما اختار الكوفة؛ لأنّها مجتمع أنصاره وأعدائه، ولما نزل الكوفة اجتمع حوله كثير من الشيعة، وجعل يبكي على شهداء الطف، ويحثُّ أهل الكوفة على الأخذ بالثأر، فمالت إليه الشيعة وانضافوا إلى جملته^(١).

إنّ من أهداف ثورة المختار تحقيق العدل الاجتماعي، والسير وراء الإصلاح الذي قام به الإمام علي عليه السلام، وأخذ الثأر من قاتل الإمام الحسين عليه السلام.

وقد تغلّب المختار وسيطر على الوضع، ودخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام.

وكانت فترة ولايته في الكوفة ما يقارب (١٨) شهراً، فجدّ في الأمر، وبالع في النصر، وتتبع أولئك الأرجاس ممن اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وأخذ الثأر منهم، فوجّه يزيد بن أنس، ثمّ وجّه إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر للقاء عبيد الله بن زياد فقتلوه، فبعث المختار بخبر القتل إلى الإمام السجاد عليه السلام في المدينة، وقتل الحصين ابن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وتتبع قتلة الحسين عليه السلام فقتل أغلبهم، وقتل عمر بن سعد وغيره^(٢).

وقد أنصف المختار الموالي عندما تولّى الحكم - وهم المسلمون غير العرب، وهم طبقة كانت مضطهدة في عهد الأمويين واستمر اضطهادها في عهد ابن الزبير - فجعل لهم من الحقوق مثل ما لغيرهم من عامّة المسلمين.

(١) أنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٧٣-٧٤.

(٢) أنظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٥٩.

وقد أثار هذا العمل الأشراف وسادة القبائل، فتكتلوا ضدّ المختار، وتآمروا عليه، وأجمعوا على حربه، وكان على رأس هؤلاء المتمردين قتلة الإمام الحسين عليه السلام، ولكنهم فشلوا في حركتهم^(١).

وكانت حركة التمرد هذه سبباً في تعجيل المختار على تتبع قتلة الإمام الحسين عليه السلام وآله في كربلاء وقتلهم، واستمرت تلك الثورة إلى أن أتى مصعب بن الزبير إلى الكوفة بجيش جرّار، وحاصر المختار في قصره أياماً، إلى أن قتله وهو ابن (٦٧) سنة يوم (١٤) شهر رمضان في سنة (٦٧)^(٢) (٣).

هـ- ثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

ولد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في المدينة المنورة سنة (٨٠هـ)، وقد بدأت فكرة الثورة تراوده عندما كان في العراق، فقد كان العدد الأكبر من شيعة آل البيت موجودين هناك وخاصّة في الكوفة، وتمثّلت فرصة الثورة عندما غضب هشام بن عبد الملك على والي العراق خالد بن عبد الله القسري بسبب وشايات وسعايات في حق خالد، فقام بعزله وكلف مكانه رجلاً من ألدّ أعداء خالد القسري، وهو يوسف بن عمر الثقفي وكان والياً على اليمن، عندها قدم الشيعة إلى زيد عليه السلام يبايعونه ويقسمون على القتال بين يديه حتّى الموت، ويحظّونه على الخروج، حتّى اجتمع عنده ديوان به أسماء (٤٠) ألف مقاتل.

وقد لقيت الثورة استجابة واسعة من المسلمين، فقد بويع زيد على الثورة في

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥١٧.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٤، ص ٥٧٧.

(٣) وللتفصيل في هذه الثورة، أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٨٧-٥٧٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٧٨-٢١١. السبحاني، جعفر، الملل والنحل (الزيدية): ص ٢٥٨-٢٦٩. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢٤٩-٢٥١. الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٣٩-١٤٠.

الكوفة والبصرة، وواسط والموصل، وخراسان والرّي وجرجان. ولقد كان حريّاً بثورته أن تنجح لولا اختلال التوقيت؛ فقد حدث ما دفع زيداً إلى إعلان الثورة قبل الموعد الذي بينه وبين أهل الأمصار.

وقد حدد زيد بن علي موعداً للخروج، يوم الأربعاء (١) صفر (١٢٢هـ)، ولكن التقديم أدّى إلى سهولة كشف الثورة، فقد وصلت الأخبار ليوסף بن عمر، فأمر بجمع أهل الكوفة يوم الثلاثاء آخر محرّم - أي: قبل الثورة بيوم - في الجامع الكبير، وأخذ يتوعّد مَنْ يتخلّف بالقتل، وأرسل الشرطة لجمع الناس بالجامع، وخرج زيد وأصحابه ولم يجتمع عنده إلا (٣١٨) رجلاً فقط، وأصرّ زيد بن علي عليه السلام على مواصلة الثورة والخروج.

وعندما التقى الطرفان أقبل يوسف بن عمر بجيشه، ودارت رحى حرب غير متكافئة، وثبت زيد ومن معه في القتال، فلما كان يوم الخميس (٢) صفر واصل زيد القتال بضراوة شديدة حتّى أصيب بسهم في جانب دماغه الأيسر، فحمله أصحابه وطلبوا له الطبيب، ولكنه ما إن نزع السهم من دماغه حتّى مات ^(١).

إنّ ثورة زيد بن علي كانت ثورة عارمة بوجه الظالمين، هزّت أركان الدولة الأمويّة، وقد استغلّها العباسيون في تنظيم حركتهم وإقامة دولتهم، وهذا يبرز بوضوح عظم تأثير ثورة الحسين عليه السلام في تغذية الروح الثورية ومدّها بالعطاء، فما ثورة زيد إلا قبس من ثورة جدّه عليه السلام في كربلاء ^(٢).

و- ثورة أبي السرايا

وهي ثورة محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الحسني (المعروف بأبي السرايا)، قام بها ضد المأمون.

(١) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ص ٢٤٢-٢٤٨.

(٢) للتفصيل أكثر في هذه الثورة. أنظر: السبحاني، جعفر، الملل والنحل (الزيدية): ص ٢٧٧.

الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٤٠-١٤١. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام

ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢٥٩-٢٦١.

إن هذه الثورة لم تكن لتنجح لو لم تعتمد على إيجاءات ثورة كربلاء؛ إذ كان محمد ابن إبراهيم يمشي في بعض طرق الكوفة، فنظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب فتلقط ما يسقط منها، ليس لها رجل أو ولد يعيّلها، فبكى ابن إبراهيم بكاءً شديداً، وقال لها: أنتِ وأشباهك تُخرجوني غداً حتّى يُسفك دمي.

فلما أعلن أمره، خطب الناس ودعاهم إلى البيعة، وإلى الرضا من آل محمد، وإلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبايعه جميع الناس حتّى تكابسوا وازدحموا عليه.

ولكن محمد بن إبراهيم مات بعد نشوب الثورة بقليل، فلم تحمد وإنما قام عليها من بعده علي بن عبيد الله العلوي، وشملت الثورة العراق والشام، والجزيرة واليمن^(١).

هذه نماذج من الثورات التي تأثرت بروح الثورة الحسينية، والتي استمرت حتّى قضت على الحكم الأموي بثورة العباسيين، والتي لم تكن لتنجح لو لم تعتمد على إيجاءات تلك الثورة، ولولا استغلالها لشعار الرضا من آل البيت الذي أكسبها الكثير من القواعد الشعبية الجماهيرية.

٧. بقية آثارها المتصورة على الصعد المختلفة الأخرى

نتعرض إلى الآثار المختلفة على الصعد المتعددة بإيجاز واختصار؛ إذ إنّ ملحمة كربلاء قد أدت إلى:

أ - ظهور قيم جديدة مستمدة من عاشوراء والحسين ﷺ، وأضحى عاشوراء ملهماً لجميع النهضات التحررية والحركات الثورية عبر التاريخ.

ب - تحوّلت كربلاء إلى مدرسة للمحبّة والإيمان، والجهاد والشهادة لجميع الأجيال الشيعية الثورية.

(١) وللتفصيل في هذه الثورة، أنظر: الأديب، عادل، الأئمة الاثنا عشر: ص ١٤٠-١٤١. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين ﷺ ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية: ص ٢٦٣-٢٦٥.

ج- ظهرت عقبها قاعدة راسخة وعميقة للإعلام على مدى التاريخ، تقوم على محور شخصية واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

د- إدراك المسلمين وغيرهم أن أهل البيت عليهم السلام هم الأنموذج الأكمل لقيادة الأمة، وتبلور البعد العقائدي لدى الشيعة على محور الإمامة.

هـ- تماسك صفوف الشيعة في خندق المواجهة، وخلق شعور اجتماعي لدى الناس.

و- ازدهار الطاقات الأدبية وظهور أدب عاشوراء.

ز- انتشار منابر الوعظ والإرشاد كأداة لتوعية الناس^(١).

ح- تغيير الأوضاع السياسية، واستبدال الجهاز الحاكم وأسلوب الإدارة والسياسة، وتغيير التعامل مع الأمة، وفق الموازين والمقاييس التي أثبتتها الإسلام.

ط- تثبيت مبدأ شرعية القوة والمقاومة المسلحة للحاكم الظالم.

ي- إعادة تربية وبناء الأمة بناءً سليماً.

ك- تصحيح الانحراف وتطبيق أحكام الشريعة وقوانينها.

ل- بعثت ثورة الإمام الحسين عليه السلام من جديد جميع القيم والمفاهيم الدينية التي طُمست وطواها النسيان بفعل المؤامرات والخطط المدروسة التي وضعها بنو أمية، فأعيد إلى الواجهة رأي الدين في الحكومة والحاكم وبيت المال وحقوق الأمة، وسرت في بناء الإيمان والعقيدة روح جديدة، وكشف النقاب عن التحريف، وغدت النفوس الذليلة عزيزة وقادرة على الوقوف بوجه الطاغوت.

م- فتحت واقعة كربلاء جبهة المعارضة للحكومة الأموية ومن بعدها العباسية، سواء بشكل فردي، فقد دفعت ذوي النفوس الأبية للخروج على الحكومة وفضح ماهيتها، أم بشكل المواجهة الجماعية وقيام الثورات الشاملة في مدينة معينة أو إقليم.

(١) أنظر: محدثي، جواد، موسوعة عاشوراء: ص ٤٣٧-٤٣٩.

ن- بيان أحقية أهل البيت عليهم السلام في الخلافة السياسية لكونهم أهلاً لها^(١)، وقد بينها الإمام عليه السلام بقوله: «نصبح ونصبحون وننظر وننظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة»^(٢).

س- أنقذت الكوفة من خطر تصفية وجود الشيعة فيها، فعادت قلعةً لشيعة علي عليه السلام، وقامت ببقية خطة الحسين عليه السلام في قتال بني أمية، لتفهم الأمة أن طاعتهم ليست من الدين في شيء.

ع- تجديد تجربة الإمام علي عليه السلام في العدل والتثقيف والتعددية المذهبية.
ف- أنقذت الأحاديث النبوية في فضل أهل البيت عليهم السلام، التي كانت معرضة للاندثار بسبب موت حملتها حين تمزقت الدولة الأموية وانتهت سيطرتها الفكرية في العراق والحجاز، وتحرك المحدثون لإفراغ ما في صدورهم إلى الجيل الجديد.

ص- بروز نجم الإمام علي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر ابن محمد الصادق عليهم السلام، أعلاماً للهداية، وبالأخص بروز مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة.

خ- ظهرت حركة بني هاشم بأجنحتها المختلفة تحمل نظرية الحركة السياسية على نهج الحسين عليه السلام.

ر- سقوط دولة بني أمية سياسياً على يد الجناح العباسي من حركة بني هاشم؛ إذ لم يطل الأمر إلا ستين عاماً حتى انهدت أركانها.

ش- إظهار قبر علي عليه السلام وزيارته، وزيارة قبر الحسين عليه السلام والدعوة لذلك.

ت- إحياء خط الإمام علي عليه السلام في الفقه والعقيدة، وتكوين العقل الفقهي الشيعي، وتدوين الأصول الأربعمئة في ضوء صحيفة علي الجامعة في السنوات الخمسة الأولى من العهد العباسي في قبال المدارس الفقهية الأخرى^(٣).

(١) أنظر: الذهبي، عباس، أبعاد النهضة الحسينية: ص ٨٧-٨٨، وص ٩٧-٩٨.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧.

(٣) أنظر: الشهرستاني، هبة الدين، نهضة الحسين عليه السلام: ص ١٥-١٧. البدري، سامي، النهضة الحسينية خلفيات ونتائج: ص ٣٠-٣١.

كُلّ ما ذكرناه في هذا البحث الوجيز لا يمثل إلّا غيضاً من فيض هذه الثورة العظيمة التي غمرت المعمورة بآثارها وبركاتها، نعم، لقد حيّرت أعظم العقول البشرية؛ إذ عجزت عن الغور في أعماقها وإدراك حقّ كنهها، فهي كالقرآن العظيم سيالة وجارية في مختلف العصور والدهور، نعم، إنّها الثورة الحسينية الخالدة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١ - أبعاد النهضة الحسينية، عباس الذهبي، نشر: مركز الرسالة.
- ٢ - الإرشاد، محمد بن محمد المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ٣ - الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٤ - الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٥ - الأمالي، محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: حسين الأستاذ ولي، وعلي أكبر الغفاري، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ٦ - الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي، علي الفتلاوي، إصدار قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية، كربلاء، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ٧ - الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام.. دراسة تحليلية، عادل الأديب، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٨ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ٩ - البداية والنهاية إسماعيل بن عمر الدمشقي، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٠ - بلاغ عاشوراء، جواد المحدثي، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- ١١ - تاج العروس، محمد بن محمد بن مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ١٢ - تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق ومراجعة: نخبة من العلماء الأجلاء، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ١٣ - تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ١٤ - تاريخ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي، الناشر: دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٥ - التوابون، الدكتور إبراهيم بيضون، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ١٦ - ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، ٢٠٠٦م.
- ١٧ - ثورة الحسين عليه السلام، محمد باقر الحكيم، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١٨ - دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحياة السياسية، عادل الأديب، دار التعارف، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ١٩ - شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد المغربي، تحقيق: السيّد محمد الحسيني الجلالي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٢٠ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري

السياني، تحقيق: حسين العمري وآخرون، نشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى،
١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢١ - الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار
العلم للملأين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢٢ - الصديقة زينب عليها السلام شقيقة الحسين عليه السلام، السيد محمد تقي المدرسي، منشورات البقيع،
وإار البصائر، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٣ - العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله البحراني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام،
الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدسة، الطبعة الأولى
المحققة، ١٤٠٧هـ/١٣٦٥ش.

٢٤ - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور
إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٢٥ - فاجعة الطف، محمد سعيد الحكيم، الناشر: دار الهلال، الطبعة الثالثة (طبعة مزيدة
ومنقحة)، ١٤٣١هـ.

٢٦ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر:
مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٧ - الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، الناشر: دار صادر للطباعة
والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢٨ - لسان العرب، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي
المصري، نشر أدب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥هـ/١٣٦٣ش.

٢٩ - اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس، الناشر: أنوار الهدى، قم -
إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٠ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي،

الناشر: دار الهجرة، إيران - قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٣١- المصباح المنير، أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع.

٣٢- مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني، الناشر: دفتر

نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٣٣- مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف الأزدي، تحقيق: حسين الغفاري، مطبعة العلمية - قم.

٣٤- الملل والنحل، جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم - إيران،

الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣٥- من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسني، دار القلم، بيروت - لبنان.

٣٦- النهضة الحسينية.. خلفيات ونتائج، السيد سامي البدري، مؤسسة تراث النجف

الحضاري والديني، النجف الأشرف، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م.

المواقع الإلكترونية

37 - ten.defar.hcraeser.

خُلُوصَةُ الْمَقَالَاتِ

بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِنْجِلِيزِيَّةِ

الحضور القرآني في بيانات الإمام الحسين عليه السلام (٢)

آية الخوف والترقب أنموذجاً

الشيخ صباح عباس الساعدي

بعد التعرّض إلى محورية منهج التفسير بالمأثور الأعم من شأن نزول الآيات القرآنية وأسبابها، وبيان إمكانية شمول مدلول النصوص الدينية - فضلاً عن الآيات القرآنية - لأشخاص أو وقائع مشابهة لمورد النزول وفقاً لقاعدة المورد لا يخصص الوارد، واستناداً إلى نظرية الجري والانطباق، ضمن تمهيد قدّمه الباحث في البداية، فقد تطرق إلى أنّ هناك مجموعة من الآيات التي تمّ توظيفها ضمن بيانات الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، وقد سعى لمعرفة العلاقة التي سوّغت للإمام الحسين عليه السلام استحضار هذه الآيات دون غيرها، مقتصرّاً في هذا القسم من البحث على الآية الأولى التي قرأها الإمام عليه السلام في بداية مسيرته الإصلاحية حينها خرج من المدينة وهو يردد قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ولكي يُعطي البحث استحقاقه فقد قام الباحث بتطبيق الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: المعنى التفسيري للآية الكريمة.

الخطوة الثانية: الموقف الذي دعا الإمام عليه السلام لقراءة الآية المباركة.

الخطوة الثالثة: المقارنة بين المعنى التفسيري وملابسات الحادثة التي واجهها

الإمام عليه السلام.

وقد خلص إلى وجود وجوه شبه كثيرة بين الإمام الحسين عليه السلام والنبي موسى عليه السلام،

من أهمها:

١- إنّ الظروف التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام حين خروجه من المدينة كانت

مشابهة بشكل كبير للظروف التي مرّ بها النبي موسى عليه السلام حينما خرج من مصر.

٢- كما أنّ المهمة التي أُنيّطت بهما عليهما السلام واحدة كذلك.

٣- إنّ الخوف الذي حصل من الخطر المداهم لهما عليهما السلام لم يكن نتيجة الضعف والوهن في شخصية النبي أو الإمام عليهما السلام، وإنّما لأخذ الحيطة والحذر من الأسباب التي قد تحول دون تحقيق الأهداف الإلهية.

٤- إنّ العدو الذي واجهه الإمام الحسين عليه السلام كالعدو الذي واجهه النبي موسى عليه السلام في كثير من الخصائص والصفات، وهذا الشيء هو الذي حتمّ على الإمام الحسين عليه السلام أن يقف في وجه يزيد بن معاوية.

وقد أوكل البحث عن الآيات الأخرى إلى فرصة أخرى إن شاء الله تعالى.

The Quranic Presence in the Statements of Imam al-Husayn (PBUH) – The Verses Related to Prophet Musa as a Sample

Shaykh Sabah Abbas al-Saidi

In the introduction, the researcher addresses the axis of the method of Quranic exegesis based on Quranic verses and narrations broader than circumstances of the revelation of the verse and its causes. After that, he articulates the possibility that the purport of the religious texts – in addition to the Quranic verses – also includes people or events similar to the specific situation of the revelation of the verse following the rule of “The Given Situation Do Not Specify the Rule,” and based on the theory of Applicability and Implementation. The researcher then mentions that there is a series of Quranic verses employed in the statements of Imam al-Husayn (PBUH) in his blessed uprising. The researcher attempts to understand the relation that rationalized for Imam al-Husayn (PBUH) to use these verses and not others – focusing in this part of the research on the first verse the Imam (PBUH) recited when he left Medina while reciting, “So he left it, fearful and anticipating [apprehension]. He said, ‘My Lord, save me from the wrongdoing people.’”

In order to do the study right the researcher studies the following subjects:

The exegetical meaning of the holy verse.

The situation causing the Imam (PBUH) to recite the holy verse.

After that follows a comparison between the exegetical meaning and the circumstances of the situation, the Imam (PBUH) faced. The researcher concludes that there exist many similarities between Imam al-Husayn (PBUH) and Prophet Musa (PBUH), among which the most

significant are:

1. The circumstances during which Imam al-Husayn (PBUH) left Medina resembles, to a great degree, those of Prophet Musa (PBUH) when he left Egypt.

2. They had the same mission [i.e., to save people from a tyrant ruler].

3. The fear they relived due to the danger they were in was not a result of weakness or feebleness in the Prophet or the Imam (PBUT). Rather it was the result of their cautiousness from what might hinder achieving the divine goals.

4. The enemy that Imam al-Husayn (PBUH) faced, resembles the enemy Prophet Musa (PBUH) faced in many traits and characteristics, which compelled Imam al-Husayn (PBUH) to oppose Yazid, son of Muawiya.

The researcher left the study of the other verses to another chance.



ندوة:

النفس المطمئنة الحسينية.. كيف نفهمها؟ وكيف نتقدي بها؟

العلامة السيد منذر الحكيم

البحث هو عبارة عن محاضرة أُلقيت في ندوة أقامتها مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، وقد تطرّق الباحث في مقدّمة بحثه إلى عظمة الشخصية الحسينية، وسرّ خلودها الناتج عن سموّ الروح ورفعته المرتبة والتفاني والتضحية وعصمة القلب وطهارة النفس، وغيرها من الصفات التي تجسدت في شخصية سيد الشهداء عليه السلام.

ثمّ قسّم البحث إلى محورين، الأول حول كيفية الفهم، والثاني حول كيفية الاقتداء. وذكر أنّ للفهم في القرآن الكريم ثلاثة أصول، هي: التأكيد على المنهجية في الفهم، وطرح الملاكات والمعايير قبل طرح النماذج والمصاديق، والمزاوجة بين المعيار والمصداق. ثمّ ذكر ثلاث نقاط أساسية في منهج الفهم، هي: مصدر استقاء المعلومة، سلامة المحتوى، والأدوات التي تجعلنا نطمئن بسلامة المعلومة.

بعد ذلك تطرّق إلى مراتب النفس الإنسانية في القرآن الكريم، فذكر النفس الأمّارة، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة، مستدلاً على ذلك بذكر بعض الآيات القرآنية.

كما تطرّق إلى خصائص النفس المطمئنة في سورة الفجر، وهي: الاطمئنان، والرجوع إلى الله تعالى، والرضا بقضاء الله وقدره. ثمّ ذكر بعض المرويات الدالّة على اختصاص السورة بالإمام الحسين عليه السلام، وأنه عليه السلام هو صاحب النفس المطمئنة.

ثمّ تطرّق إلى الفرق بين (راضية) و(مرضية)، فذكر أنّ صاحب النفس المطمئنة

الذي وصل إلى مرتبة الرضا يتكامل في هذا الطريق حتى يرضى الله عنه فتكون شخصيته مرضية.

وفي نهاية البحث أشار إلى الإشكالية التي تمنع من الاقتداء بسيد الشهداء عليه السلام؛ وذلك نتيجة الفهم المغلوط للشخصية الحسينية، وذكر أن اللازم قوله هو: إن الله تعالى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام قدوة لنا؛ مستشهداً لذلك بقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

A Seminary:
The Husayni Soul at Peace
– How Should We Understand it? And How Should
We Follow in its Footsteps?

The Scholar, Sayyid Mundher al-Hakeem

The article is a lecture delivered at a seminar held by The Warith al-Anbiya Institute "for studies about Imam al-Husayn (PBUH)." At the beginning of the lecture, the researcher addresses the greatness of Imam al-Husayn (PBUH) and the secret behind his eternalization caused by the spirit of nobility, high position, dedication, sacrifice, infallibility of the heart, purity of the soul, and other characteristics manifested in the person of the Master of the Martyrs (PBUH).

After that, the researcher divides the study into two objects of research. The first is concerned with the method of understanding, and the second with the method of following in its footsteps. He mentions that understanding in the Holy Quran has three basics: emphasizing the methodology in understanding, presenting the criteria and measurements before the examples and manifestations, and pairing the measurement and the manifestations. After that, he mentions three main points in the methodology of understanding: the source from which the information is derived, the quality of the content, and the tools that make us rely on the quality of the information.

The researcher then addresses the stages of the human soul in the Holy Quran and mentions *The Soul Prone to Enjoin Evil*, *The Self-Accusing Soul*, and *The Soul at Peace*, inferring this from some Quranic verses he presents.

He also mentions the qualities of *The Soul at Peace* mentioned in

Sura al-Fajr, which are: being at peace, returning to Allah, exalted is He, and being content with what Allah destine and determine. He then mentions some narrations indicating that the Sura addresses Imam al-Husayn (PBUH) and that he (PBUH) is the mentioned *Soul at Peace*.

He then addresses the difference between *Radhiya* (well pleased) and *Mardhiya* (well pleased by Allah), where he mentions that an owner of a *Soul at Peace* who has reached the stage of contentment continues to perfect the self until Allah, exalted is He is pleased with them.

At the end of the research, the researcher mentions the problem preventing one from following the Master of the Martyrs (PBUH): the misconception of Imam al-Husayn (PBUH). He notes that the correct view is that Allah, exalted is He, made the Messenger of Allah (PBUH&HF) and his Household (PBUT) role models for us. As evidence, he cites His words, exalted is He, "Verily you have in the Messenger of Allah, an excellent model."



(الحسين سبط من الأسباط)

دراسة موضوعية في ضوء الروايات والآيات القرآنية

الشيخ حميد البغدادي

البحث عبارة عن بيان مفردة من المفردات المهمة في ضوء القرآن الكريم والروايات الشريفة، ألا وهي مفردة (السبط)، وقد تجلّت علاقة هذا الموضوع بالإمام الحسين عليه السلام في الحديث النبوي الشريف: «حسين سبط من الأسباط»، وقد ذكر الباحث أنّ هذا الحديث حديث متواتر، رواه الفريقان في مصادر عدة، إلّا أنّه قد وقع الاختلاف بينهم في المراد منه، كما اختلفوا في المراد من الأسباط في القرآن الكريم، منوّهاً إلى أنّ كلمة السبط في الروايات الشريفة أُطلقت على الإمام الحسين عليه السلام على انفراد في الأغلب، وبمعنى الإمام الحسن عليه السلام في موارد أخرى، بل أشارت بعض الروايات إلى انطباق اللفظ على الإمام علي عليه السلام، ولم يوصف غيرهم من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بذلك؛ مما يدل على اختصاصه بهم عليهم السلام.

وقد حاول الباحث باختصار عرض ما ورد بخصوص لفظ السبط والأسباط في القرآن الكريم، والمعاني المرادة منه، وأقوال العلماء والمفسرين، بعد بيان المراد من المصطلح لغة، ثمّ عقب على ما ورد بخصوص الإمام الحسين عليه السلام في الحديث الشريف، محاولاً الخروج بالمراد من إطلاق لفظ السبط على الإمام الحسين عليه السلام في السنّة المطهرة. وفي الختام ذهب الباحث إلى أنّ القول المختار: هو كون السبط في حديث (الحسين سبط من الأسباط) هو النقيب من بني إسرائيل الذي له سلطة دينية ودينية، معزّزاً كلامه ببعض الشواهد على ذلك.

Al-Husayn is a Grandson Among the Grandsons" – A Subjective Study in Light of the Narrations and Quranic Verses

Shaykh Hamid al-Baghdadi

The study is an articulation of an important term in light of the Holy Quran and the noble narrations. The term intended is al-Sibt (the grandson), where this subject's relation to Imam al-Husayn (PBUH) is visible in the noble Prophetic narration, "Al-Husayn is a grandson among the grandsons."

The researcher mentions that this narration is a recurrent narration reported by both Shia Muslims and Sunni Muslims in several sources. However, disagreements occurred on the meaning of it and the meaning of *Asbaat* (grandsons) in the Holy Quran. The researcher points toward the fact that the term, al-Sibt (the grandson) has been used in the narrations to address Imam al-Husayn (PBUH), usually when he (PBUH) was mentioned alone, but also when the narrations would address him and his brother, Imam al-Hasan (PBUH). Some narrations even indicate that the term might be applicable for Imam Ali (PBUH) also. In contrast, none of the Companions of the Noble Prophet (PBUH&HF) were described as so, which illustrates that the term is specifically addressing them (PBUT).

The researcher attempts to shortly depict the reports on the terms al-Sibt and al-Asbaat in the Holy Quran. He also presents the meaning of these terms and the opinion of the scholars and interpreters after a presentation of the linguistic definition of the terms. After that, he addresses the narration on Imam al-Husayn (PBUH), where he attempts to identify the purpose of addressing Imam al-Husayn (PBUH) as al-Sibt in the pure Prophetic Traditions.

In the end, the researcher believes that the preferable opinion on the meaning of al-Sibt in the narration, "Al-Husayn is a grandson among the grandsons" is that the term means a chief in possession of religious and worldly authority such as the Quranic meaning of Sibte within Bani Israel supporting his opinion with some evidence.

الأنس القرآني في الخطاب الحسيني .. دراسة تحليلية

الشيخ حيدر الأسدي

بدايةً تطرّق الباحث إلى تعريف الأنس وأقسامه، فذكر له أربعة أقسام، هي: الأنس الظاهري، والأنس المعنوي، والأنس العملي، والأنس الاتحادي، ثم ذكر بعض الروايات التي أشارت إلى ذلك.

كما تطرّق إلى بيان الأنس القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام في الدعاء والمناجاة، مسطّطاً الضوء على الآيات القرآنية الواردة في دعائه عليه السلام يوم عرفة، وتحليلها، وبيان الدقّة في اختيارها، وتناسبها مع كلام الإمام؛ مما يدلّ على شدّة أنسه عليه السلام مع القرآن الكريم.

ثمّ تناول الأنس القرآني للإمام في الخطب، منها: خطبته في معرفة أهل البيت عليهم السلام وفضلهم، التي ألقاها عليه السلام بحضور معاوية، وهي خطبة رائعة كمّمت الأفواه وأخرست الألسن. ومنها: خطبته في منى، وهي من أهمّ الخطب التي ألقاها عليه السلام بين عليّة القوم من الصحابة والتابعين. ومنها: خطبته صبيحة يوم عاشوراء. ثمّ ذكر الآيات القرآنية التي تضمّنتها هذه الخطب، مبيناً أنّ الإمام عليه السلام استطاع أن يوظّف تلك الآيات بأروع أسلوب، وبانسجام واندماج كامل بين كلامه عليه السلام وكلام الله تعالى؛ معللاً ذلك بالنتيجة الطبيعية للأنس بالقرآن الكريم الذي يمتلكه الامام الحسين عليه السلام.

وختم الباحث مقاله بمقارنة مقتضبة بين الآيات الواردة في الدعاء والمناجاة، المناسبة لحالات الخشوع والخضوع والاستكانة، والآيات الواردة في الخطب، المناسبة لشؤون المخاطبين وأحوالهم.

The Speeches of Imam al-Husayn's Pleasure in the Holy Quran – An Analytical Study

Shaykh Haidar al-Asadi

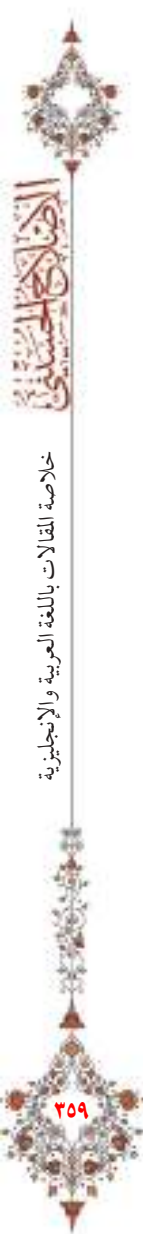
In the beginning, the researcher addresses the definition of the Arabic term *Uns* (finding pleasure) and its types, where he mentions four types of *Uns*. *Apparent Pleasure*, *Mental Pleasure*, *Practical Pleasure*, and *Unified Pleasure*. After that follows a series of narrations mentioning these types.

He also addresses Imam al-Husayn's pleasure with the Holy Quran, visible in his prayers and silent supplications with Allah, exalted is He. Here the researcher focusses on the Quranic verses mentioned in the Imam's supplication on the Day of Arafah. The researcher analysis this supplication and articulates Imam al-Husayn's attentiveness to detail when choosing these terms and their conformity with the words of the Imam (PBUH), all factors indicating the strong pleasure and affinity Imam al-Husayn (PBUH) had with the Holy Quran.

The researcher then addressees Imam al-Husayn's speeches' pleasure in the Holy Quran. Such as in his speech addressing the merits and knowledge of the Household (PBUT), which the Imam (PBUH) delivered with Muawiya present. That speech is known to be an excellent speech that silenced and muted many.

Also, such as the Imam's speech in Mena, which is considered among the most important speeches that the Imam (PBUH) delivered among the noble ones of Companions and Followers. Also, such as his (PBUH) speech the morning of Ashura.

Then the researcher mentions the Quranic verses that these speeches included, articulating that the Imam (PBUH) was able to employ these



verses perfectly, with complete coherence and consistency between his words and the words of Allah, exalted is He. The writer rationalizes this by the natural result of the pleasure Imam al-Husayn (PBUH) finds in the Holy Quran.

In the end, the researcher ends his article with a concise comparison between the verses mentioned in the prayers and silent supplications, suitable for the states of subjugation, submissiveness, and compliance and adequate with the affairs of the addressees and their states.

التناص القرآني في خطاب المسيرة الحسينية

مرحلة الأسر أنموذجاً

القسم الأول

أ. م. د. زهراء البرقعواوي

تناولت الكاتبة في مقدّمة بحثها التناصّ بصفته مصطلحاً نقدياً حديثاً بنغ نجمه على الساحة النقدية الغربية في نهايات القرن الماضي، معبراً عن التواشج الفكري، والتفاعل التركيبي، والتمازج بين نصّ قديم وآخر حديث.

وقد أشارت الكاتبة إلى أنّ النقاد القدامى لم يغفلوا الحديث عن تعالق النصوص، فقد عبّروا عن هذا المصطلح بمصطلحات أخرى، أهمّها: الاقتباس، والتضمين.

ثمّ تناولت تحت عنوان (بين التناصّ والاقتباس والتضمين) القواسم المشتركة بين هذه المصطلحات، متوصّلة إلى أنّ التناصّ يُعدّ مصطلحاً شاملاً للاقتباس والتضمين، بوصفهما من مصاديق العلاقات والتداخلات بين النصوص، أو هو صورة لهما لكن بثوب جديد.

ومن أهمّ أقسام التناصّ ما يصطلح عليه بالتناصّ القرآني، وهو الأكثر شيوعاً، وقد تجلّى هذا النوع بأروع صورته في الخطب والكلمات المأثورة عن النهضة الحسينية، ممّادعا الكاتبة إلى تسليط الضوء على هذا النوع في خطاب مسيرة الإمام الحسين عليه السلام، ابتداءً من استشهاده عليه السلام وانتهاءً بعودة الركب إلى المدينة.

وقد قسّمت الكاتبة التناصّ المباشر إلى: تناصّ مباشر مع الإشارة، ويتحقّق بالأخذ من القرآن الكريم مع الإشارة إلى أنّ النصّ المستعمل هو من القرآن الكريم، وتناصّ

مباشر من دون الإشارة، مستشهادة لكلا القسمين بالعديد من الأمثلة والشواهد،
المرفقة بالدراسة والتحليل.

وأخيراً اختتمت الكاتبة بحثها بنتيجة أدرجت فيها ثلاث نقاط تضمنت أهمّ الغايات
المتوخّاة من استعمال أهل البيت عليهم السلام القرآن الكريم في الخطاب.

The Quranic Intertextuality in the Speeches of the Husayni Journey The Captivity Stage as a Sample: Part One

Dr. Zahra al-Barqaawi

The writer addresses, in the introduction of her research, intertextuality as a new critical term becoming popular in the western field of criticism at the end of the last century. The term encompasses intellectual linkage, structural interaction, and the combination between an old text and a new text.

The writer mentions that the old critics also mentioned the correlation between the texts, calling it different terms among which the most important are: adaptation and comprisement.

Under the subject *Between Intertextuality, Adaption, and Comprisement*, the writer addresses the similarities between these terms concluding that *Intertextuality* is a term that encompasses *Adaption and Comprisement* as they both are examples of relations and overlaps between texts or a depiction of it, but in a new form.

Among the essential types of Intertextuality is *Quranic Intertextuality*, which is the most spread form of intertextuality. This type introduced itself in the best way possible in the speeches and words in the Husayni uprising, leading the writer to focus on this type in the speeches of Imam al-Husayn's journey from his martyrdom till the return to Medina.

The writer divides *Direct Intertextuality* into *Direct Intertextuality with Indication*, which is when adapting text from the Holy Quran while indicating that the used text is from the Holy Quran, and *Direct Intertextuality Without Indication*. She adduces several examples for both types of intertextuality, which she studies and analyses.

The writer ends her article with a conclusion where she lists three points, including the most important objectives of the Household (PBUT) using the Holy Quran in their speeches.

النهضة الحسينية ودورها في تفسير بعض الآيات القرآنية

سورة العاديات أنموذجاً

عادل حاتم جبر

يتناول المقال دور فاجعة الطفّ في تفسير وبيان المراد الحقيقي من سورة العاديات، ويؤكد أنّ مشهد مقتل سيّد الشهداء عليه السلام هو المصداق الوحيد الذي يمكن أن نفسّر به السورة.

تطرّق الكاتب في المقدمة إلى ما تنبأ به القرآن الكريم من محن ومصائب ستقع على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، مبيّناً أنّ سورة العاديات هي من بين تلك النصوص القرآنية التي تناولت ذلك، حيث إنّها تدلّ بصورة واضحة على المشهد المروع الذي تمثّل بمصرع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

وفي مقام بيان ذلك استعرض -الكاتب- أقوال المفسّرين في سبب نزول السورة، وعلاقته بتفسيرها، مبيّناً أنّ ما ذكره ليس من الأسباب الواقعية، وإنّما هي مجرد مناسبات لنزول الآيات، إضافة إلى تعارض الروايات المذكورة في ذلك.

بعد ذلك تطرّق إلى معاني مفردات السورة في كلمات اللغويين، مبيّناً أنّ كلامهم في ذلك ليس حجّة؛ لاختلافهم في تحديد معانيها وفق عقائدهم وأهوائهم.

كما استعرض أقوال المفسرين من الفريقين في ذلك، مبيّناً أنّ كلامهم ليس حجّة في نفسه؛ لكثرة تناقضهم في المفردة الواحدة والآية الواحدة.

وفي نهاية المطاف ذكر الباحث الأطروحة المقترحة لتفسير السورة، مبيّناً أنّ سورة العاديات من السور القصار التي تتميز بوحدة الموضوع، وأنّ ذلك هو مشهد مصرع الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ المأساوية، وهو المشهد الوحيد الذي تتحدّث عنه السورة، وحينئذٍ ستطرح كلّ التفاسير الأخرى التي لا تتناسب مع موضوع السورة.

The Husayni Uprising and its Role in Interpreting some Quranic Verses – Sura al-Adiyat as a Sample

Adel Hatem Jaber

This article addresses the role of the Tragedy of al-Taff in interpreting and articulating the true meaning of Sura al-Adiyat, emphasizing that the killing of Imam al-Husayn (PBUH) is the only possible embodiment we can interpret the Sura with.

In the introduction of the article, the writer addresses what the Holy Quran foretold of hardships and calamities that would befall the Noble Messenger (PBUH&HF) and his Household (PBUT). The writer articulates that Sura al-Adiyat is among the Quranic texts that addressed that issue as it clearly indicates the tragic scenes of the killing of Imam al- Husayn the day of Ashura.

In order to articulate this, the writer presents the opinions of the interpreters on the reason for the revelation of the Sura and its relation with the interpretations. He articulates that what the interpreters have mentioned to be the real reasons for its revelation, instead are occurrences at the time of the revelation. The writer also adds that the related narrations contradict these reasons.

After that, he addresses the meaning of the terms of the Sura as viewed by linguistics, mentioning that their opinions are not evidencing as they disagree on its meanings in comparability with their beliefs and desire. He also presents the opinions of the interpreters of both the Shia and Sunni schools of thoughts where he articulates that their opinions are not arguments themselves, due to their many contradictions in a single term or verse.

Lastly, the writer mentions the proposed theory to the interpretation



of the Sura, mentioning that Sura al-Adiyat is among the short Suras characterized by having a common subject through its verses, namely the scene of the killing of Imam al-Husayn (PBUH) in the tragic Event of al-Taff, which is the only scene addressed by the Sura. Following is a presentation of all the interpretations not comparable with the subject of the Sura.

توظيفُ آيةِ التطهيرِ بلسانِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام

دراسةٌ تفسيريةٌ تحليليةٌ

الشيخ وسيم راقم الوائلي

بدايةً تطرّق الباحث إلى مفهوم التفسير التحليلي لغةً واصطلاحاً، ثم ذكر المناسبة التاريخية لتوظيف الآية على لسان الإمام الحسين عليه السلام.

بعد ذلك قسّم المقال على أربعة مباحث، تطرّق في المبحث الأوّل إلى تحليل دلالة (حرف اللام) في الآية؛ مبيّناً دلالاته في الكلمات التي اقترن بها.

ثم تطرّق في المبحث الثاني إلى تحليل دلالة كلمة (تطهيراً)، فذكر جملة من الدلالات، منها: أنّ وزن (تفعيلاً) يدلّ على القوّة، والشدّة، والتكثير، والمبالغة، والتأكيد، وعليه؛ فالطهارة شديدة، ومركّزة، وكثيرة. ومنها: أنّ الوصف بالمصدر يفيد أنّ الحدث غير مقيّد بزمن؛ ولذا فإنّ (تطهيراً) جاءت لتؤكد تجدّر حقيقة الطهارة واستمرارها في أهل البيت عليهم السلام.

وفي المبحث الثالث تناول تحليل المركّب (عنكم)، وبيّن أنّ حرف الجرّ المشترك (عن)، وضمير المخاطب المتّصل (الكاف)، وحرف (الميم) الدال على الجماعة، بمجموعها تعطي دلالة نحوية مهمّة في معنى النصّ الكريم.

كما تناول في المبحث الرابع التحليل السياقي لآية التطهير، وذكر أنّ للآية سياقين، سياق لفظي: جاء متناسقاً لتكوين منظومة لفظية متناسكة تركيباً ودلالةً، وسياق معنوي، ومنه: سبب النزول، فقد أجمع الفريقان على نزول الآية في الخمسة أصحاب الكساء، ومنه: مجموع ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله لتحديد دلالة النصّ الكريم على أهل البيت عليهم السلام.

ثمّ ختم الكاتب مقاله بذكر أبرز النتائج التي توصل إليها في بحثه.

Employment of the Verse of Purification by Imam al-Husayn (PBUH) – An Exegetic Analytical Study

Shaykh Waseem Raqem al-Waeli

In the beginning, the researcher addresses the linguistic and terminological definition of exegetic analysis and mentions the historic event at which the Verse of Purification was employed by Imam al-Husayn (PBUH).

After that, the researcher divides his article into four objects of research. At the first, he analyses the textual indication of the Arabic letter *Laam* in the verse, articulating its indications by the terms it was associated with.

At the second object of research, the researcher analyses the textual indication of the Arabic word *Tathira* (purely/ thorough purification), where he mentions a series of indications. Such as: that the root-and-pattern verb stem of *Taf-ila* indicates strength, intensity, augmentation, exaggeration, and emphasizing. Therefore, the purification was intense, concentrated, and extensive. Another indication is that description by the source-noun indicates that the event is not limited to time. Hence, *Tathira* (thorough purification) in the verse emphasizes the deep-rootedness and perpetuation of purity within the Household (PBUT).

At the third object of research, he analyses the combination *Ankum* (from you), articulating that the shared preposition *An* (from) and the connected addressed pronoun *Ku* (singular “you”) and the *m* indicating plural “you” all together provides a critical syntactic indication in the meaning of the holy text.

The researcher also analyses the context of the Verse of Purification at the fourth object of research, where he mentions that the verse

has two contexts. The first a verbal context which is homogeneous and establishes a literal system consistent both in term of structure and indication. The second, a moral context, such as the cause of the revelation where both parties agree that it regarded The People of the Cloak and the entire actions of the Messenger of Allah (PBUT&HF) to specify that the indications of the holy text points towards the Household (PBUT).

The writer ends his article by presenting the most noticeable results he reached in his research.

الاقتباس القرآني في زيارات الإمام الحسين عليه السلام

م. م. حسن جميل الربيعي

سعى الكاتب في هذا المقال إلى إحصاء موارد الاقتباس القرآني الواردة في زيارات الإمام الحسين عليه السلام المروية عن الإمام الصادق عليه السلام، مبيّناً الدور الكبير لهذا الفن اللغوي في تعميق معاني تلك الزيارات، والتدليل على أنّ منشئها متعمّق في النصّ القرآني بشكله وألفاظه وتراكيبه ودلالاته. وقد قُسم البحث في المقام إلى تمهيد ومحورين رئيسيين.

تطرّق الكاتب في التمهيد إلى أنّ معنى الاقتباس في اللغة يجتمع في معنيي الأخذ والاستفادة، وأمّا معناه الاصطلاحي فقد ذكر بأنّه: إفادة المبدع أو الأديب من القرآن في نصّه أشار إلى ذلك أو لم يُشر. وفي معرض بيانه لأهمية الاقتباس القرآني فقد تطرّق إلى أنّه يمنح النصّ جمالاً فنياً، وبلاغةً عاليةً؛ ويفتح الدلالات الموجودة في النصّ بالإفادة من دلالات اللفظ القرآني.

أمّا المحور الأوّل فقد تحدّث فيه الكاتب عن الاقتباس القرآني المباشر، الذي يعمد الإمام عليه السلام فيه إلى إدراج آية كاملة، أو جزء منها في نصّ الزيارة، من دون أيّ تغيير أو تبديل في الألفاظ.

وتحدّث في المحور الثاني عن الاقتباس القرآني غير المباشر، الذي هو على شكل تراكيب أو مفردات مبثوثة في نصوص الزيارات، توجد فيها تغييرات بسيطة - خصوصاً في مجال التراكيب - متلائمة مع السياق الموجود، ومحافظّة على الفكرة القرآنية في النصّ المقتبس. وقد كان هذا الاقتباس غير المباشر على نوعين: اقتباس التركيب القرآني (تامّاً كان هذا التركيب أو ناقصاً)، واقتباس اللفظ القرآني.

وقد كانت موارد الاقتباس في كلا المحورين تارة تتعلّق بذكر الله تعالى وصفاته

وضرورة الانقطاع إليه، أو في وصف النبي ﷺ، وأخرى تتعلّق بجملّة من صفات المزور، أو الذين استشهدوا معه، وتارة ثالثة تتعلّق بدعاء الزائر لنفسه وللمؤمنين، وإلى غير ذلك من الموارد.

Qur'anic Adaptation in the Visitation Supplications of Imam al-Husayn (PBUH)

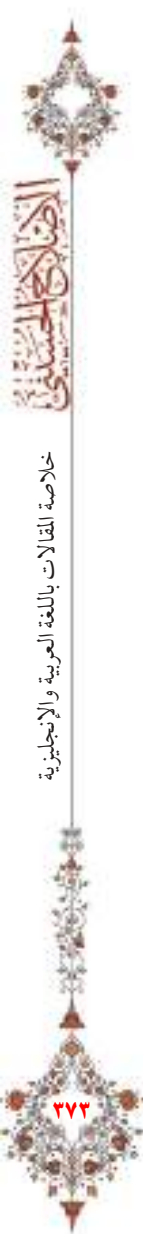
Hasan Jamil al-Rubay'ie

The writer attempted in this article to collect the places in the Visitation Supplications of Imam al-Husayn (PBUH) reported by Imam al-Sadeq (PBUH), where adaptation from the Holy Quran occurs. He articulates the great role of this literate art in providing depth to the meanings and understandings of these Visitation Supplications and in indicating that their author is well-versed in the Qur'anic texts in all their forms, terms, constructions, and indications. The writer begins his article with a prelude followed by two main subjects.

In the prelude, he mentions that the linguistic meaning of adaptation in Arabic, (*Eqtibas*) covers the meanings of taking and usage. On the other hand, its terminological meaning is; the innovator or author's usage of the Holy Quran in his text, regardless if he mentions it or not. When addressing the importance of adapting the Holy Quran's verses, he mentions that adapting verses of the Holy Quran will provide one's text with some artistic beauty, and high eloquence, while opening the indications present in the text by benefitting from the indications of the Qur'anic terms.

In the first main subject, the writer addresses *Direct Adaptation from the Quran*, mentioning that the Imam (PBUH), intentionally, includes whole verses, or passages from them, in the text of the Visitation Supplication without any alteration of the terms.

In the second main subject, he addresses *Indirect Adaption from the Quran*, which resembles combinations or dispersed terms in the texts of the Visitation Supplications containing insignificant changes – especially concerning the combinations – in consistence with the context



while preserving the Quranic idea from the adapted text. Indirect Adaption from the Quran is of two types: in the first type, the combination is adapted, regardless if it is complete or incomplete. In the second type, the Quranic term is adapted.

The adapted texts in both main subjects either addresses the remembrance of Allah, exalted is He, His attributes, and the necessity of devoting oneself to Him, or the attributes of the Prophet (PBUH&HF). Other adapted texts are regarding a series of attributes of the person who is visited [i.e., Imam al-Husayn (PBUH)] or those who were martyred with him. Other times the texts are regarding the supplication of the visitor to himself and the believers and such other instances.



العدد الثالثون - السنة الثامنة - ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م



النصح في القرآن الكريم دراسة في المفهوم والأساليب

الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً

نسرين شاكر الحكيم

مقال سعت فيه الكاتبة إلى إيقاف القارئ الكريم على أن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام قد بذلوا جهداً كبيراً في نصيحة القوم - الذين تهيئوا لقتالهم يوم عاشوراء - سالكين بذلك الأساليب القرآنية التي بينها الله عز وجل في مقام نُصح الآخرين وإرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

وقد قسّمت الكاتبة بحثها إلى نقاط عدّة، تطرّقت في النقطة الأولى منها إلى بيان معنى النصيحة لغة واصطلاحاً، خالصة إلى أن إرادة الخير والصلاح للمنصوح هو قوام المعنى المذكور على كلا المستويين. أمّا في النقطة الثانية فقد كانت بصدد بيان المفهوم القرآني للنصيحة، الذي لم يخرج بحسب استخداماته المتنوّعة في القرآن عن جوهر المعنى المتقدّم.

وبعد ذلك استعرضت الكاتبة في النقطة الثالثة خصائص النصيحة قرآنيّاً، والتي عبارة عن أن النصيحة نهج الدعاة الإلهيين، وامتلاك الناصح البصيرة بواقع الأمور، وعمومية المخاطب، وغير ذلك.

ثم بيّنت في النقطة الرابعة أساليب النصيحة في القرآن الكريم والنهج الحسيني، وذلك من خلال العرض التحليلي لمجموعة من الآيات القرآنية والكلمات الصادرة من الإمام الحسين عليه السلام، المشتملة على نصائح تهدف إلى هداية الناس ونجاتهم، تحت كلّ واحد من الأساليب المذكورة، وهي: بيان طريق الصواب، الإنذار بالمخاطر المترتبة، بثّ روح الأمل في النفوس، حثّ الأفراد على الإقرار، التعريف بالواقع المعاش، أسلوب النقاش والمحاورة.

وأما فيما يتعلّق بالنصائح التي جاءت في خطب أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء والأساليب المتبعة فيها، فقد تطرّقت الكاتبة في النقطة الخامسة إلى مواعظ بعض أولئك البررة، أمثال: الحرّ الرياحي، وزهير بن القين، وحبيب بن مظاهر، مبيّنة سيرها على نفس النهج (القرآني/ الحسيني) المتقدّم.

The Advice in the Holy Quran: A Study of the Concept and Methods – Imam al-Husayn (PBUH) as a Sample

Nesreen Shaker al-Hakim

The writer attempted to portray to the dear reader that Imam al-Husayn (PBUH) and his noble companions tried to the best of their effort to advise the people who had prepared to fight them. They made use of the Quranic methods illustrated in the Holy Quran by Allah, exalted is He, regarding advising others and guiding them toward what is good and prosper for them.

The writer divides her study into several parts, where she, at the first part articulates the linguistic and terminological meaning of *Naseha* (advise), concluding that wishing the best for the advised or counseled, is the basis of both meanings. In the next part, she addresses the Quranic definition of advisement, which, even with its rich use in the Holy Quran, did not differ from the essence of the previously mentioned meaning.

The writer then presents the qualities of advisement in the Holy Quran, in the third part of the article. She mentions that such advisement is the path of the *Divine Proselytizers* and that the adviser possesses insight on the reality of the matters and the general state of the advised etc.

In the fourth part of the article, she articulates the methods of advisement in the Holy Quran and in the Husayni path by an analytical presentation of a series of Quranic verses and words from Imam al-Husayn (PBUH) containing advisement aiming at guiding and saving people under each mentioned method. These methods are: Showing the right path, warning against the dangers, spreading hope,

encouraging people to confess, articulating the reality we live in, and discussing and debating.

Regarding the advice in the speeches of the companions of Imam al-Husayn (PBUH) at Ashura and the methods used, the writer mentions in the fifth part of the article some of the advices of these righteous men. Such as al-Hurr al-Riyahi, Zuhayr Bin al-Qayn, and Habib Bin Mudhaher. She articulates that these speeches made use of the same Quranic and Husayni methodology previously mentioned.



العدد الثلاثون - السنة الثامنة - ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م



البكاء على الإمام الحسين عليه السلام

الدوافع والمسوغات

الشيخ كاظم القره غولي

كان محور الحديث في هذا البحث عن مشروعية البكاء واستحبابه على سيّد الشهداء عليه السلام، حيث أكّد الباحث في المقدّمة أنّ نهضة الحسين عليه السلام كانت علامة مميزة ومفردة شاخصّة في جولات الصراع. فقد قاد جبهة الحقّ إماماً معصوماً مفترض الطاعة؛ وعليه حظيت نهضته باهتمام بالغ من قبل أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام؛ ونظراً لذلك فقد حاول البعض التشكيك في كلّ شيء يرتبط بهذه النهضة المباركة، ومن ضمن ذلك تحريم البكاء على الميت وعدم شرعيته، في حين وردت عشرات الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليه السلام بالحث على البكاء، وأطبقت سيرة المشرّعة عليها، وقبلها جرت سيرة العقلاء دون ردع من الشارع فضلاً عن عمل المعصومين عليه السلام، بما لا يدع للباحث المنصف محلاً للتأمل في استحباب البكاء، فضلاً عن أصل شرعيته وجوازه.

وعلى هذا الأساس عُقد هذا البحث في أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأوّل: في إثبات الجواز، حيث ذكر الكاتب خمسة أصناف لأدلة الجواز، وهي: فعل المعصومين عليه السلام، والسيرة العقلانية، والأمر بمودّة أهل البيت عليه السلام، وانتفاء المفسدة في البكاء.

المبحث الثاني: في إثبات استحباب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، وقد ذكر نوعين من الأدلّة: النوع الأوّل تمثّل بالأدلة الروائية، بينما تمثّل النوع الثاني بسيرة المشرّعة، حيث حاول الإجابة في النوع الثاني عن ثلاث إشكاليات، منها ما يتعلّق بمنشأ هذه السيرة، ومنها ما يرتبط بثبوت الاستحباب بها، وثالثة في إثبات اتصال السيرة بزمان حضور الأئمة عليه السلام.

المبحث الثالث: الحديث عن أدلة المنع من البكاء على الميت، حيث ذكر ثلاثة أدلة روائية وناقشها دلالة وسنداً.

المبحث الرابع: في وجوه تقديم أدلة الجواز على فرض معارضتها مع أدلة النهي، حيث ذكر ثلاثة وجوه تحملها أدلة الجواز لا تنهض أمامها أدلة المنع ومنها: فعل المعصوم عليه السلام، وسيرة العقلاء والمشرعة.

وأخيراً أنهى بحثه بخاتمة أجاب فيها عن شبهة مفادها: أنّ الحزن والبكاء شيء له أسبابه الحقيقية، ولم تتوفر في الإمام الحسين عليه السلام، لأنه عليه السلام قد رزق الشهادة والراحة الأبدية والنعيم الذي لا يزول. إذاً؛ فما وجه البكاء عليه عليه السلام؟

Weeping Over Imam al-Husayn (PBUH) – Motives and Rationales

Shaykh Kadhem al-Qaragholi

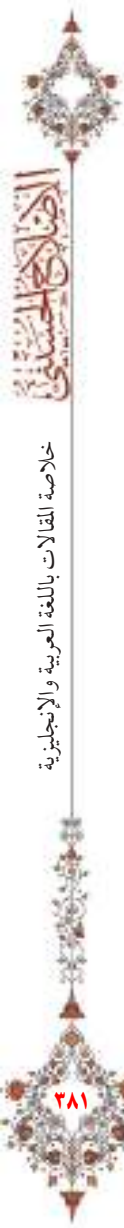
The subject of this article is the legality and recommendation of weeping over the Master of the Martyrs, Imam al-Husayn (PBUH). The researcher stresses in his introduction that the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) was an exceptional and unique symbol prominent in the battle, as the camp of righteousness was led by an infallible Imam whom the obeying of was obligatory. Hence his uprising enjoyed significant attention from the followers of the school of the Household (PBUT).

Therefore, some have attempted to doubt everything related to this blessed uprising, and they have even forbidden weeping over the dead and made it impermissible. In contrast, tens of narrations of the Holy Prophet (PBUH&HF) and his Household (PBUT) encouraging weeping have been reported. Also, the *Tradition of the Jurists* sanctions this act, and before that, the *Tradition of the Sane People* included this act with no objection from the Islamic Law. Not to mention the conduct of the Infallibles (PBUT) themselves, which will not *permit* the objective and just researcher even to ponder over weeping being recommended or not – not its legality and permissibility.

Accordingly, this research was spread over four objects of research:

The first object of research: *Proving the Permissibility*; the researcher mentions five types of evidence proving the permissibility of weeping, such as *the Act of the Infallible* (PBUH), *the Tradition of the Sane People*, the commands to love the Household (PBUT), and the fact that weeping does not contain any corruption.

The second object of research aimed to prove the recommendation of weeping over Imam al-Husayn (PBUH), where he mentions two types of evidence. The first type was the narration-based evidence,



whereas the other was *the Tradition of the Jurists*. He attempts to answer three questions regarding this tradition, the first regarding its origin, the second regarding the possibility of *Istihbab* (recommendation) being established through this method, and thirdly proving that this custom of weeping also occurred at to the era where the Imams (PBUT) were present.

At the third object of research, the evidence prohibiting weeping over the dead is discussed. The researcher mentions narration-based evidence, which he discusses not only from an indicational perspective but also in terms of the narrator-chain.

Then follows the fourth object of research addressing the rationality of preferring the evidence of the permissibility in favor of the evidence of the impermissibility, given that they contradict each other. He mentions three issues that the evidence of impermissibility cannot withstand, such as *the Act of the Infallible* (PBUH), *the Tradition of the Sane People and the Jurists*.

Lastly, he ends his research answering the following specious question; sorrow and weeping are matters triggered by real causes, and these are not present with Imam al-Husayn (PBUH) as he (PBUH) was granted martyrdom and eternal tranquility and pleasure which do not cease to exist. Hence, what is the rationality of weeping over him (PBUH)?



سمات قادة الثورات الحسينية في العهد الأموي

الشيخ حيدر العريضي

اشتمل المقال على مقدمة وتمهيد وثلاثة بحوث، تحدّث الباحث في المقدمة عن حقيقة تأثير النهضة الحسينية في أعماق الضمير الإسلامي؛ وذلك بما يمتلكه صاحب الثورة المؤيد بالوحي الإلهي من حكمة وتخطيط، إضافة إلى القيم التي كانت تحملها ثورته المباركة، ومن مظاهر ذلك التأثير القيام بثورات عسكرية إصلاحية كانت تهدف إلى تصحيح الواقع السياسي والاجتماعي في البلاد الإسلامية، ومن أبرز تلك القيادات الثورية: المختار الثقفي، وسليمان بن صرد، وزيد بن علي عليه السلام، وقد ابتنى هذا المقال على بيان سمات تلك الشخصيات الثائرة - الدينية والأخلاقية والاجتماعية - من خلال اعتماد الأخبار الصحيحة، والسير التاريخية الموثقة.

ثم تناول الباحث في التمهيد ثلاثة أمور، الأول: بيان معنى الثأر لغة واصطلاحاً، وفي الثاني: السمات التي لا بدّ من توفرها في القيادة الصالحة، وفي الثالث: تحديد أفق واعية الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، حيث ذكر أن سبل تلبية نداء الإمام الحسين عليه السلام مشروعة أمام الطالبين بثأره - كلٌّ بحسب معطاته - في كلِّ زمانٍ يستبدّ فيه الحكام ويظلمون رعيتهم.

وبعد ذلك عقد ثلاثة مباحث: الأول في سمات القائد المختار الثقفي، وقد ذكر أنّه من أشهر قادة الثورات ضد الأمويين وأبرزهم، ومن أكثرهم جدلاً بين أرباب السير والتأريخ وأهل التحقيق، حيث اختلفوا في عقيدته وسيرته مع اتفاقهم على نجابته وشجاعته ونبله. ثمّ سرد معلومات تاريخية تحليلية عن نشأته وسيرته وعقيدته.

وتناول في المبحث الثاني سمات القائد سليمان بن صرد الخزاعي، وقد ذكر أنّه أوّل الثائرين لدم الإمام الحسين عليه السلام، وأكبرهم سنناً، وأطولهم صحبةً للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

وعلي عليه السلام، وقد قاد ثورةً هدفها الانتقام من الطغمة الأموية الظالمة، والتكفير بالنفس عن الخذلان.

وقد تناول في المبحث الثالث سمات القائد زيد بن علي عليه السلام، وذكر أنه أول الهاشميين الثائرين لدم جدّه الإمام الحسين عليه السلام في أواخر العصر الأموي، وكان من التابعين الكبار المفسّرين للقرآن الكريم.

ثمّ ختم المقال بما توصل إليه من نتائج.

The Characteristics of the Leaders of the Husayni Revolutions in the Umayyad Era

Shaykh Haidar al-Aridhi

The article consists of an introduction, a preface, and three objects of research. In the introduction, the researcher talks about the degree of the effect the Husayni uprising had in the depth of the Islamic consciousness. He relates this effect to what the leader of the revolution, who was supported by the Divine Spirit, possessed of wisdom and planning in addition to the principles which his blessed revolution carried. Among the effects are the reformative military revolutions which aimed to reform the political and societal reality in the Islamic nation. And among the most prominent revolutionary leaders were al-Muhktar al-Thaqafi, Sulayman Bin Serd, and Zayd Bin Ali. This article attempts to articulate these revolutionaries' religious, ethical, and societal characteristics from the authentic narrations and the documented historical sources.

The researcher then addresses three matters in the introduction: the articulation of the linguistic and terminological meaning of the Arabic word *Thaar* (retaliation), the qualities that must exist in the righteous leadership, and lastly, the identification of the horizon of Imam al-Husayn's shout for help at the Day of Ashura. The researcher mentions that the ways of answering the Imam's call are legalized for those seeking to retaliate him – each according to his situation and condition – at every place where the rulers tyrannize and oppress their people.

After that, the writer presents three objects of research. The first is regarding the qualities of the leader, al-Mukhtar al-Thaqafi, where he mentions that al-Mukhtar was among the most famous and prominent leaders of the revolutions against the Umayyads. Also, that he is the most debated in the historical research field, where disagreement on his

belief and life exists, while there is agreement on his ingenious, bravery, and nobility. The writer then presents historical analytical information on al-Mukhtar's birth, life, and beliefs.

In the second object of research, he addresses the qualities of the leader, Sulayman Bin Serd al-Khuzai, mentioning that he was the first retaliator for the Imam al-Husayn's spilled blood. Also, that he was the oldest and the one with the longest companionship with the Noble Prophet (PBUH&HF) and Imam Ali (PBUH). The researcher mentions that he led a revolution to retaliate against the oppressing Umayyad party and compensate for their previous negligence with their lives.

At the third object of research, the writer addresses the qualities of the leader, Zayd Bin Ali. He mentions that he was the first Hashemites to avenge the blood of his grandfather, Imam al-Husayn (PBUH) at the end of the Umayyad era and that he was among the great Followers who were interpreters of the Holy Quran.

The researcher then ends his article with a presentation of the results reached.



إطالة على آثار الثورة الحسينية

محمد رضا الإمارة

تناول الباحث آثاراً من الثورة الحسينية مؤكداً أهميتها وجوانبها العملية التي ترتبط بصميم المجتمع الإسلامي، حيث يرى أنه بإمكان التأمل في الآثار والنتائج التي تمخضت من رحم الثورة الحسينية الخالدة أن يقودنا إلى تحرر إرادة الإنسان والمجتمع وكسر حاجز الخوف في مواجهة الاستبداد والظلم، وبالتالي نهضة الأمة وإصلاحها وعدم ميلها عن النهج الذي اختطه الإمام الحسين عليه السلام طريقاً للإنسانية.

فقد الباحث المحور الأول لبحوث تصورية تناول فيها التعريف بمفردات عنوان البحث على المستويين اللغوي والاصطلاحي، كما تناول الآثار الآنية والآثار بعيدة المدى للثورة الحسينية، ثم تحدّث عن شروط الثورة الناجحة ومعاييرها، كتوفرها على العنصر الإلهي الغيبي، والبعد الإنساني، وبعد التخطيط الاستراتيجي وغيرها.

كما عقد المحور الثاني في آثار الثورة الحسينية والنهضة المباركة على مختلف الأصعدة، ذكراً بعض نتائج هذه النهضة الخالدة، كإحياء الدين، والشعور بالذنب والندم عند من تخلف عن نهضته عليه السلام، وتحطيم الإطار الديني المزيف لبني أمية وفضحهم، وتحرير إرادة الأمة في مواجهة الطغيان.

وتحدّث - أيضاً - عن أثرها على الصعيد الأخلاقي والعرفاني، مضيفاً إلى ذلك أثرها في انبعاث الروح العسكرية والجهادية، حيث تطرّق إلى أبرز الثورات والغزوات التي قامت بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

ثمّ ختم بحثه بخلاصة أو جز فيها ما تناوله في المحورين أنفي الذكر، وما خلص إليه من النتائج.

An Overview Over the Husayni Revolution's Effects

Muhammad Ridha al-Imara

The researcher addresses some effects of the Husayni revolution, where he stresses their importance and scientific aspects related to the core of the Islamic society. He believes that the possibility of contemplation over the effects and results that are derived from the soul of the eternal Husayni Revolution leads us to the liberation of the determination of man and society, and the destruction of the obstacle of fear when facing subjugation and oppression, ultimately, having the nation rise and reform, and not incline from the path that Imam al-Husayn (PBUH) had chosen for humanity.

The researcher dedicates the first object of research to conceptual studies, addressing the definition of the terms of the study, both terminologically and linguistically. He also addresses the immediate and long-term effects of the Husayni Revolution, followed by the conditions and qualities of the successful revolution, such as the availability of the unseen Divine factor, the humane aspect, and the long-term strategic planning, etc.

The second object of research was dedicated to the effects of the Husayni revolution and the blessed uprising on various levels, mentioning some results of this eternal uprising, such as the revival of the religion, the feeling of regret and remorse for those who failed to join his uprising, the demolishing of the false religious frame of Bani Umayya and the exposing of them, and the liberation of the nation's determination in facing the oppression.

He also mentions the revolution's effects on an ethical and spiritual level, in addition to its impact on spurring the military and struggling



العدد الثامن - السنة الثامنة - ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م



spirit, where he mentions the most prominent revolutions after the revolution of Imam al-Husayn (PBUH) and his blessed uprising.

He ends his article with a summary in which he sums up the subjects addressed in the two objects of research, and what he concludes of results.



لَمَّا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّتِي

الإصلاح الحسني

مَجَلَّةٌ فَضْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحَسِينِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ